الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قسنطينة

كلية الآداب و العلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية
– دراسات عليا –

رقم التسجيل...../.....
الرقم التسلسلي...../.....

بنية الزمن السردي في قصة موسى عليه السلام

دراسة وصفية تحليلية

مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير
تخصص دراسات بلاغية

إعداد الطالب :
عز الدين هبيرة

إشراف الأستاذ الدكتور:
رابح دوب

أعضاء اللجنة	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
د/يانديس قوغالي	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر	رئيسا
أ.د/ رابح دوب	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر	مشرفا ومقررا
د/ صالح خديش	أستاذ محاضر	جامعة منتوري-قسنطينة-	عضوا
د/ صالح غريبي	أستاذ محاضر	جامعة تبسة	عضوا

السنة الجامعية: 1426- 1427هـ/2006-2007م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير

ثنائي العطر وشكري الجزيل لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور "رابح دوب" على توجيهاته القيمة المفيدة مما كان له أجمل الآثار الحميدة.

كما أتقدم بخالص شكري لعمال مكتبة الدكتور "أحمد عروة" وعمال مكتبة "الشيوخ" وقسم الدوريات على مساعداتهم وتسهيلاتهم، فجزاهم الله عني كريم الجزاء.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقـــــدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا . قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: 01].

والصلاة والسلام على خير خلق الله، سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين والمؤيد بالكتاب والحق المبين وبعد:

فالقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة الكبرى للرسول ﷺ، فقد بلغ قومه من فصاحة القول حدًا لا يبارى، ونزّل القرآن على الرسول الكريم ﷺ بلسانهم، ومع ذلك فقد تملكهم العجب، واستولت عليهم الدهشة، وتملكتهم الحيرة، لما لمسوا فيه من بيان، واحتسوا من بلاغة، وقد تحدّاهم الله ﷻ أن يأتوا حتى ولو بمثل سورة منه فعجزوا، وكان هذا شاهدا بيّنا على وضوح عجزهم وثبوت إعجازه.

ومنذ نزل القرآن وإلى وقتنا هذا والباحثون لم يتفقوا على وجه معين خرج به القرآن الكريم عن طاقة البشر، وعدم اتفاقهم على ذلك هو دليل من دلائل إعجازه، حتى وإن أجمعوا على أن البلاغة هي الوجه الأصيل في إعجاز القرآن الكريم، وهي الوجه الذي يلزمه في كل سورة بل في كل تركيب ويحس بروعتها كل من يستمع إلى كلام الله ويصغي إلى آياته.

ومنه فالقرآن الكريم لم يكن إلا نعمة من نعم الله على خلقه كتاب لا اعوجاج فيه ولا تناقض مستقيما في لفظه وفي معناه واضحا في دلالته، فحمل رسالة السماء إلى البشر أجمع وقدم إليهم منهجا كاملا للحياتين الدنيا والآخرة، يلبي الحاجات والتطلعات والمعارف، ويزكي الآمال ويمسح الجراح ويحقق الكفاية.

وحين يذكرنا الله تعالى بقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89]؛ إنما يريد أن يوضح لنا بيانات القرآن وإيضاحاته، فهو في بلاغته وبيانه يفي بكل متطلبات البشر ويعالج ما يعنّ لهم من مشكلات، يلمح إلى الهداية والنصيحة والعبرة، يسوقها بين الحين والحين، بوجوه متباينة وأساليب متنوعة، فهو نمط وحده وأسلوب متفرد، جمع فأوعى وقدر فهدى.

ومن هنا أضحى القرآن -بحق- جديرا بالدراسة المتأنية الواعية المستمرة، ما دام المخاطب به

يفكر ويعقل.

وإن كان القرآن تعلو طبقة خطابه عن أسماع الناس وأفهامهم، وتحتوي كلماته على أسرار ومستغلقات، فقد فصلت آياته تفصيلا إذا ما تدبره الناس وعقلوه، وفهموه، واستجوبوه فيما هم فيه مختلفون.

ولقد كثرت الدراسات وتنوعت حول أسلوب القرآن الكريم، ولا تزال تظهر ما فيه من مكنونات وتكشف ما احتواه من أسرار لا تخلق ولا تنتهي، فمست هذه الدراسات الأساليب التي انطوى عليها هذا الكتاب الخالد، وحاولت الكشف عن جماليات الخطاب فيه، والوقوف على الخصائص الفنية والغايات التي من أجلها نزل.

وفي هذا الإطار تأتي دراستي محاولة البحث في مجال الخطاب القرآني، وسبر أغوار أسلوبه المتفرد بالخوض في أحد أهم التشكيلات الفنية في القصة، ومتناولا بذلك موضوع: بنية الزمن السردي في قصة موسى عليه السلام.

لتحاول هذه الدراسة كشف المناحي الجمالية للزمن في القصة القرآنية، وبالانطلاق من الإشكالية الآتية: ما مدى فاعلية الزمن في قصة موسى عليه السلام.

ولعل هذه الإشكالية بدورها تنطوي على العديد من التساؤلات الفرعية والمتمثلة في:

-هل حقق ترتيب النزول تسلسلا زمنيا، وبناء فنيا قصصيا، وما الغاية من ذلك؟

-هل البناء القصصي في قصة سيدنا موسى عليه السلام وما انطوى عليه من فنيات بنائية بلغت درجة الإعجاز؟

-ما أثر العنصر الزمني في القصة القرآنية، وهل إذا خلا القصص القرآني منها فقد شيئا من معطياته التي يجدها الناس فيه؟

وتكمن أهمية مثل هذه الدراسات التي تتناول القصص القرآني، فيما تكشفه عن الأسلوب الذي رسمه القرآن لنفسه متمثلا في أسلوب السرد القصصي، فهو يجتذب إليه الدارس كما تعود مكانة السرد إلى ما للقصص القرآني من قيمة من حيث إنه إحدى الوسيلتين اللتين اتبعهما الخالق لتبليغ أوامره للبشر عن طريق الوحي بقرآن تنزل على قلب رسوله الكريم، حيث أن الوسيلة الأخرى

هي الخطاب المباشر الذي قد لا يعتمد على عنصر السرد.

كما تعود مكانة القصص كذلك في إطار التبليغ بعرض أحداث الماضي المتتالية، إلا أنه في حد ذاته سجل حافل بصفحات عن حياة الأولين ومعايشهم، إضافة إلى أنه –القصص القرآني- ثبت للأزمنة ومرجع للتاريخ، منذ أن استدار الزمان من يوم خلق الله الكون من عهد أبينا آدم عليه السلام إلى عهد بعثة نبينا محمد ﷺ، واختتامه بتلقي نعمة الله المتمثلة في الوحي الكريم.

كما تكمن أهمية الموضوع كذلك في أن أسلوب القرآن الكريم في القصص نهج متفرد في موضوعه، وفي أسلوب أدائه وفي مقاصده وغاياته.

ومن خلال ما تقدم ذكره من عناصر عبرت عن أهمية هذه الدراسة التي سأحاول من خلالها الوقوف على جماليات السرد القصصي في القرآن الكريم، والوقوف على أهم الدعائم الفنية في القصة القرآنية متمثلا في الزمن السردي، ومدى فاعليته فيها.

ومن الأهداف التي أرجو تحقيقها من خلال دراستي لهذا الموضوع:

1-بيان الأهمية الكبرى التي يتميز بها أسلوب السرد القصصي في القرآن الكريم.

2-الإقرار بتفرد النص القرآني في خطابه، وتميزه في أساليبه عن الأساليب البشرية.

3-إبراز الأهمية البالغة للزمن وفاعليته الفنية في القصص القرآني.

4-الوقوف على خصوصيات الأداء الفني البلاغي في القرآن الكريم.

5-إبراز بعد الزمن في السياق القرآني من خلال القصة القرآنية.

6-إضافة دراسة أكاديمية علمية لمكتبة القرآن الكريم، وبحث آخر يضمّ إلى جهود الباحثين في هذا الميدان الشريف.

7-كما أراد هذا البحث وحاول التجديد في المناهج المعتمدة في تناول النص القرآني.

والوقوف على سر الجمال الفني في الخطاب القرآني يقتضي تعرف العناصر التي تألف منها هذا البناء أو الهيكل خاصة فيما يتعلق بجانب القصة القرآنية، وعناصرها المكونة لجمالية السرد الإعجازي.

ومهما كتب الدارسون الراغبون في استكناه خبايا النص القرآني إلا أننا لن نجزم بأنهم قد

سبروا أغواره وتطلعوا إلى خصائصه الفنية المنبثقة في كل جزء من أجزاء الكتاب العزيز، ولهذا فقد وددت أن تكون دراستي هذه منقّبة هي الأخرى عن السحر الفني في القرآني الكريم من خلال تتبع سير الأحداث والمحطات الكبرى لقصة سيدنا موسى عليه السلام.

ويمكن أن أجمل أسباب اختياري لهذا الموضوع في:

أ-أسباب ذاتية:

-رغبتي الملحة في كشف خبايا أسلوب القصة القرآنية.

-ورغبتي الأخرى تتمثل في تطبيق تقنيات السرد على وقائع قصة سيدنا موسى عليه السلام.

ب-أسباب موضوعية:

-إن موضوع الزمن في القرآن الكريم من المواضيع القليلة التداول بين الدارسين والمعنيين بحقل الدرس القرآني، وكشف المناحي البيانية والبلاغية فيه، وليس من السهل فهم معاينة وإدراك مراميه البلاغية، كما لم يكن من السهل دراسة الاستعمال القرآني بكل انقطاعاتها وإيحاءاتها وملابساتها.

-إن أغلب الدراسات للزمن لم تتجاوز المفاهيم النحوية الخالصة لمعنى الزمنية القرآنية، مع أن زمن القرآن لا ينبغي له أن يخضع في كل الأطوار للمقاييس النحوية المنبثقة عن النحو الذي بحكم وظيفته المحددة لم يعد قط ثلاثة أزمنة.

-الوقوف على البناء المعماري الخاص للقصة القرآنية من حيث طبيعة السرد وضمائره المختلفة ووصل ما هو واقعي من الأحداث بالطرائق الفنية التي تظل سمة إعجازية في القصص القرآني.

-إبراز مكانة الزمن في سير الأحداث القصصية وفي تنميتها وإنضاجها.

-الرغبة في دراسة قصة موسى عليه السلام، حسب ترتيب نزول سور القرآن الكريم، والتركيز على المحطات الكبرى فيها، كون هذه القصة قد ذكرت في مواضع وسور كثيرة من القرآن الكريم، فمثلا ورد اسم موسى عليه السلام في 136 موضعا وعدد السور 34 سورة.

-البحث عن وسائل جديدة من شأنها تحسس الخطاب القرآني، واستجلاء مكنوناته النصية.

ولما كان القصص القرآني من المواضيع الهامة والتي شغلت الباحثين والدارسين المهتمين بهذا

الأسلوب المتفرد في حقل الدراسات القرآنية والمتطلعين إلى كشف المناحي البيانية في الخطاب القرآني، ومما كتب في هذا المجال من دراسات سابقة نجد مثلا البنية السردية في القصص القرآني لمحمد طول، وكتاب القصص القرآني في منطوقه ومفهومه لعبد الكريم الخطيب، إضافة إلى مؤلفات أخرى لم تتطرق إلى الزمن بالتحليل المعمّق الشيء الذي جعل الإشارة إليه إشارة عابرة فقط.

هذا وقد استفدت من العديد من المراجع التي تناولت موضوع الزمن بين ثناياها ليأتي في مقدمتها تفسير الظلال لسيد قطب، الذي وضع معالم الحلقات الزمنية في قصة موسى عليه السلام، ودراسات فنية في قصص القرآن لمحمود البستاني، والتصوير الفني في القرآن لسيد قطب، والخطاب القرآني: مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي لسليمان عشراتي، إضافة إلى مجموعة من المقالات المنشورة في المجلات المحكمة، كما اعتمدت على مراجع نظّرت للسرد منها: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي لحميد حمداني، وتحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير) لسعيد يقطين، وبنية الشكل الروائي لحسن بحراوي، وكتاب بناء الرواية لسيزا أحمد قاسم، وكتب عبد المالك مرتاض ومدخل إلى نظرية القصة: تحليلا وتطبيقا لسمير المرزوقي وجميل شاكر.

ولا يخلو البحث من مصاعب واجهتني أثناء الدراسة منها: صعوبة تحديد المصطلح النقدي خصوصا وأنني أتعامل مع نص مقدس، وكون هذه المصطلحات النقدية قد طبقت على القصة البشرية، لأجد نفسي أحيانا في حلقة مفرغة، وما ساعدني على فك رموز هذه المتاهات النقدية الكتب المترجمة إلى العربية والدراسات النقدية الحديثة.

ولما كان الموضوع يتطلب منهجا دقيقا للدراسة ليحقق النتائج المرجوة، أردت أن أتبع المنهج الوصفي التحليلي وفق رؤية سردية تتماشى وطبيعة النص القرآني، وذلك بغية استكشاف الجمالية الخطابية فيه، إذ يتلاءم الوصفي مع الأسلوب القصصي والحكائي عند العرب، وكذلك أثناء تناول فنيات السرد في القصة القرآنية، أما المنهج التحليلي فيتناسب وتوضيح فاعلية الزمن بتشكيلاته الأساسية في سير أحداث قصة موسى عليه السلام، كما يساعد هذا المنهج المعتمد على تناول النص القرآني المتفرد في عرضه لمادته القصصية.

ورغبة مني في الوصول إلى نتائج إيجابية من خلال هذه الدراسة حاولت رسم معلم واضح الأطر بيّن المناهج حتى لا تتشعب بي السبل، وتتقاذفني الأفكار المتعددة، وطبعا هذا لا يتأتى إلا وفق منهج علمي دقيق وخطة تسير عليها الدراسة لتحقيق الغايات المنشودة، لذا ارتأيت أن تكون خطة

الموضوع على النحو الآتي:

مدخل: وتناولت فيه العرب والقصة، حيث كان الهدف الوصول إلى نفي أو إثبات هذا الفن الجميل في الحياة العربية مع التطرق إلى الفرق بين القصة القرآنية والقصة البشرية.

أما الفصل الأول فتناولت فيه السرد في القصة القرآنية، وذلك بالتركيز على مفهومه وتوضيح العلاقة بينه وبين الأنماط الأدبية الأخرى، كما تطرقت إلى الأساليب السردية في القصة القرآنية، وتوضيح الفنيات السردية للقصص القرآني بالتطبيق على قصة سيدنا موسى عليه السلام. أما الفصل الثاني؛ فكان بمثابة دراسة تطبيقية على الزمن بالتعرض إلى مفهومه العام، وعرض الحلقات الزمنية في قصة موسى لتأتي مرحلة ترتيب الأحداث زمنيا، أما الفصل الثالث فكان بمثابة دراسة للبنية الزمنية في قصة موسى عليه السلام بالتطرق إلى الترتيب الزمني المشكّل من السوابق واللواحق، والإيقاع الزمني بمظهريه الأول تسريع السرد ووتيرة الزمن والآخر تبطيء السرد ووتيرة الزمن.

وفي الأخير ختمت هذه الدراسة بخاتمة تناولت فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

وأخيرا فلا يسعني في مثل هذا المقام إلا أن أتقدم بجزيل شكري وعرفاني لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور رابح دوب الذي لم يبخل عليّ بنصائحه المفيدة، مما كان له أجمل الآثار الحميدة.

كما أشكر لجنة وأعضاء المناقشة على تفضلهم بقراءة البحث، وكلي آذان صاغية للنصائح والتوجيهات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المدخل:

العرب والقصة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إنّ غاية الإنسان في هذا الوجود هي فهم الكون وظواهره، والوقوف على أسراره ومكنوناته فظلت تساؤلاته المثيرة والمتكررة، تثير فيه رغبة إيجاد الجواب، و لم يكن تفكيره الذي قاده حينئذ إلى ولوج عالم البحث بقادر على أن يجعل النفس تقنع بكل ما كسبته من معرفة بسيطة عن طريق التربية الوراثية والبيئية.

كما أن عجزه عن تفسيره للظواهر الطبيعية المختلفة جعلته يقف حائرا أمام تعليلها، و لم يكن أمامه إلاّ الانقياد لها والتسليم بها، فكان أن نسج بخياله الواسع القصص والأساطير المختلفة.

فكانت هذه القصص أوّل رفيق حضي الإنسان بصحبته علّها تخفف بعض الشيء من غربته، هذه الصحبة التي رافقته منذ خطواته الأولى على الأرض، فآنس وحشته ووصل ما بين عالمه المائج في كيانه وبين الطبيعة وما وراء الطبيعة، وهو السائح دائما في لججها، التائه في مسالكها ودروبها، فمنذ التقى الإنسان بالحياة وهو في صراع عنيف، مرير، متصل مع كل شيء فيها مع ما يقع منها تحت حواسه، وما يتولد من صورها في أوهامه وخيالاته ورؤاه[1].

ثم إن العوالم المجهولة والمغلقة الأفق جعلت الإنسان يحتمي بكل ما من شأنه يقف حائلا بينه وبين ما يهدد وجوده، أي المهم أن يجد تفسيرا يرتضيه لسرها، هذه العوالم التي أثارت فيه الحيرة، والرهبة، والفزع، فالسحاب والمطر والرعد والبرق والريح والنار والشمس والقمر، والنجوم والليل، والظلام، والنبات، والحب والثمر، وكل صغير وكبير، وحيّ وميّت، ومتحرك وثابت، كانت في عين الإنسان الأول، كونا كبيرا مليئا بالعجائب والغرائب[2].

فكانت القصة بمثابة السجل الحافل بأيام هذا الإنسان الذي تكبّد المعاناة لأجل البقاء والمحافظة على نوعه.

إن هذه التساؤلات المتكررة واللفتات المثيرة، تدفع إلى التفكير في أمر هذه القصة، قبل أن تغدو فنّا لها أصولها ومبادؤها ومنظورها، هذه القصة التي جعل الإنسان منها بكلماته مفتاحا للعديد من قضاياه وطروحاته الفكرية والنفسية سابقا وحاضرا ولما لا مستقبلا.

ومن هذا المنطلق لي أن أتساءل عن البدايات الأولى للقصة، وكيف كانت رحلة الإنسان

---

[1]-القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت، ص03.

[2]-المرجع نفسه، ص03.

معها؟ وكيف تصرّف وسط هذه الحياة، وأخذ مكانه بين الموجودات؟ وكيف استطاع أن يواجه مصادفاته الغريبة الرهيبة؟

ولا شك أن الجولة السابقة في رحاب القصة، الرفيق الأول للكائن البشري، كشفت عن كوامن جدير أن أؤكدها ومن جديد، «بأن القصة كانت نوعا من الأحلام والأماني تراءت في ليل الحياة الطويل، ثم تجمعت في ذاكرة الزمن القديم، وتنقلت من عهد إلى عهد ومن مهد إلى مهد، ومن بلد إلى بلد تحمل في طواياها نفحات الحكمة العالية وعطور الأزمنة البعيدة فوجودها أثر لوجود الإنسان»[1].

ولست مبالغا إذا في اعتبار القصة بأنها أقدم ما عرف الإنسان من تصورات عقله، وصيد خواطره وطوارف أحلامه، وهواجس رؤاه، كما أنه لن اعتبر مبالغا إذا قلت إن القصة حركت في الإنسان القوى الكامنة بداخله.

وفجرت ينابيع وسيل أفكاره، وتوقد مشاعره وأحاسيسه؛ كل هذا من أجل «البحث عن الكلمات التي يضعها على شفتيه، ليصور بها هذه الأهوال التي تضطرب في أعماقه، وتملأ مسارب تفكيره وتتراقص على مسرح خياله، والتي تولد منها ما عرف فيما بعد باسم "القصة" أو "الحكاية" والتي احتفظ منها التاريخ ببعض هذه الأساطير، التي نراها في مخلفات اليونان، والفراعنة والهند، والصين، وبابل، وآشور، وغيرها من الأمم التي صحبت الحياة منذ فجرها الأوّل، والتي لم تكن هذه الأساطير التي سطرتها إلا رموزا باهتة، وإلاّ إشارات خافتة بما كان يموج في كيانها من خواطر وتصورات... وما يقع في يقظتها ونومها من خيالات وأوهام... إنها ليست إلا قطرات مما أفاض به الوعاء الذي كانت تتدفق فيه مشاعرها، وتتسرب فيه أفكارها، مما يطرقها من الحياة، وتحمل الحياة من كائنات»[2].

هذا ما تعلق بالإرهاصات المادية الأولى لظهور القصة التي جعل منها الإنسان ملجأ يحتمي به، ويفسر بها ظواهر الكون المختلفة لذا اعتبر الإنسان البطل الأول في القصة فهي ظاهرة طبيعية كالغناء والشعر والرقص فلا تعرف لها أولية ولا تحدد في الغالب لظهورها علة.

أما علماء الأساطير فيرون أنها نشأت في الهند، وهاجرت منها إلى بلاد الفرس، ثم استقر بها

---

[1] -نحوت في قصص القرآن. السيد عبد الحافظ عبد ربه. ط1. دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص26.

[2] -القصص القرآني في منطوقه ومفهومه. عبد الكريم الخطيب. ص04.

المطاف في إطار الغرب، وفي كل مرحلة من هذه المراحل كانت تصطبغ بصبغة البيئة وتتأثر بخصائص الجنس وتتسم بسمات العقيدة[1].

إن العلاقة التي جمعت الإنسان بالقصة قديمة قدم البشرية ذاتها بغض النظر عن نوع هذه العلاقة فيكفي أنها تاريخ لأحداثه وصراعه المتواصل مع الطبيعة ومظاهرها المختلفة، وانتهاء بتأليهها أو جعلها أنصاف آلهة.

فماذا عن وجود القصة في الحياة العربية بعد هذه التوطئة، التي شملت الإنسان الأول وعلاقته بها، فأقول : هل عرفت القصة في الحياة العربية القديمة ونقصد بها الفترة الجاهلية، أم هي فن دخيل أتى من الثقافات الأجنبية، ومهما كان الأمر وبناءا على معطيات سأقدمها في حينها لنكشف بدورنا نحن خبايا هذا العالم المجهول – القصة- في الحياة العربية عموما، وفي الأدب العربي خصوصا.

أولا–القصة عند العرب في الجاهلية:

إن موضوع القصة عند العرب عموما من المواضيع الشيقة التي شغلت الباحثين والمهتمين بهذا الفن كونها لصيقة بالجنس البشري عبر مراحل حياته المختلفة، وما يهم في مثل هذه المواقف هو الحديث عن وجودها في الحياة العربية أو عدم وجودها كونها لاقت العديد من الأفكار والأطروحات سواء أكان ذلك إثباتا أم نفيا.

كما يجدر وقبل التطرق إلى القصص القرآني، تبيين ملامح القصة في الحياة العربية، وفي الأدب العربي إن كان لها وجود هنا أو هناك أو إن كانت لها سمات واضحة محددة إن ثبت وجودها، ولاشك أن مثل هذه الالتفاتات تعين على فهم الخطاب القرآني وسرده القصصي، خاصة وأن القرآن قد نزل وفق طرائق العرب في التعبير ووفق مدركاتهم وتصوراتهم، فهو بلسانهم الذي ينطقون، وعلى أسلوب فصاحتهم، وهذا وجه من وجوه إعجازه.

لقد قلت آنفا إن موضوع القصة في الأدب العربي من المواضيع الهامة، التي كثيرا ما أسالت حبر أقلام الباحثين والمهتمين بهذا اللون النثري من فنون الأدب، وخاصة عند العرب.

هذه القصة التي طرح بشأنها العديد من الإشكالات والتساؤلات منها: هل عرف الأدب

---

[1]- بحوث في قصص القرآن، السيد عبد الحافظ عبد ربه، ص26.

[2]- المرجع نفسه، ص 08.

العربي القصة؟ إلا أنه ينبغي أن ينظر إلى هذا السؤال من زاوية أخرى ، فيما يخص الحكايات التي تملأ الكتب العربية ، أليست من نتاج عربي ؟ ألا تعبر عن واقع الحياة العربية في وقت من الأوقات ؟

ولا أكون من المغالين إذا اعتبرت سلفا ودون التطرق إلى من أثبت ومن نفى وجود القصة في الحياة العربية، أن العربي نفسه قد عرف هذا اللون النثري، على اعتبار أن القرآن الكريم قد نزل وفق طرائق العرب إذ ليس من المعقول أن يجيء القرآن الكريم بهذا القدر الكبير من القصص وفي معرض الدعوة إلى الله، وفي تثبيت العقيدة على ركائز قوية من العبر والعظات المستوحاة من هذه القصص، وليس من المعقول أن يأخذ القصص هذا المكان البارز في القرآن ، ثم لا يكون للعرب رصيد من القصص الذي نسجته من واقع حياتها، كما أن لنا أن نتصور سلفا أيضا أن هذا القصص العربي على شيء كبير من الشبه بالقصص القرآني، في الغاية المتوخاة منه، وهي العبرة والعظة بما ضمت عليه القصة من مضامين المواقف والأحداث ، فالقصص القرآني كما يقول محمد أحمد خلف الله: «هو القصص الذي وصلنا سليما، وهو الذي نثق فيه، ونطمئن إليه، ومن هنا نستطيع أن نعتبره الصورة الأولى للقصة العربية»[1].

ولما كان القرآن الملهم والمعجز بأسلوبه وسر فصاحته، كان من اللازم الوقوف على القصة عند العرب، ومدى أثرها، وتأثرها بالبيئة حولها، ليكون الحكم على أساس من الواقع والحق، إذ اعتبر بعض الدارسين أن قسوة الحياة الطبيعية في البيئة الصحراوية العربية أثرت سلبا على الخيال الإبداعي لدى العربي، لأن مظاهر الحياة في الجزيرة العربية اتسمت بالقسوة الشديدة سواءً في الطبيعة أم في طريقة العيش ، فهناك جدب وجوع وحر وقر وعواصف ورياح ، وجبال ورمال ، ومع هذا كله حروب وغارات تتأثر لأتفه الأسباب وتقع في كل زمان ومكان ، فكانت هذه المظاهر تلقى في أذهان أصحابها ظلالا من الشؤم والجمود والبعد عن التفاؤل والانطلاق .

إن الواقع هذا فرض على الشاعر العربي آنذاك نوعا من الالتزام بالواقعية، الأمر الذي جعله بعيدا في بعض الأحيان عن الرؤى والخيالات، وربما يرجع هذا إلى قسوة الحياة وما اكتنفها من حروب.

فمثلا عنترة بن شداد العبسي الشاعر الجاهلي البطل، وبطولته هذه تكاد تكون أسطورة فلو أنه عاش في أمة غير عربية لاتخذوا منه بطلا أسطوريا يكاد يكون إلها أو نصف إله، وعنترة في أشعاره

---

[1]-الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله، ط3، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، 1965م، ص14.

لم يتعد حدود المعقول والواقع، فيقول عن نفسه متحدثا دون إسراف أو مبالغة:

لما رأيت القوم أقبل جمعهم ... يتذامرون كررت غير مذمم

يدعون عنتر والرماح كأنها ... أشطان بئر في لبان الأدهم

ما زلت أرميهم بثغرة نحره ... ولبانه حتى تسربل بالدم

فأزور من وقع القنا بلبانه ... وشكا إلي بعبرة وتحمحم

ولقد شفى نفسي وأبرأ أسقمها ... قبل الفوارس ويك عنتر أقدم[1].

ويقول أيضا وهو يفخر ببطولته ومواقفه في الحرب:

ومدجج كره الكماة نزاله ... لا ممعن هربا ولا مستسلم

جادت له كفي بعاجل طعنة ... بمثقف صدق الكعوب مقوم

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ... ليس الكريم على القنا بمحرّم

فتركته جزر السباع ينشنه ... يقضمن حسن بنانه والمعصم

ومشك سابغة هتكت فروجها ... بالسيف عن حامي الحقيقة معلم[2]

إنها الحقيقة أو هي ما دون الحقيقة في هذه الصورة التي يرسمها عنترة لنفسه في شعره، وماذا كان يقول عن موقفه هذا لو أنّه حكاه حكاية بغير الشعر وخيال الشعر؟ وعنترة كغيره من الشعراء العرب يعتزون بشخصيتهم ولا يحاولون أبدا أن يلبسوها غير لباسهم.

إنّ عنترة بن شداد صوّر لنا الواقع تصويرا دقيقا، ونقل لنا صورة حقيقية عن نفسه ، دون مبالغة أو إسراف، لأننا نعلم بطولته ، وفي نفس الوقت نعلم أنه ضعيف أمام قوى الطبيعة وأحداث الحياة ، ولهذا فقد كان واقعيا في نقل حقيقة كيانه ، فهو لا يزهو كثيرا بما عنده من قوة وشجاعة ، لأن هذه الحقيقة المتعبة لا تثبت وأن تزول ولا يبقى إلا الواقع مجردا فتلتقطه شاعريته كما هو عن المبالغة والخيال.

---

[1] ديوان عنترة بن شداد العبسي، دار بيروت للطباعة والنشر، 1422هـ - 2001م، ص 24.

[2] نفس المصدر السابق، ص 24.

إنّ التمسك بالواقع والنفور من كل جديد، يعدّ سببا من أسباب عدم انتشار الأدب التمثيلي في الأدب العربي لذا فإن ما سيق من أشعار للبطل العربي عنترة بن شداد كلها كانت تصب في قالب الواقعية والالتزام بها في الشعر باعتباره ديوانا للعرب، ومنه فإن الأدب العربي كان واقعيا ليس فيه خيال جارف، فلم تجنح به شطحات الخيال إلى مجاوزة الواقع والخروج عن حدوده حتى في الشعر والقصة.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا لم يكن للعرب خيال كهذا الذي نسج لليونان هذه الملاحم؟ لماذا لم يقم شاعر عربي بمثل ما قام به «هو ميروس» مثلا فيصنع إلياذة كإلياذته، تحكي الحروب التي كانت تدور في الجزيرة العربية على صور صارخة متصلة؟.

وإن الإجابة عن مثل هذه التساؤلات تقود إلى استعراض آراء الباحثين والدارسين الذين نفوا وجود فن القصة في الأدب العربي القديم، ومن اتبع نهجهم.

لقد أنكر بعض الدارسين على أن يكون العرب قد ألموا بفنون أدبية كثيرة منها القصة: «كان العرب يعرفون ملوك اليونان حتى كيلوباترة، ويعرفون أباطرة الرومان، أما أمثال توسيديد من المؤرخين فلم يعرفوا عنهم شيئا حتى ولا أسماءهم ولم يأخذوا عن هوميروس أكثر من عبارته المشهورة: (يجب أن يكون الحاكم فردا) ولم يكن لهم معرفة بالقصصيين الإغريق ولا بشعراء الأغاني، ولم تؤثر الثقافة اليونانية في العرب إلا من طريق الرياضيات والطبيعيات والفلسفة»[1].

إن هذا القول ينفي أن يكون العرب قد تأثروا باليونان في مجال الفن القصصي والملحمي، وإنما كان تأثرهم بفلسفتهم ورياضياتهم.

ويجد هذا القول صدى لدى البعض من الباحثين فيقول أحدهم: «إن العرب أخذوا عن اليونان فلسفتهم وحكمتهم كما نقلوا عنهم إلى العربية علوما شتى كالطب والنجوم، وغيرها. ولكنهم لم يأخذوا عنهم فن القصص وخاصة القصص التمثيلي»[2].

ثم يضيف في مكان آخر: «أما القصة بمعنى اختراع الأشخاص وتمهيدا لمكان وابتكار

---

[1]-تاريخ الفلسفة في الإسلام، ده بور، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1981، ص26.

[2]-الأدب القصصي عند العرب، دراسة نقدية للقصص القديم ، موسى سليمان، ط5 ، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة ، 1983م ، ص17.

الحوادث وخلق الوقائع ونفض الصفات على مثليها على أن يتجه كل ذلك إلى غاية واحدة ويدرج إلى غرض معين، فذلك ما لم يعن به العرب و لم يتوجهوا إليه»[1].

أما توفيق الحكيم فينفي أن يكون للعرب ميثولوجيا أو خيال واسع، فأدبهم خال من الملاحم والقصص والتمثيل، باعتبارهم نشأوا في بيئة لا تساعد على منح العقل العربي آنذاك معطيات الخلق والإبداع فيقول: «كل تفكير العرب وكل فن العرب في لذة الحس والمادة لذة سريعة، مفهومة، مختطفة اختطافا، ركضا على ظهور الجياد، كل شيء قد يحسونه لا عاطفة الاستقرار، وكيف يعرفون الاستقرار وليس لهم أرض ولا ماضي ولا عمران، دولة أنشأتها الظروف و لم تنشئها الأرض، وحيث لا أرض لا استقرار، وحيث لا استقرار فلا تأمل، وحيث لا تأمل فلا مثيولوجيا ولا خيال واسع ولا تفكير عميق ولا إحساس بالبناء كل شيء عند العرب الأدب زخرف، الأدب نثر وشعر ولا يقوم على البناء فلا ملاحم ولا قصص ولا تمثيل»[2].

ومثل هذه الآراء كثير غيرها، وكلها تنطق بأن العرب لم يعرفوا فن القصة، و لم يحسبوه فنا أدبيا قائما بذاته، و لم يلتفتوا إلى التراث القصصي اليوناني ليترجموا بعضه كما فعلوا في الفلسفة والعلوم اليونانية، فالذين يرمون الأمة العربية بضعف الخيال حيث لا يجدون في تراثها الأدبي، هذا القصص الملحمي، الذي يملأ مسرح الحياة بالآلهة، وأنصاف الآلهة الذين يرمون الأمة العربية بهذا لم يقعوا على التعليل الصحيح لخلو التراث الأدبي العربي من مثل هذا القصص الملحمي، هذه الملاحم التي أغرقت في الوهم والخيال فارتفعت بالآدميين إلى سماوات الآلهة، وأنزلت الآلهة إلى دنيا الناس، وخلطت بعضهم ببعض، وجمعت بين السماء والأرض فكانت تلك المشاهد الحربية التي قبلها العقل وعاش فيها زمنا تجمع الغرائب والنقائض.

هذا عن الباحثين الذين قالوا بخلو أو نقص الأدب العربي من القصة والملاحم التي كانت موجودة عند الإغريق، ويرجع هؤلاء النقاد عدم اهتمام العرب بالفن القصصي إلى جملة من المعطيات وهي:

أولا: إما أن يكون الأدب العربي قد كان فيه شيء من هذا في دور مبكر من حياته، دور الرؤى والأحلام، فكان هناك شعر مغرق في الخيال، يصور الواقع العربي على نحو ما فعل شعراء

---

[1]-الأدب القصصي عند العرب ، موسى سليمان، ص17.

[2]-المرجع نفسه ، ص 18.

اليونان في تصوير حروبهم، وأن هذا الشعر قد ذهب به النسيان كما يذهب بكثير من الأحلام، إلا أن هذا الفرض لم يقم له دليل من أدلة التاريخ ينبئ عنه أو يحدث به.

ثانيا: قلة الأساطير: «... **فالعربي غير عميق في تخيله، وهو الذي** استوطن الصحراء المجدبة وعاش عيشة بدوية لا يعرف لها مسكنا إلا بيوتا من الشعر، **ثروته ناقته أو** عنزته، دائم الارتحال يسعى وراء المرعى قنوع بالقليل، لا تكتنفه غير الرمال الشاسعة **فلذلك نشأ** قليل الأساطير، **ثم** قليل القصص لاتصال الأولى بالثانية»[1].

أي أن الطبقة العربية لم تكن تتقبل **أحلام اليقظة والإغراق في الخيال**، حتى في دور طفولتها الأولى، وأنها كانت في وعي دائم، ويقظة كاملة منذ يومها **الأول في الحياة** تحت ظروف الحياة القاسية التي لا تدع لأحد أن يغفو أو ينام.

ثالثا: إعتداد العربي بأدبه، ورأى بأن ما فيه يغني عن آداب الشعوب الأخرى، لذا كان الاهتمام منصبا على ترجمة الكتب العلمية والفلسفية من اللغتين اليونانية والفارسية.

رابعا: أن فن القصة عند العرب يتطلب الروية والفكرة **وإمعان النظر** ، وطول التفكير ، كما يتطلب الإلمام بطبائع الناس ، وقد عرف العرب باختصار القول ودقة التعبير .

خامسا: ذكر الآلهة والأصنام في الإلياذة منعهم من نقلها إلى العربية خوفا منها على عقائدهم الدينية، خاصة وأنها تؤله الأبطال، وتجعل منهم أنصاف آلهة، لأن الأدب اليوناني أدب وثني فيه آلهة متعددة، وفيه عدة أبطال، والذوق العربي حين ترجمت العلوم ذوق مسلم لم يستسغ هذا النوع من الأدب الوثني[2].

إلى جانب هذا الإجحاف في حق **الأدب العربي**، ومحاولة لطمس التراث **الأدبي** عامة والقصصي بصفة خاصة، يوجد من المستشرقين ومن الباحثين العرب، من لا يسلم بهذه الآراء والأفكار تسليما كليا، بل نراهم في كثير من الأحيان يقفون إلى جانب التراث القصصي العربي مدافعين يصدون عنه **تهجمات النقاد مندفعين إلى القول: «كما أن أوروبا مدينة بديانتها لليهود،**

---

[1]-القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، ص21.

[2]-ضحى الإسلام ، أحمد امين، ط10، دار الكتاب العربي، بيروت، 1933، ج1، ص281.

فكذلك هي مدينة بقصصها للعرب»[1].

وقد حاول المستشرق جب[*]، وقد شغل إدارة معهد الدراسات الشرقية بجامعة اكسفورد أن يؤكد على أثر الأدب العربي في الآداب الغربية، وخاصة أدب القصة في القرون الوسطى فوفق توفيقا كبيرا إلى ذلك في بحثه القيم في كتاب تراث الإسلام، وللبارون كرادوفو[**] بحوث مطولة في الحكايات العربية الكثيرة وهو القائل: «إنه لم يسبق الأدب العربي أي أدب آخر في نوع الأقاصيص»[2].

وإن إيراد هذه الأقوال لا يقر بالفنية العالية للقصة العربية التي توجد عليها الآن، فقد تميزت –القصة العربية– ببساطتها، ويسر شأنها، ووضوح أمرها، وبعدها عن التفلسف والتعمق، وذلك يرجع إلى قلة الأساطير، كما يرجع إلى الحياة البسيطة التي كان يعيشها العرب آنذاك، فقد كان بعيدا عن التعقيدات الحضارية التي ربما تميزت بها بيئة الفرس والهند، فكل هذا أدى إلى قلة الأساطير عند العربي، وبالتالي نشأ قليل القصص واضحة لارتباط هذه بتلك.

ولا يفوتنا هنا ونحن نستعرض آراء المنصفين من الباحثين فيما يتعلق بالقصة العربية أن هناك

---

[1]–الأدب القصصي عند العرب، موسى سليمان،ص25.

[*]–جب (هاملتون) (1895-1971) Hamilton Alexander Roskeen Gibb مستشرق إنجليزي ولد في مدينة الإسكندرية (مصر) وتوفي في إكسفورد، تعلم في اسكتلندة في المدرسة الثانوية المالكية في أدنبرة وفي 1912 دخل جامعة أنبرة، حيث تخصص في اللغات السامية: العربية، العبرية والآرامية، تحصل على درجة الماجستير M.A من جامعة لندن، وعين في 1921 مدرسا للغة العربية. زار الشرق وانكب على دراسة الأدب العربي المعاصر، ثم صار فيما بعد أستاذ للغة العربية في جامعة أكسفورد، ثم زميلا في كلية سانت جون بأكسفورد، ويتوزع إنتاجه في ثلاثة ميادين: الأدب العربي، التاريخ الإسلامي، الأفكار السياسية الدينية في الإسلام.

انظر: موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، تموز/يوليو 1993، ص174.

[**]–كرادوفو (1867-1953)Baron Bernard Cara De Vaux : مستشرق فرنسي ولد في مدينة بار على نهر الأوب في 03 فبراير 1867، عيّن أستاذا في المعهد الكاثوليكي في باريس، فقام بتدريس اللغات الشرقية، وخصوصا اللغة العربية، وهو أحد مؤسسي مجلة (الشرق المسيحي)، من إنتاجه العلمي: دراسة حول (عقيدة الإسلام) سنة 1909م، (العبقرية السامية والعبقرية الآرية في الإسلام) سنة 1907، وقد اهتم بتاريخ العلوم عند العرب، فحقق وترجم العديد من الأعمال إلى الفرنسية.

انظر: موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ص462.

[2]–المرجع نفسه، ص26.

ما يشبه الإجماع من النقاد على أن العرب قبل العصر الحديث قد عرفوا القصص، والواقع أن العرب، كما يقول، زكي مبارك «كجميع الأمم لهم قصص وأحاديث وأسماء وخرافات وأساطير يقضون بها أوقات الفراغ، ويصورون بها عاداتهم وطباعهم، وغرائزهم من حيث لا يقصدون»[1].

وهذا يثبت أنه ما خلت فترة في تاريخ أي أمة من الحكايات والقصص، أيا كان نوعها ومستواها، في الفن، فضلا عن أن التراث الأدبي للعرب يكذب ما يدعيه بعض المستشرقين في هذا السبيل.

وعلى ضوء هذا يقول فاروق خورشيد في أن «العلماء مجمعون على أن العرب في الجاهلية كانت لهم قصص كثيرة ومتعددة، فقد كانوا مشغوفين بالتاريخ والحكايات التي تدور حول أمجادهم وملوكهم وفرسانهم وشعرائهم، وكتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني، يكاد يكون ذخيرة كاملة من القصص الذي تناقله الناس عن شعرائهم ومجالسهم وملوكهم، وليس كتاب الأغاني هو المرجع الوحيد في هذا بل إن المكتبة العربية غنية بأمثال «الأغاني» و«الشعر والشعراء»، وكتب الطبقات، بما لا يدع مجالا للشك في أن الفن القصصي، قد تناول الحياة الجاهلية في كل مظاهرها، إلا أن الدارسين المحدثين، رفضوا بكل بساطة أن يعتبروا هذا القصص نثرا جاهليا، واعتمدوا في هذا على أن كل هذه الكتب إنما دونت في العصر العباسي، الذي يبتعد بعدا زمنيا كبيرا إلى حد ما عن العصر الجاهلي»[2].

إن فاروق خورشيد يبين لنا أن تدوين القصص والأخبار قد عرف عند العرب في العصر الجاهلي ، وأن الذين قاموا بتدوين أخبار الجاهليين في العصر العباسي قد اعتمدوا إلى جانب طريق الرواية والحفظ على ما خلفته الجاهلية من كتابات ومدونات ، وقد يكون من المعقول نقل قصيدة شعر دون تدوين ، أما أحداث التاريخ وحكاية حياة فهذه تحتاج إلى تدوين في نقلها.

إن النثر الجاهلي لا يقتصر على الأمثال والخطب وما أثر عن كهان الجاهلية من سجع غامض، وإنما قد عرف القصص أيضا، فحياة العرب منذ الجاهلية مليئة بالأحداث، وألوان الصراع المادي المتمثل في الحروب والبحث عن الطعام والتطاحن السياسي على الحكم، وصراع العقائد

---

[1]-النثر الفني في القرن الرابع الهجري، زكي مبارك،د.ط ، منشورات المكتبه العصريه ، صيدا ، بيروت ، د.ت ، ج 1، ص241.

[2]-في الرواية العربية: عصر التجميع، فاروق خورشيد، ط3، دار العودة، بيروت، 1979، ص27، 28.

والعادات، والتقاليد وغيرها «إن هذه الحياة أخرجت كغيرها من حيوان الشعوب فنا قصصيا معبرا جديرا بمثل هذه الحياة، ومثل هذه الحضارة»[1].

إضافة إلى ما تقدم فإن محمود تيمور يبرهن بالأدلة اللفظية والمعنى اللغوي على معرفة العرب للقصة والحكاية: «فنحن الذين قلنا من غابر الدهر "قال الراوي" "ويحكى أن" "وزعموا أن" "وكان ما كان"، إلى آخر تلك الفواتح التي يمهد بها القصاص العربي في مختلف العصور لما يسرد من أقاصيص»[2].

إن حديث محمود تيمور في هذا المجال له دلالة، فهو أحد رواد القصة في الأدب العربي كما أنه يرى ان الأمة العربية كغيرها من الأمم، وليس كما ادعى المستشرق أرنست رينان[*] من خلو الأمة العربية من الخيال الإبداعي والابتكاري، فالقصة العربية كما يقول لها صياغتها التعبيرية الخاصة وقوالبها الأدبية المميزة، ويؤكد في هذا الصدد أن نظرة واحدة إلى ألفاظ اللغة توضح لنا وجود الفن القصصي كأحد وسائل التعبير، وكأحد أنماط تشبع الخيوط الروائية والحكائية، فوجود كلمة حكاية، تدل على أن ثمة شيئا قد وقع، وبدأ الراوي يحكيه، أو يحاكيه، أو يضاهيه، أو حكي عنه، وكلها دلالات تتفرع وتصب في نفس المصطلح "حكاية" فهو مصطلح لغوي لم يوجد عبثا، أو لمجرد اشتقاق لفظي بحت، وإنما هو دلالة مؤكدة على الرغبة والوجود المحقق لها، وعلى العنصر القصصي، ومن منا لم يسمع عن (حديث خرافة)، وخرافة هذا هو رجل رواية، استهوته الجن فعلمته الغرائب ومن ثم بدأ يحكي العجائب ما جعلها خارجة عن التصور العقلي مما سميت تبعا لذلك بالخرافة، وأيا كان المعنى فإن الخرافة قصة جميلة محبوكة يرويها راو قبض على ناصية التعبير، فشد أذهان الناس،

---

[1]-في الرواية العربية: عصر التجميع، فاروق خورشيد ، ص23.

[2]-القصة في القرآن، محمد قطب، دار قباء، القاهرة، 2000، ص144.

[*]-أرنست رينان (1823-1892) Ernest Renan: مستشرق ومفكر فرنسي، مؤرخ للمسيحية والفلسفةوصاحب آراء فلسفية، ولد في مدينة تريبه بفرنسا، درس في مدرسة دينية ببلدته، وانتقل إلى معهد سان سلبيس الديني الشهير، كي يتخرج منه قسيسا، ترك المعهد لتشكيكه في الأسس التي تقوم عليها المسيحية، ليدخل الجامعة ويتحصل على ليسانس من كلية الآداب، وحصل على الدكتوراه في الآداب من السوربون سنة 1852م برسالة كبرى عن (ابن رشد والرشدية)، ورسالة صغرى عن (الفلسفةالميشائية عند السريان)، وهما من الأعمال العظيمة المبكرة في تاريخ الفلسفة الإسلامية والسريانية.

انظر: موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984، ص548.

وانظر: موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ص311.

واستقطب مشاعرهم، وأثر فيهم[1].

ومهما قيل عن التراث العربي القصصي، فلا ينفي هذا ولا يلغي قيمة ما جاء عن الأمة العربية، وما أنتجته من قصص، فالعرب عرفوا القصة وإن حسبوها على هامش الأدب، ووضعوا الكتب القصصية الكثيرة، ولو غير بالغة الكمال، والعرب اقبلوا على تراث الأمم التي احتكوا بها وامتزجت حياتهم بحياتها، فترجموا أدب الفرس واعتمدوا في ترجماتهم القصصية على أقاصيص الهند. فمن الإجحاف أن نرمي العرب، في كل سانحة تسنح بالتقصير العلمي والتفكير السطحي، دون أن نتعمق في دراسة آثارهم الفكرية، فقد أخذ العرب عن غيرهم ما أخذوا، وتأثروا بهذه الأمم تأثرا يتفاوت في العمق والمقدار ثم أعطوا من نتاجهم أمما كثيرة أخرى، وأثروا فيها آثارا عظيمة، وخاصة في القرون الوسطى، وكان لهاتين الحركتين الأثر والتأثر.

ومهما كان الأمر فلم يفقد الأدب العربي خصوصيته، فلا يعيبه إن لم توجد فيه ملحمة مثل الإلياذة والأوديسية، كما لا يعيب الأدب الغربي إن لم توجد فيه المقامات، والشعر الإنجليزي لا يعيبه إن لم يصف الصحراء و لم يصف الخيل، ولا يعيب الشعر العربي أنه خلا من قصيدة في "البحيرة" مثل قصيدة "لامرتين" أو قصيدة "الأرض الخراب" "لأليوت"، ولا يعيب الشعر العربي إن توجه اهتمامه إلى الظواهر والحسيات، كما لا يرفع من قيمة الشعر الغربي اهتمامه بالميثولوجيات[2].

ومهما قيل عن القصة ووجودها في الحياة العربية، فإنه لا بد من الاعتراف بأن العرب من الأمم التي أخذت بنصيب من هذا الفن الجميل، وأثر عنها فيض من ذلك الأدب الرفيع، حتى وإن جحد بعض الباحثين نصيبهم من هذا الفن، وهضموهم حقهم، ووصموهم بالخيال العقيم، ولكن المنصفين منهم قد هالهم هذا الجحود، و لم يرقهم ذلك النكران، فاعترفوا للعرب بالقصص التي ترجموها عن الفرس والهنود، وتزيدوا عليها في القاهرة وبغداد، وتحدثوا للناس عن قصص عنترة، وذات الهمة وجلوا عليهم ألف ليلة وليلة وأخبار ابن ذي يزن.

---

[1]-القصة في القرآن، محمد قطب، ص145.

[2]-الأدب الحديث بين عدالة الموضوعية وحماية التطرف، جابر قميحة، ط1، الدار اللبنانية المصرية، مصر، 1992، ص33.

ثانيا–القصة في القرآن:

إن دراسة القرآن الكريم لا تقتصر على أنه كتاب تشريعي، ولا على أنه أصل ديني ، أنزل لبيان الأحكام فقط، بل على كونه كتابا يقف في قمة البلاغة العربية، والإعجاز الفني بأسلوبه الذي أعجز سلاطين البلاغة وفصحاء العرب على أن يأتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

وإن المتتبع لكتاب الله ﷻ يدرك أنه قد بلغ حدا لا يبارى في احتوائه على أسرار جمالية وغايات فنية في بنائه وهيكله، ولذا كان عليّ أن أقف عند القصة القرآنية وأحللها ثم أقارنها بالقصة الفنية المعاصرة.

ولا ريب في أننا سندرك أن أسلوب القرآن الكريم نمط متفرد في نسجه وتركيب مفرداته. وعرض موضوعاته، وانسجام تام في ذلك كله، وهذا طبعا ينطبق على قصصه وما فيها من جماليات فنية كبرى بلغت درجة الإعجاز، فكان بذلك أسلوب القرآن الكريم الأمثل والأفضل لإيصال المبادئ والأفكار لأي كان من خلال أسلوبه القصصي المتفرد أو الروائي عبر أحداث القصة أو الرواية وعبر التحاور والتحادث القائم بين الأبطال والشخصيات[1].

فأضحت القصة القرآنية بهذا المفهوم وثيقة تاريخية عبر مختلف الأمكنة والأزمنة، ودون أن نترع من الأذهان اعتمادها على كثير أو قليل من عنصر الخيال، الذي من شأنه أن يلون الأحداث بألوان غير ألوانها، وأن يبدل ويغير في صورها وأشكالها، وذلك لكي تبدو الأحداث مختلفة في وجوهها عما ألف الناس أن يروها عليه، وهذا ما تعتمد عليه في الغالب القصة في الإثارة والتشويق، خاصة وأننا قد أدركنا سابقا أنها فن يتلازم مع الإنسان منذ كان صغيرا، يسعد بالحكايات التي تقص له، فالقصة إذا تقدم للقارئ عوالم زاخرة بحيوات متغايرة وبأجواء مختلفة، وبأشخاص متنوعة، وبصراع يدور بين خير وشر، وعدل وظلم، فتثير في النفس العواطف وتجذب القلوب إلى السماع والترقب والفعل[2].

---

[1]–دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ط1، دار البلاغة، بيروت، 1409هـ–1989م،ص5.

[2]–القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، ص39.

1-معنى القصص في اللغة:

مادة قصص واردة في اللغة، فيقول ابن فارس في معجمه (مقاييس اللغة) «القص يدل على تتبع الشيء، مأخوذ من قولك: اقتصصت الأثر، إذا تتبعته»[1].

ومن ذلك اشتقاق (القصاص) في الجراح، وذلك أن يفعل به مثل فعله بالأول، فكأنه اقتص أثره، ومن الباب: القصة، والقصص: حيث يتبع فيذكر.

ومن الباب، قص الشعر: وذلك أنك إذا قصصته فقد سويت بين كل شعرة وأختها فصارت الواحدة كأنها تابعة للأخرى مساوية لها في طريقها[2].

وجاء عن الإمام الراغب الأصفهاني، في كتابه المفردات عن القصص:-القص- تتبع الأثر، يقال قصصت أثره، والقصص الأثر، والقصص الأخبار المتتبعة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران: 62].

والقصة على وزن فعلة: من قصص الشيء يقصه قصا، بمعنى تتبعه لأمر وغاية ينتهي إليها من ذلك التتبع[3].

ومدلول القصة في اللغة الحكاية عن خبر وقع في زمن مضى لا يخلو من بعض عبرة مع شيء منه التطويل في الأداء[4].

وجاء في لسان العرب: والقصة: الخبر وهو القصص: وقص علي خبره يقصه قصا وقصصا: أورده، والقصص: الخبر المقصوص، بالفتح، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه، والقصص، بكسر القاف، جمع القصة التي تكتب.

والقص: البيان، والقصص، بالفتح: الاسم والقاص: الذي يأتي بالقصة على وجهها كأن

---

[1]-معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، مادة (قص)، ط 3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1402هـ-1981م، ج05، ص11.

[2]-المصدر نفسه، مادة (قص)، ج5، ص111.

[3]-القصص القرآني، عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي، ط1، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت 1419هـ-1998، ج1، ص19-20.

[4]-بحوث في قصص القرآن، السيد عبد الحافظ عبد ربه، ص44.

يتتبع معانيها وألفاظها، وقص آثارهم يقصها قصا وقصصا وتقصصها: تتبعها بالليل، وقيل: هو تتبع الأثر أي وقت كان، قال تعالى: ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف:64]، وكذلك اقتص أثره وتقصص، ومعنى ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ أي رجعا من الطريق الذي سلكاه، ويقصان الأثر أي يتتبعانه[1].

والخلاصة من الأقوال السابقة ومن التعاريف اللغوية الواردة في المعاجم، نلاحظ أن مادة (قصص) تقوم على التتبع، سواء كان التتبع ماديا كقص العظام، وقص الشعر، وقص الأثر، أو كان التتابع معنويا كقص الأخبار، وقص الكلام.

أما أن يطلق معنى القص (التقصي وتتبع الأثر) بهذا المفهوم على إطلاقه على القصة القرآنية، فلا يمكن لأن التقصي في القصة الأدبية قد يحتمل الصدق والكذب، وهذا يتنافى مع القصص القرآني، لأن السارد فيه هو الله، وهو لا يحتاج إلى تقصي الخبر وتتبعه لمعرفة صدقه من كذبه، لأنه مطلع عليه بصورة كلية وشاملة، من قبل حدوثه وأثناء حدوثه، وبعده، فهو كلي العلم، وليس ناقص المعرفة، لكي يضطر إلى استكمال معلوماته حول خبر معين لكي يقصه ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ [الأعراف: 7]، وهو يروي قصصا واقعية وحقيقية تستند على الصدق المحض كمعيار تفريقي على القصص الأخرى غير الصادقة، أو التي تحولت إلى خرافات وأساطير وحكايات شعبية وتاريخية ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران: 62]، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [يوسف: 3][2].

وأما الفرق بين القِصص والقَصص، فنوضحه كالآتي:

القصص بالكسر: جمع قصة، تقول فلان يكتب القصص ويرويها، والقصص بالفتح: فهي الأخبار والروايات التي يتتبعها القاص ويرويها، كما أنه يرد بمعنى المصدر، فتقول: قَصَّ، قَصًّا،

---

[1]-لسان العرب، ابن منظور، مادة (قصص)، دار المعارف، القاهرة، ج5، ص3651.

[2]-القصة القرآنية مصطلحا، عبد الستار جبر الأسدي، مجلة المشكاة، ثقافية محكمة تعنى بالأدب الإسلامي، مج8، العدد: 32، 1420هـ-2000م، وجدة، المغرب، ص48.

وقَصَصًا[1].

2-مفهوم القصة في القرآن الكريم:

لقد شاع استعمال كلمة القصة ومشتقاتها في القرآن الكريم مما يدل على ذيوع عنصر القصة في الأدب والحياة قبل الإسلام، وهذا لأن القرآن قد جاء معجزا في اللفظ والمعنى والتعبير والصورة مما ألجم الشعراء، وجعل الناس ينصرفون عن الشعر إلى القرآن الكريم ليجدوا فيه الزاد والمتعة والجمال والحق، كما وردت القصة أيضا في مجالها التعبيري لغاية الإعجاز، لأنها عرفت قديما وسط العرب الجاهليين.

فكانت بذلك أسلوبا متميزا ومنفردا من أساليب التعبير القرآني حتى قبل أن تخلو سورة من قصة أو بعض من قصة أو ملمح من ملامح القص، ولفظ «القصص» على اختلاف اشتقاقاتها وتصريفاتها، وردت في القرآن الكريم ثلاثين مرة:

-في صورة الفعل الماضي أربع مرات.

-في صورة الفعل المضارع أربع عشرة مرة.

-في صورة فعل الأمر مرتان.

-في صيغة القصص ست مرات.

-وفي صيغة القصاص أربع مرات[2].

ومن حيث السرد القصصي، فقد وجدت في القرآن ما يزيد عن خمسين قصة ما بين طويلة وقصيرة ومتوسطة، وما بين قصة ترد كاملة في موضع من المواضع كقصة يوسف عليه السلام، أو موزعة على سور كثيرة كقصة موسى عليه السلام، أو يرد طرف منها هنا وطرف هناك، وفق المقام الذي يقتضيها والسياق الذي يستدعيها، وإن دل هذا عن شيء فإنما يدل على الأهمية التي يوليها القرآن الكريم لهذا اللون التعبيري لما له من قدرة على الإنسراب في النفس والتأثير فيها، وهي بذلك تحتل مكانة رفيعة في نفوس البشر على اختلاف أجناسهم ولغاتهم، ومللهم ونحلهم لما فيها من استهواء

---

[1]-القصص القرآني، عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي، ص21.

[2]-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ص[illegible]54

للنفوس وتوجيه هدايتها على نبيه ﷺ فيقول: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: 3]، ويقول أيضا: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود:120][1].

كما يساق القصص القرآني لغايات وأغراض أخرى كالموعظة والعبرة و لإيناس. من ذلك ما أخبر الله به نبيه ﷺ قائلا: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾[طه:99]، وقال في موضع آخر: ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾[الأعراف:101].

وإن مفهوم القصة في القرآن يحدده ما ورد فيه من أنباء خاصة سيقت على وجه العبرة للمصدقين والردع للمكذبين فهي محدودة الدائرة التي علم الله سبحانه حاجة العباد إلى التعريف بمضمونها، وذلك كأنباء الأنبياء مع أقوامهم أو غير أقوامهم، وكأنباء غير الأنبياء في تلك الدائرة وبقدر الحاجة. كما ستعمل القرآن خبر و لنبأ بمعنى التحدث عن الماضي وإن كان قد فرق بينهما في المجال الذي استعملا فيه جريا على ما قام عليه نظمه من دقة وإحكام وإعجاز، فستعمل نبأ و لأنباء في الأخبار عن الأحداث التي مضى زمن بعيدا بها ولفها في أضوائه، على حين استعمل الخبر و لأخبار في الكشف عن الوقائع القريبة العهد بالوقوع، أو التي لا تزال مشاهدها قائمة ماثلة للعيان[2].

والقصص القرآني في نظمه ومادته، لم يشتمل أبدا على شيء من واقع الحال، أو من متوقعات المستقبل، ضرورة أن هذا القصص من قبيل الأنباء أي الأخبار التي شط بها الزمن وبعدت بها دهوره وعصوره، وهذا فهي من أنباء الغيب، والقصة في القرآن لا تصور الأحداث الدائرة في محيط الدعوة. ولا تصور الأحداث المستقبلة التي تتنبأ بانطلاق هذه الدعوة وظروفها عبر المستقبل، لأن القرآن قد تكفل بكل هذه الأحداث الدائرة المستقبلة بعيدا عن الأسلوب القصصي ونهجه وتولى بالضرورة كشف النقاب عن كثير من الحوادث والشؤون، وقت نزوله وإبان تنجيمه وترتيله فأخبر سبحانه عن فتح مكة ودخول الناس أفواجا في دين الله بقوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ. وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي

---

[1]-في الإعجاز البلاغي لقرآن الكريم، وليد قصاب، ط1، دار القلم، الإمارات العربية المتحدة، 1421هـ-2000، ص184.

[2]-بحوث في قصص القرآن، حسنين محمد محمد مخلوف، ص44.

دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [سورة النصر:1-3].

وعلى هذا الأساس فليس من المعقول أو المتوقع أبدا إقحام الأحداث الجارية أو الآتية في الأسلوب القصصي في القرآن، ذلك لأن القصص ليس مجرد أحداث تروى، وتحكى، وإنما هي أحداث تتفاعل وتتحرك وتلد العبر والعظات، وكل هذا وفق خصائص فنية لأجل تحقيق الغرض الديني الذي سيقت القصة من أجله، بل إن الخصائص الفنية خاضعة خضوعا كاملا ومطوعة تماما لتحقيق هدفا القصة في الدعوة والتربية وكما يقول سيد قطب «إن التعبير القرآني يؤلف بين الغرض الديني والغرض الفني، فيما يعرضه من الصور والمشاهد، بل لاحظنا أنه يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية، بلغة الجمال الفنية، وإدراك الجمال الفني الرفيع يشي بحسن الاستعداد لتلقي التأثير الديني، حين يرتفع الفن إلى هذا المستوى الرفيع، مستوى التعبير عن العقيدة وحين تصفو النفس لتلقي رسالة الجمال تبلغ في العقيدة حد الكمال»[1].

وتقوم القصة في القرآن على قواعد أساسية هي:

1-أقر القرآن الطريقة المباشرة، الصريحة، بعيدا عن الإيحاء والرمز مع الاهتمام بجوهر الخبر لا بتفاصيله، والتركيز على العبرة المستمدة من النواميس الكونية للمجتمعات، والسنة الطبيعية التي تحكم البشر، وبذلك تتحرر القصة من كل ما يتعلق بالتفاصيل التي يصبح الاستطراد فيها هدفا في حد ذاته، وحجابا عن الغاية الأصيلة، وهي الاتصال بالنفس الإنسانية وتقديم العبرة لها بصرف النظر عن الحواشي المتعلقة بالزمان والمكان.

2-القصة في القرآن هي الصدق والواقع فقد أقر القرآن «الصدق» كمنهج أدبي ورفض أعذب الشعر المبالغات وصحح الأخبار، وحرر الوقائع كلها من الأساطير والخرافات، وأبعدها عن التهاويل والمغريات، بحيث تصبح الصورة الحقيقية هي ما يقدم بين أيدي الناس، وهذا الصدق في القصص القرآني، لا ينطبق على أي من قصص البشر، إذ تتفاوت في هذا الضرب نسبة الحق إلى الباطل والصدق إلى الكذب، بل قلما ترجح فيه نسبة الحق، أما ما يحكيه القرآن فحق كله، صدق جميعه.

3-إن منهج القرآن في القصة هو إخبار بالواقع المجرد، وتتبع آثار الحقيقة، وقد سجل القرآن على نفسه هذا المنهج في قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ...﴾ [آل عمران:62] وقوله ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف:111]. وقوله ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف:03].

---

[1]- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ط13، دار الشروق، القاهرة، 1993، ص119-120.

4-القصص في القرآن مصدر للعبرة، وكشف عن سنة الله الثابتة في خلقه ونواميسه النافذة في المجتمعات، كل ذلك وفق خصائص فنية راقية[1].

وهذه الخصائص الفنية لم تجعل من القرآن الكريم كتابا تروى فيه الحكايات للتسلية أو الإمتاع أو كتاب تاريخ يسرد أخبار ووقائع الأمم، وسير الحاضرين لمجرد الإخبار والحكي، وإنما تساق لأغراض إيمانية عقدية كثيرة، فالقصة القرآنية تحقق هذه الأغراض الدينية السامية بنجاح واقتدار من خلال وفائها العجيب بمتطلبات التعبير الجميل والأدوات الفنية الراقية ويقول سيد قطب في هذا الشأن: «إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى تحقيق هدفه الأصيل، والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها، شأنها في ذلك شأن مشاهد القيامة وصور النعيم والعذاب، وشأن الأدلة التي يسوقها على البعث وعلى قدرة الله، وشأن الشرائع التي يفصلها والأمثال التي يضربها... إلى آخر ما جاء في القرآن من موضوعات»[2].

ومهما التقت القصة القرآنية مع القصة البشرية في ملامح عامة، هي من طبيعة القص قديما وحديثا: كالأحداث والشخصيات، والصراع، والحركة، والحوار، وما شاكل ذلك، فإن لها فرادتها وتميزها على كل أسلوب تعارف عليه البشر.

ثالثا-الفرق بين القصص القرآني والقصص البشري:

تنفرد القصة القرآنية عن القصة البشرية في العديد من الخصائص والمميزات ، هذه الخصائص هي التي تجعل من القصة القرآنية معجزة، وإن تعريف القصة كما تواضع عليه النقاد، «هي عرض لفكرة مرت بخاطر الكاتب، أو تسجيل لصورة تأثرت بها مخيلته، أو بسط لعاطفة، اختلجت في صدره، فأراد أن يعبر عنها بالكلام، ليصل بها إلى أذهان القراء، محاولا أن يكون أثرها في نفوسهم مثل أثرها في نفسه»[3].

وإن تعريف القصة بهذا المفهوم لا ينطبق كل الانطباق على مفهوم القصة القرآنية، فهي ليست خاطرة في ذهن الله، ولا هي تسجيل لصورة تأثرت بها مخيلته، ولا هي بسط لعاطفة اختلجت في صدره،فأراد أن يعبر عنها بكلام ليحدث أثراً في نفوس القارئين مثل أثرها في نفسه، وهذا ما

---

[1]-خصائص الأدب العربي: في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، أنور الجندي، ط2، دار الكتاب اللبناني، 1985. ص335.

[2]-التصوير الفني في القرآن: سيد قطب: ص119.

[3]-التعبير الفني في القرآن، بكري شيخ أمين، ط6، دار العلم للملايين بيروت، أيار/مايو، 2001، ص06.

يقودنا إلى التطرق لإبراز الفرق بين الأسلوب الإلهي المعجز في قصصه، وبين القصص الأدبي.

إن القصة القرآنية تُعنى بنسج الوقائع التاريخية، بحقيقتها، دون احتمال أو إمكان أما القصة البشرية فتخضع لعناصر مصطنعة قد تشكل حبكة القصة التي تحوم الوقائع عليها، وهذا يجرنا إلى التساؤل الآتي: لماذا لا يجيء القرآن بقصص الأحداث الواقعة الدائرة في محيط الدعوة الإسلامية، أو بأحداث مستقبلة تتنبأ لسيرها عبر المستقبل، كما نرى ذلك في كثير من القصص الأدبية التي يكشف أصحابها عن أحداث الحياة المطلة على المستقبل؟[1].

أما الإجابة على هذا فهي على العكس تماما، فقصص القرآن أبانت في أكثر من مرة، عن أحداث وقعت في المستقبل كالمعركة التي كانت بين الفرس والروم، وأن الروم هم من سيغلب: ﴿الم. غُلِبَتْ الرُّومُ﴾ [الروم: 1-2].

كما أخبر عن فتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجا في قوله ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ. وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [سورة النصر]، وأخبر أيضا عن هزيمة المشركين يوم بدر فقال ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[القمر: 45].

إن هذه الآيات تفند آراء الذين قالوا بأن القرآن لا ينظر إلى المستقبل، فجاءت الأحداث وكأنها شاخصة أمامهم.

وإذا كان كلاهما فنا قوليا يتخذ من اللغة أداة تعبيرية، ومن الحكي وسيلة للكشف عن الشخصية ومن السرد طريقا إلى التصوير، فإنهما يختلفان من حيث المنطلق، فليس في القصة القرآنية تتبع كامل لحياة الشخصية وشبكة أحداثها، وإنما هو اختيار مبثوث عبر السور، لتوضيح موقف ما، أو إبراز صراع بين الدين والوثنية، وأبطال القصة القرآنية هم قادة الأمم ورسلها إلى الصلاح. أما القصة الأدبية فأبطالها رجال عاديون حيث تصف الرواية الرجل العادي، فتعبر عن العاديين من البشر الذين نراهم ونتعامل معهم[2].

---

[1]-القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، ص46.

[2]-القصة في القرآن، محمد قطب، ص24.

والقصة القرآنية تمتلك الإثارة الوجدانية، لأن قارئها أمام حدث واقعي، أما القصة الفنية فيكون الانفعال فيها فنيا، حيال أحداث وهمية يفتعلها القاص، ومن هنا تكمن أهمية القصة القرآنية التي تتعامل مع الواقع، بدلا من المحتمل، محققة بذلك عنصر الإقناع عمليا، وليس مجرد إقناع لما هو محتمل الوقوع[1].

كما أن القصة القرآنية تُعنى بتصوير الأحداث، أكثر من عنايتها بالحديث عن الأشخاص، لهذا نجد في القرآن الكريم ذكرا لبعض القصص في أكثر من موضع، كقصة موسى وفرعون، ونوح مع قومه، وهود مع قبيلته، وقد يتكرر ذكر الحادثة في موضع آخر إذا وجدت مناسبة لذلك، تقتضي ذكرها من زاوية أخرى.

وأما القصص الأدبي فإنه يهتم بذكر الشخص أكثر من اهتمامه بالحادثة، لأن هذا النوع من القصص يعتمد على الخيال والأوهام والأحلام، والناس يميلون إليها لأنهم يحبون أن يرو أنفسهم في غيرهم، وأن يشهدوا الإنسان وقد واجه الموقف بقطع النظر عن كونه حقيقة أو خيال، بل الخيال كلما كان أوسع وأعمق كان جذبه للمخاطب أشد وأوقع.

ويقول محمد قطب :«والقرآن الكريم يتناول القصة بريشة التصوير المبدعة فتصبح القصة حادثا كأنها تقع أمامك، ومشهدا تراه عينك، لا قصة تروى، ولا حادثا قد مضى وانتهى، إنها تحمل الماضي المستمر عبر الحاضر إلى المستقبل، والإبداع القصصي في القرآن، لا يتأتى إعجازه وجماله وصدقه من ناحية اللفظ أو من ناحية المعنى، أو من ناحية الحدث، أو من ناحية النسق العام، ولكن يتأتى من المنهج الكامل الفريد، المتمازج الذي يذوب كل عنصر من عناصره في العنصر الآخر، وإن استحضار المشاهد في القصة القرآنية، والتعبير الموجه يبدو وكأنه مشهد حاضر مؤثر، فكيف لعقل بشري أن يؤدي تعبيريا ما يعبر عن الأداء التعبيري القرآني»[2].

أضف إلى الفروق بين القصتين، أنهما يختلفان في الوصف والعرض، فالوصف في القصة القرآنية يتميز بالصدق التام، أما القصة الأدبية لا تلتزم بذلك في بعض الأحيان، فقد تتخللها بعض الأحداث المبالغ فيها نوعا ما، وأما من ناحية العرض فإن المقصد فيما يتصل بمقاصد القرآن الكريم، ومقاصده في أعلى درجات السمو والرفعة، فهو كتاب هداية من العليم الخبير الذي لا يخفى عليه

---

[1]-دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ص07.

[2]-القصة في القرآن، محمد قطب، ص166.

شيء ولا يعجزه أمر[1].

وعليه، فإن قدسية النص القرآني وحدها كفيلة بأن لا تقاد كثيرا في توضيح وتبني مثل هذه الفروق، لأن القرآن الكريم معجز في تراكيبه وألفاظه، ومثل هذا الانقياد قد يؤدي بنا إلى السقوط في مطبات نحن في غنى عنها، لان القياس مع الفارق لا يعقل، وقد عنيت بتوضيح جمال الفن في القصة القرآنية الذي بدا واضحا في وحدة الموضوع، ووحدة الشخصية، وعرضه المتفرد والمعجز للأحداث، كل ذلك بوسائل الغاية في الجمال والتأثير، وكذا الحوار بين الشخصيات، الذي اهتم بإبراز الحالات النفسية، كما لا يصح أن تحكم مقاييس الفن القصصي في الأدب البشري، بصورة آلية مطلقة، على ما جاء في القرآن الكريم «فهو ليس كتاب أدب، وقد ابتدع فيه الخالق منطقه، كما ابتدع فنه والقصص القرآني قصص ديني قبل كل شيء، فلا يمكن النظر إليه من زاوية أدبية صرف، وقد جاء لخدمة أغراض متنوعة، فلا يمكن تفسيره بالاعتماد على نظرية واحدة»[2].

ويقول أبو هلال العسكري، وهو يفرق بين القصة والحديث ومنشئ كليهما «ولا يقال لله قاص، لأن الوصف بذلك قد صار علما لمن يتخذ القصص صناعة»[3]. وأبو هلال العسكري بقوله هذا يدعو إلى الاحتراز في إطلاق صفة القاص على الله تعالى لأنه وصف يتعلق بمن كانت حرفته القص، وهذا يتنافى مع الله في أن يتساوى مع البشر.

---

[1]-بحوث في قصص القرآن، السيد عبد الحافظ عبد ربه، ص47-48.

[2]-سيكولوجية القصة في القرآن، التهامي نقرة، الشركة التونسية، 1974، ص170.

[3]-الفروق في اللغة، أبو هلال العسكري، تحقيق: لجنة التراث العربي، ط7، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1411هـ-1991م، ص33.

الفصل الأول:

السرد في القصة القرآنية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

القرآن الكريم كتاب لا تنقضي عجائبه، لما له من سمات إعجازية عديدة ومتنوعة، وغايات بلاغية بلغت درجة الإعجاز، فيما انطوى عليه تعبيره الفريد في نظم أسلوبه، وسبك سوره ووضوح معانيه وجلاء أهدافه، فكان أن درس هذا الأسلوب دراسات مستفيضة، وأولي من النظر ما لم ينله نص آخر في الدنيا، فدرس من حيث تصويره الفني، فكان أجمل تصوير، وأبرع لوحة فنية.

كما يذكر أيضا -سيد قطب- أن تعبير القرآن عن الأغراض الدينية كان محققا لمتعة فنية عالية لا نجدها في غيره من الكتب، فقال: «إن التعبير القرآني يؤلف بين الغرض الديني والغرض الفني، فيما يعرضه من الصور والمشاهد، بل لاحظنا أنه يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية، بلغة الجمال الفنية، وإدراك الجمال الفني الرفيع يشي بحس الاستعداد لتلقي التأثير الديني، حين يرتفع الفن إلى هذا المستوى الرفيع، مستوى التعبير عن العقيدة، وحين تصفو النفس لتلقي رسالة الجمال التي تبلغ في العقيدة حد الكمال»[1].

فالتعبير القرآني إذا تعبير فريد في علوه وسموه وهو أعلى كلام وأرفعه، وأنه بهر العرب، فلم يستطيعوا مداناته، والإتيان بمثله، مع أنه تحداهم أكثر من مرة وفي كم من موضع قرآني هذا فضلا على أنه سحرهم ببيانه، فلم يتمالكوا أنفسهم عند سماعه، ولذلك سعوا إلى أن يصل الأذن لأنهم يعلمون أن مجرد وصوله إلى السمع يحدث في النفس، دويا هائلا وهزة عنيفة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: 26].

ويقر الوليد بن المغيرة بهذا التميز المتفرد للنص القرآني، فيقول «والله إن لقوله حلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه»[2].

ويظهر هذا التميز المتفرد للنص القرآني في سرده لقصصه وعرض سير أحداثها في فنية عالية، هذا السرد الذي اعتمد على النواحي التاريخية والوصفية في تحديد مواقع الأحداث والإسهاب في طريقة عرضها، ورسم شخصياتها، ولما كان هذا المنهج النقدي الذي اعتمد في تحليل القصة عموما، والقرآنية خصوصا، لما له من مزايا تساهم في تبيان الجانب الفني فيها، بغض النظر عن أصوله

---

[1]-التصوير الفني في القرآن. سيد قطب . ص119-120.

[2]-التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي. ط2، دار عمار، عمان، الأردن، 1422هـ، 2002م، ص10.

وامتداداته الفكرية والفنية التي سأتطرق إليها بإسهاب متتبعا خطوات اعتماده كمنهج في تحليل القصة القرآنية مع الأخذ بعين الاعتبار الخصوصية القدسية للكتاب العزيز.

ومن هذا المنطلق فستكون الدراسة منصبة على النقاط الآتية:

1-مفهوم السرد.

2-السرد القصصي القرآني.

3-فنيات السرد القصصي القرآني.

أولا-مفهوم السرد:

1-التعريف اللغوي:

ورد تعريف السرد في بعض المعاجم اللغوية على النحو الآتي:

جاء في لسان العرب تحت مادة (سَرَدَ):

السرد في اللغة تقدمة شيء إلى شيء تأتي به متسقا بعضه في إثر بعض متتابعا.

سرد الحديث ونحوه يسرده سردا إذا كان جيد السياق له، وفي صفة كلامه، ﷺ لم يكن يسرد الحديث سردا، أي يتابعه ويستعجل فيه، وسرد القرآن: تابع قراءته في حدر منه.

والسرد: المتابع، وسرد فلان الصوم إذا ولاه وتابعه، ومنه الحديث: كان يسرد الصوم سردا، وفي الحديث أن رجلا قال لرسول ﷺ: (إني أسرد الصيام في الشهر، فقال: إن شئت فصم، وإن شئت فافطر)، وقيل السرد السهر، والسرد: الحلق، وقوله تعالى: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ: 11]، قيل: هو ألا يجعل المسمار دقيقا والثقب واسعا، فيتقلقل، أو ينخلع أو يتقصف، اجعله على القصد وقدر الحاجة، وقال الزجاج: السرد والسمر، وهو خارج من اللغة، لأن السرد تقديرك طرف الحلقة إلى طرفها الآخر[1].

وأما تعريفه في جمهرة اللغة فعلى النحو الآتي:

---

[1]-لسان العرب، ابن منظور، مادة(سرد)، ج3، ص1987، 1988.

السرد: النظم والخرز أيضا مسرودا إذا نظم، وكل شيء [سرد] وصلت بعضه ببعض، فقد سردته سردا، ومن هذا قولهم: سرد القرآن سرده سردا، إذ قرأه حدرا[1].

ويقال جاءت الإبل سردا، إذا جاء بعضها يتلو بعضا[2].

وجاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس على النحو الآتي:

سرد: السين والراء والدال أصل مطرد منقاس، وهو يدل على توالي أشياء كثيرة يتصل بعضها ببعض، من ذلك السرد: اسم جامع للدروع وما أشبهها من عمل الحلق.

قال تعالى في شأن داوود عليه السلام: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾[سبأ 11]، قالوا: معناه ليكن ذلك مقدرا لا يكون الثقب ضيقا والمسمار غليظا، ولا يكون المسمار دقيقا والثقب واسعا بل يكون على تقدير[3].

وجاء في المعجم الوسيط:

يقال سرد الحديث أتى به على ولاء جيد السياق

(تسرد) الشيء: تتابع، يقال: تسرد الدر، وتسرد الدمع، وتسرد الماشي، تابع خطاه. والحديث كان جيد السياق له[4].

لقد نظرت هذه المعاجم اللغوية إلى السرد، وما يتصل به من مسائل فنية متجاوزة البعد اللغوي والمعجمي إلى المستوى المنشود في جودة النظم والسياق وحسن التقدير والتتابع.

2-التعريف الاصطلاحي:

السرد مصطلح نقدي حديث يعني عند عزالدين إسماعيل: «نقل الحادثة من صورتها الواقعة

---

[1]-جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين بيروت (تشرين الثاني)، نوفمبر 1987، ج2، ص628.

[2]-المصدر نفسه، ص1163.

[3]-معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، مادة (سرد)، ج3، ص157.

[4]- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، ج1، ص426.

إلى صورة لغوية»[1].

فعز الدين إسماعيل في تعريفه هذا، نلمس منه خروجا عن التعاريف السابقة (اللغوية) التي اعتبرت السرد على أنه جودة النظم والسياق وحسن التقدير والتتابع.

وهناك تعريفات أخرى لم تتجاوز في معظمها الرؤية التراثية مثل مصطفى صادق الرافعي الذي نظر إلى السرد على أنه: «متابعة الكلام على الولاء، والاستعجال به، وقد يراد به أيضا جودة سياق الحديث وكأنه من الأضداد»[2].

وقد عده حميد لحمداني، طريقة يميز بها كيفية التعرض لقصة ما باحكي، أي هو أحد أنماط الحكي فيقول: «وكما هو معروف أن الحكي بصفة عامة يقوم على دعامتين أساسيتين

أولاهما: أنه يحتوي على قصة ما تضم أحداثا معينة، وثانيتهما: أن يعين الطريقة التي تحكى بها تلك القصة، وتسمى هذه الطريقة سردا، ذلك أن قصة واحدة يمكن أن تحكى بطرق متعددة،ولهذا السبب فإن السرد هو الذي يعتمد عليه في تمييز أنماط الحكي بشكل أساسي[3].

وعليه فإن التعاريف التي مرت تكون قد تعرضت للسرد في مفهومه الأدبي الصرف، دون أن نلمس فيها مفهوما واضحا يمكن من تطبيقه على النص القرآني، وربما يرجع هذا إلى اختلاف المصطلحات التعبيرية.

غير أن الذي ينبغي أن نتحسسه، ونحن نباشر المتن القرآني، هو كيف تصير تلك الألفاظ أو المادة اللغوية أجسادا حية تتحرك في فضاء النصية القرآنية[4].

ويوجد في تعريف عبد المالك مرتاض، نوع من التقارب في مجال السردية القرآنية فتعريفه

---

[1]-الأدب وفنونه، دراسة ونقد، ط8، دارالفكر العربي، القاهرة، 1422هـ-2002م، ص104-105.

[2]-تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1974، ج2، ص297.

[3]-بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني، ط3، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2000م، ص45.

[4]-مستويات السرد الإعجازي في القرآن الكريم، شارف مزاري، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001م، ص17.

قائم على الموالاة والاسترسالية، فيقول: «هو التتابع الماضي على وتيرة واحدة»[1].

كما أن في تعريفه الموالي لإشارة إلى جودة السبك وحسن النظم، وفي هذه عودة إلى التعاريف اللغوية في المعاجم العربية، فالسرد على اعتبار أنه الطرف الأول من ثنائية السرد/ الحكاية هو: «الطريقة التي يختارها الروائي أو القاص أو حتى المبدع الشعبي (الحاكي) ليقدم بها الحدث إلى المتلقي، فكأن السرد إذا هو نسج الكلام ولكن في صورة حكي، وبهذا المفهوم يعود السرد إلى معناه القديم، حيث تميل المعاجم العربية إلى تقديمه بمعنى النسج أيضا»[2].

وبعد عرض مجموع التعاريف اللغوية، والاصطلاحية عند النقاد العرب، والتي أجمعت في معظمها على أن السرد، هو طريقة الحكي أو القص، دون تميز بينها في إشارتها للسرد في القصة القرآنية.

وسأحاول فيما يأتي تحديد مفهومه عند النقاد الغربيين، كما سأقف عند أهم تصور نقدي لهم عن السرد مع توضيح العلاقة بينه وبين الأنماط الأدبية الأخرى.

3-القصة-الحكاية والسرد عند النقاد الغربيين:

ميز تودورف بين كل من القصة والخطاب متتبعا في ذلك توماشفسكي، الذي ميز بدوره بين المتن الحكائي والمبنى الحكائي، يقول تودورف: «إن القصة Histoire تعني الأحداث في ترابطها وتسلسلها، وفي علاقتها بالشخصيات في فعلها وتفاعلها، وهذه القصة يمكن أن تقدم مكتوبة أو شفوية، بهذا الشكل أو ذاك، أما الخطاب Discours فينظر لنا من خلال وجود الراوي الذي يقوم بتقديم القصة، وبخيال هذا الراوي هناك القارئ الذي تلقى هذا الحكي، وفي إطار العلاقة بينهما ليست الأحداث المحكية هي التي تهمنا (القصة) ولكن الذي يهم الباحث في الحكي بحسب هذه الوجهة هو الطريقة التي بواسطتها يجعلنا الراوي نتعرف على تلك الأحداث (الخطاب)»[3].

---

(1)-ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد، عبد المالك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، 1993، ص83.

(2)-المرجع نفسه، ص84.

(3)-تحليل الخطاب الروائي. (الزمن-السرد-التبئير)، سعيد يقطين، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، 1997، ص30.

لقد قصد تودوروف بالحكي هنا السرد، لأن بواسطته نتعرف على الأحداث ، كما ميز بين مظهريه- الحكي (السرد)- من خلال ترابط الأحداث وتسلسلها وعلاقة الشخصيات ببعضها ، وهذا ما نجده في القصة ،أما الخطاب فيركز على الحكي من خلال ثلاث جوانب : زمن الحكي ، وجهاته وصيغه .

لقد جعل تودوروف تحليل السرد ودراسته يتم وفق مستويات ثلاث: زمن الحكي، وجهاته، وصيغه، والمقصود بصيغ الحكي الطريقة التي يتم وفقها التحليل بالاستناد إلى العناصر المكونة له من شخصيات، وأحداث وحوار وزمان ومكان.

أما لوفيف ففي تعريفه للحكي يجعله متداخلا بين السرد والمحكي، فيقول: «كل خطاب يدفعنا إلى استدعاء عالم مدرك كواقع مادي أو روحي، وهذا العالم يقع في كل مكان وزمان محددين، وهو يعكس غالبا فكرا محددا لشخص أو مجموعة من الأشخاص بما فيها الراوي»[1].

فلوفيف يجعل الحكي يستوعب كلا من السرد والمحكي على النحو الآتي:

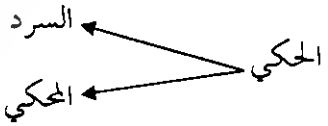

لقد فرق لوفيف بين السرد الذي جعله عبارة عن خطاب مادي (لفظي) وبين الحكي الذي اعتبره بمثابة العالم المتضمن للفضاء والشخصيات والأحداث .

أما جيرار جنيت فإنه يعطي ثلاثة مفاهيم للقصة: مفهوما أولا متداولا، وثانيا أقل تداولا، وثالثا قديما، أما الأول فهو الملفوظ السردي: الخطاب السردي سواء كان شفويا أم كتابيا-وهو بهذا الشكل يقول ما قاله تودوروف -يثبت علاقة حدث أو عدة أحداث ذلك أن جنيت يبني دراسته على العلاقات الموجودة بين مكونات الخطاب القصصي أما مفهومه الثاني، فإنه يعني عند مجلي المضمون السردي ومنظريه: تتابع الأحداث الحقيقية أو الخيالية التي هي موضوع هذا الخطاب، ومختلف علاقاتها التسلسلية والمتضادة، والمتكررة في حين يحددها المفهوم الثالث بأنها حدث السرد

[1]-تحليل الخطاب الروائي ، سعيد يقطين ، ص34.

ذاته[1].

ويقيم الناقد تحليله انطلاقا من المعنى الأول: الخطاب السردي، ويقصد به النص السردي، وهو عنده القصة من خلال علاقات مكوناتها ويحدد مصطلحاته كالآتي:

-الحكاية: (Histoire)، هي المدلول أو المضمون السردي، وإن كان ذا إلحاح ضعيف.

-القصة: (Récit)، ويعني بها الدال أو الملفوظ أو الخطاب أو النص السردي نفسه.

السرد: (Narration)، وهو الفعل السردي المنتج وتوسيعا لمعناه، الفعل السردي متخذا مكانا له ضمن الوضعية سواء أكانت حقيقية أم خيالية[2].

كما يقول جيرار جينيت بأن وظيفة السرد لا تكمن في إصدار الأوامر أو التعبير عن الأمنيات أو تعداد بشروط محددة، بل في حكاية قصة أي الإتيان بأفعال حقيقية أومتخيلة تروى في زمن محدد (ماضي، حاضر، مستقبل)[3].

إن التمييز بين الأبعاد الثلاثة (الحكاية، القصة، السرد)، يكتسي فائدة منهجية كبيرة، فمن جهة يتطلب تحليل الخطاب السردي دراسة العلاقات بين هذا الخطاب، وبين الأحداث التي يوردها، ومن جهة أخرى بين نفس هذا الخطاب والفعل الذي ينتجه حقيقة (الكاتب)، أو تخيلا (الشخصية الساردة)، إن الحكاية والسرد لا يوجدان إلا عن طريق القصة، وبالمقابل فإن القصة (الخطاب

---

[1]-خطاب الحكاية: بحث في المنهج جيرار جينيت، ترجمة محمد معتصم عبد الجليل، عبد الجليل الأزدي، عمر الحلي، ط3 ، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2003، ص37.

وجيرار جنيت (1930-) كاتب مقالات وشعري فرنسي، نشر بين عامي 1959و1965، مقالات عديدة في مجلات نقدية هي: «النقد» و«تيل كيل» و«المجلة الفرنسية الجديدة»، وجمعها سنة 1966 في كتاب «محسنات I» ثم أضاف مجلدين بالعنوان نفسه «محسنات II» (1969) و«محسنات III» (1972). كما له أيضا كتاب "خطاب الحكاية" و"عودة إلى خطاب الحكاية"، وهو أستاذ محاضر في المدرسة العليا للأساتذة ومدير الدراسات في مدرسة الدراسات العليا في العلوم المجتمعية، وأحد مؤسسي مجلة «الشعريات» وكتابها.

أنظر : خطاب الحكاية: بحث في المنهج، جيرار جينيت، ترجمة، محمد معتصم، عبد الجليل الازدي، عمر الحلي، ص14، 15.

[2]-المرجع نفسه، ص38-39.

[3]-خطاب الحكاية: بحث في المنهج جيرار جينيت، ص177.

السردي) لا تكون كذلك إلا إذا سردت حكاية، وإلا لا تكون سردا، كما ينبغي للقصة أن تحكى من قبل سارد ما. وإلا لا تكون خطابا، إن الخطاب السردي (الملفوظ السردي) كسرد يعيش بعلاقته مع الحياة التي يحكيها، وكخطاب يعيش بعلاقته مع السرد الذي يتلفظه، وتكون القصة دائما محكومة بمستوين زمنيين:

ا-زمن الفعل المسرود ب-زمن القصة[1].

وهذا ما سأتطرق إليه في فصل الزمن في قصة موسى عليه السلام.

وأما صاحبي كتاب عالم الرواية، رولان بورونوف، ريال اوئيليه، يتحدثان عن القصة Histoire، والسرد، Narration، والسرد هنا يأخذ معنى الخطاب، وسوزان روبين سوليمان، تتحدث عن النص السردي، وتميز ضمنه بين مستويين: مستوى القصة، ومستوى الحكي، وليس الحكي هنا إلا الخطاب بالمعنى الذي يوجد عند تودوروف أو جينيت[2].

كما أن السرد عندهما ما يحقق المتعة الفنية، وينجح في التأثير في نفس القارئ: «والسرد هو شكل المضمون (أو شكل الحكاية)، والرواية، هي سرد قبل شيء، ذلك أن الراوي عندما يكتب رواية ما يقوم بإجراء قطع واختيار للوقائع التي يريد سردها، وهذا القطع والاختيار لا يتعلقان أحيانا بالتسلسل الزمني للأحداث، التي قد تقع في أزمنة بعيدة أو قريبة، وإنما هو قطع واختيار تقتضيه الضرورة الفنية، فالراوي ينظم المادة الخام التي تتألف منها قصته ليمنحها شكلا فنيا ناجحا، ومؤثرا في نفس القارئ»[3].

4-القصة -القصص -السرد:

أ-القصة:

لقد ورد في التعاريف اللغوية السابقة للقصة أنها ترد بمعنى تتبع الأثر، إن كان التتبع ماديا

---

[1]-التحليل السيميائي للسرد (رواية «المعجزة» نموذجا)، محمد ساري، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد 14، ديسمبر 1999، ص133.

[2]-تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، سعيد يقطين، ص37.

[3]-تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، آمنة يوسف، ط01، دار الحوار، سورية، 1997، ص28.

وبمعنى قص الأخبار، وقص الكلام، إن كان التتبع معنويا.

أما مصطلح قصة بهذه الصيغة فلا وجود له، وإنما تندرج تحت لفظ «القصص» على اختلاف اشتقاقاتها وتصريفاتها الواردة في القرآن الكريم: كالقصص في قوله تعالى:﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران: 62]، أو تقصص في قوله تعالى: ﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ. . .﴾ [يوسف: 05] وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ [القصص: 25].

وجاء في تاج العروس قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: 03]، أي نبين لك أحسن البيان وقال بعضهم: القص البيان، والقصص الاسم[1].

ب-القصص / النبأ:

إستخدام القرآن الكريم مصطلحي الخبر والنبأ، وكلاهما ينضوي تحت تسمية و حدة جاء القرآن بها وهي (القصص)، مع فرق بينهما في المجال الذي استعملا فيه جريا على ما قام عليه نظمه من دقة وإحكام وإعجاز، ذلك أنهما جاءا بمعنى التحدث عن الماضي، فاستعمل النبأ والأنباء في الإخبار عن الأحداث البعيدة، زمانا أو مكانا، ولفها في أطوائه، فيقول مثلا في أصحاب الكهف ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الكهف: 13]، ويقول في شان الأمم الماضية، وما وقع فيها من مثل: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود: 100].

واستعمل الخبر والأخبار في الكشف عن الوقائع القريبة العهد بالوقوع أو التي لا تزال مشاهدها قائمة ماثلة للعيان، فيقول تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: 31]، ويقول جل شأنه فيما يكون من أحداث يوم القيامة: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا . بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ [الزلزلة: 04]، والتحديث بالأخبار إنما يكون في الوقت الذي تقوم

---

[1]-تاج العروس من جواهر القاموس، للإمام محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت، 1414هـ-1994م، مج9، ص335.

فيه الساعة، فتصف حالها وما جرى لها[1].

إن استخدام القرآن الكريم لمصطلحي الخبر والنبأ، جاء تقريبا بين الحدث القريب والحدث البعيد، لكن الاتفاق بينهما يكمن في التعبير عن مضمون قصة وقعت أو ستقع مستقبلا.

وهناك إشكالية أخرى أثارها عبد الكريم الخطيب، مفادها أن القصص إذا كانت تعبيرا عن أحداث وقعت في الماضي فلماذا لا نطلق عليها اسم الحكاية، وهي أقرب إلى موضوع هذه القصص، إذا كان إعادة للماضي، وتشخيصا، ومحاكاة له، لا سيما أن لفظ القصص يوحي بأن جانبا من الخيال قد اختلط به على خلاف الحكاية التي تدل على محاكاة مماثلة للحدث أو الأحداث دون تزيد عليها[2].

ويجيب عبد الكريم الخطيب عن تساؤله على النحو الآتي: «إن عرض القرآن للأحداث الماضية ليس محاكاة لها، ولا تمثيلا لشخوصها ومشاهدها، وإنما هو بعث لها وإعادة لوجودها، في النظم المعجز، الذي ينقل إلينا الماضي أو ينقلنا إليه، فنطالع هنالك وجود الحياة في زمانها ومكانها، حتى لكأننا أبناء هذه القطعة أو القطع من الزمن وأهله... فكان لفظ القصص أو القصة أنسب لفظ يطلق على تلك الأنباء التي عرضها القرآن، إذ أن ذلك أشبه بقص أثر الشيء وتتبعه، ثم الوقوف عليه بذاته، لا على صورته أو ما يشبه صورته»[3].

ويخلص عبد الكريم الخطيب إلى نتيجة مفادها أننا لا نستطيع أن نطلق لفظ الحكاية على القصص القرآني، لأن أحداثه واقعية، فلا يمنع من أن تلامس شيئا خياليا[4].

وأرجح استخدام لفظ القصص بدلا من الحكاية، ذلك أنني لم أعثر على مصطلح الحكاية أو أحد اشتقاقاتها وتصريفاتها في القرآن الكريم، هذا من جهة، ومن جهة ثانية تأدبا مع قدسية النص القرآني، لأن أحداث الحكاية قد تختلط بالحقيقة والخيال، أما أحداث القصة القرآنية فواقعية. فهو القصص الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

---

[1]-القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، ص 45-46.

[2]-المرجع نفسه، ص48.

[3]-المرجع نفسه، ص49.

[4]-المرجع نفسه، ص49

جـ-القص-السرد:

إن اللفظين يقتربان في المعنى اللغوي، ذلك أن السرد، وكما مر بنا سابقا هو: تقدمة شيء إلى شيء تأتي به متسقا بعضه في أثر بعض متتابعا[1].

والقصة أو القص بمعنى تتبع الأثر ماديا أم معنويا[2].

لقد دل كل من اللفظين على معنى واحد هو التتبع للأثر، لذا يمكن استخدام اللفظين للدلالة على الفعل نفسه.

وعليه فيمكن القول بأن النص القرآني قد تعامل مع مادة (قصّ) بأبعادها الدلالية، كما تعامل مع مواد مرادفة لهذه الدلالة وهي (الحديث، النبأ، التلاوة، والذكر)، وكلها تحيل إلى مدلول واحد هو الخبر الذي يشكل جوهر نواة السرد في النص القرآني، والمخطط الآتي يوضح علاقات هذه المرادفات الدلالية وارتباطها بالخبر:

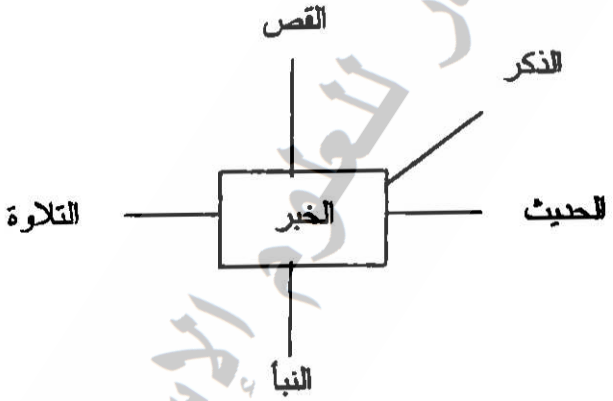

شكل (01): يوضح علاقة المفردات الدلالية وارتباطها بالخبر.

---

[1]-لسان العرب، لابن منظور، مادة (سرد)، ج3، ص1987، 1988.

[2]-المصدر نفسه، ج 5، ص3651.

إن هذه المرادفات تعطي الدلالة المعنوية نفسها، واستبعد الحكاية والرواية، والخرافة والأسطورة، حيث لم يستند عليها في خطابه السردي، مما يؤكد أنه يؤسس لنفسه منظومة معرفية واصطلاحية خاصة به تعطي دلالات تتعلق به فقط؛ فإقصاؤه لها كونها تنحرف إلى منطقة الخيال، والابتعاد عن الواقع في تشكيل نصوصها، بينما الخطاب السردي للنص القرآني لا يعتمد سوى على الحقيقة والواقع المعطى سلفا، لذا يتأسس مصطلح القصة القرآنية، من أرضية المفاهيم الدلالية لعالم الواقع الحقيقي، وليس الواقع الافتراضي أو المحتمل مثلما يسعى بعض النقاد الغربيين في محاولة تعريفهم للقصة الواقعية الأدبية كجان لوفيق الذي يطلق على اسم القص: «كل قول يستحضر إلى الذهن عالما مأخوذا على محمل حقيقي في بعديه المادي والمعنوي ويقع في زمان ومكان محددين»[1].

فالقصة القرآنية مصطلحا هي مجموعة من الأحداث والشخصيات الواقعية التي تروى وفق نسق سردي معين، وتندرج ضمن خطاب أعم متضمن في سياق السورة التي تنتمي لها بنية النص الكلية[2].

إن كل ما تقدم لتوضيح مفهوم السرد من تعاريف ونقد لها، وما اتصل به من علاقات تربطه بالمصطلحات والمفاهيم الأخرى، يظل غامضا، وربما يعود سبب ذلك الغموض إلى عدم اتفاق النقاد على مصطلح نقدي واحد، وذلك ما كان مثلا في التداخل بين المحكي والسرد عند لوفيف الذي جعلهما بمعنى واحد وهو الحكي، أو ما ارتبط به من معاني ومصطلحات أخرى، كالخطاب والقصة والحكاية، وغيرها عند كل من النقاد العرب أو الغربيين.

وإن إيرادي لمثل هذه الآراء هو لغاية الوقوف على المصطلح النقدي الذي اتفق عليه النقاد لأنه سيستمر معي في دراستي لأحد أهم عنصر سردي وهو الزمن في قصة موسى عليه السلام، وكوني أيضا أتعامل مع نص قدسي.

كما لا أود من خلال تطبيقه على نصوص القصة أن أغيّر أو أبدّل في معطياتها شيئا، وإنما الغاية إثبات الجانب الفني فيها، محاولا إيجاد مصطلحات تتماشى مع قدسية القرآن الكريم، وتحتب

---

[1]-بناء الرواية، سيزا أحمد قاسم، ط1، دار التنوير، بيروت، 1985، ص28.

[2]-القصة القرآنية مصطلحا، عبد الستار جبر الأسدي، المشكاة، ثقافية محكمة تعنى بالأدب الإسلامي، مج8، ع32-1420هـ-2000م، وجدة، المغرب، ص51.

المصطلحات المطبقة على العمل البشري المتمثل في الرواية الأدبية، وأن كل ما تعلق بالنص القرآني يظل سمة إعجازية، سواء طبق عليه هذا المنهج أم ذاك، فهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ثانيا–السرد القصصي القرآني:

1–السرد في القصة القرآنية:

إن تركيب القرآن يمثل روح الفطرة اللغوية التي وجدت عند العرب، فقد جاء وفق طرقهم في التعبير، وأنه لا سبيل إلى صرفه عن نفس أحد منهم، إلا أن هناك أمرا تنبغي الإشارة إليه فكون الخطاب القرآني جار على أساليبهم التعبيرية، لا يمانع مطلقا من أن هناك فرقا بين الأسلوبين، إذ لابد من الإقرار والاعتراف بأن أدبية الخطاب القرآني ومكونات النص فيه وهندسته، وأعرافه البلاغية خرجت عن المعهود والمألوف في التعبير الأدبي عند العرب، وكل هذه عوامل تأصيل متقن للتعبيرية القرآنية التي تتقاطع من حيث مظاهر التشكل مع التعبيرية التي صدرت عن أدبيات العرب في عصرها قبل الإسلام[1].

فأضحى النص القرآني بهذه الخطابية المتفردة نصا جماليا وفنيا، يصعب الخوض فيه، ولكون أسلوبه أيضا جار على كل جزئية منه، فغدا بهذا الشكل ظاهرة إعجازية مؤسسة على بناء جمالي باهر.

هذه الفنية التي لا يمكن استجلاؤها إلا بالنظرة الواعية الرشيدة التي تنهض على الذائقة الجمالية المتمثلة في العديد من المستويات كالقصة مثلا وأسلوب السرد فيها الذي لم يأخذ حقه من الدراسة المستفيضة والكافية، وإن وجدت دراسات فلا تخرج عن كونها سطحية، ولم تتجاوز حدود الاستحضارات البلاغية من بيان وبديع، كما لم تتجاوز مبدأ الانبهارية والإعجاب[2].

ولإزالة مثل هذه التوجهات التي ظلت لصيقة بالخطاب القرآني وأدبيته ردحا من الزمن ومن

---

[1]–الخطاب القرآني، مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، سليمان عشراتي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1986، ص3-4.

[2]–مستويات السرد الإعجازي في القرآن الكريم، شارف مزاري، ص7.

أجل تحسس المتعة الفنية فيه لابد من البحث عن وسائل جديدة من شأنها أن تحقق الغاية المرجوة من هذا الخطاب المقدس، كما من شأنها أيضا أن تزيل هذا التراكم المديحي الذي أحاله إلى تحفة بلاغية بعيدة عن الموضوعية والدراسة الرصينة التي من شأنها أن تستجلي مظاهره الجمالية المتعلقة بمعماريته المحكمة، وسرده المتنوع وإيقاعه العبقري بعيدا عن الاستعمالات البسيطة لآي القرآن لدعم شاردة نحوية، أو تأكيد ظاهرة فقهية، لأن كل نص أدبي، قابل للتجدد والعطاء، فبقدر ما نتعمق في العمل ونحن ندرس نصا أدبيا بقدر ما تتعدد زوايا الرؤيا فيه[1].

هذا التعدد الدائم والمتجدد يتحسسه القارئ في الخطاب القرآني، المنبثق عن القصة الفنية في القرآن الكريم، وأسلوب السرد فيها التي ولا شك أن كل ذلك قد كان في رونق من التعبير، وبديع في النظم، وجمال في الصورة، لذلك اهتم القرآن بها كفنّ تربوي فشغلت قسما كبيرا منه أي ما يقارب الربع إن لم يزد عليه.

والقصة القرآنية فن جميل، ومن حاول كشف أسرار جمالها، فلا شك أنه سيقف حائرا مذهولا أمامها، ولا يتأتى هذا العمل إلا بالفهم الأدبي للقصص القرآني، الذي يعتبر قليل التناول، وجديد في الدراسات القرآنية لما في القصص القرآني من قيم عقلية وعاطفية، ولما فيه من ظواهر أدبية وفنية لم تدرس و لم تعرض بالصورة المناسبة لها.

وطريقة الفهم الأدبي هذه تقوم على نوعين:

1-فهم حرفي يقوم على الوقوف على المعاني الأولى للألفاظ والأحداث والأشخاص.

2-فهم أدبي يقوم على الوقوف على ما في النص من قيم عاطفية وفنية.

وعليه فإنه يحق طرح السؤال التالي: هل كان القرآن الكريم يستخدم هذه العناصر من أحداث وأشخاص على الصورة التي كانت تعرفها عليها العقلية العربية في زمن النبي ﷺ، أو كان يرجع بها إلى الصورة التي وقعت بها الأحداث، وكان عليها الأشخاص في الزمن الذي وجد فيه الرسل ووقعت فيه الأحداث؟.

---

[1]-النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟ عبد المالك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983، ص54، 55.

إن مذهب القرآن فيما يتضح هو بناء القصة القرآنية على عناصر يستمدها من البيئة أو العقلية العربية، وليس ذلك إلا ليكون القصص أشد تأثيرا وأقوى سلطانا، وإلا كان نصا أدبيا عاديا في عرضه للأحداث والأشخاص، مع أن دور القرآن الفني ثابت في طريقة رسم الأشخاص، وفي تصوير الأحداث وفي إقامة الحوار. كما قد يكون في توزيع العناصر القصصية، وفي تحريكها الحركات التي تجعل كل عنصر قادرا كل القدرة على القيام بالدور الذي قدر له أن يلعبه في القصة، بحيث تنتهي كل الأشياء إلى المقاصد المطلوبة والأغراض المرجوة، وهذه الألوان من العمليات الفنية في السرد القصصي القرآني، إلا أن الأمر المهم في كل هذا هو فيما يخص المواد الأدبية من القصص القرآني، وكيف تم عرض القرآن للأحداث وللأشخاص وللحوار.

خاصة وأن عرضه لها قد تم في فنية عالية بلغت درجة الإعجاز، وجاءت بخطابية تعبيرية تعلو بالمضمون إلى المستوى الفني الراقي، فكان بذلك أسلوبا معجزا متفردا في خصائصه أثناء عرضه لقصص الأنبياء والأمم السالفة، فالقرآن حين يقوم بعرض هذه القصص نراه «يأخذ مواد القصص من أحداث التاريخ ووقائعه ولكنه يعرضها عرضا أدبيا ويسوقها سوقا عاطفيا، يبين المعاني ويؤيد الأغراض، ويؤثر بها التأثير الذي يجعل وقعها على الأنفس وقعا استهوائيا، يستلهم منها العاطفة والوجدان»[1].

ففي قصة موسى مثلا ينتقل من موضوع إلى موضوع، في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: 08] فلننظر إلى ما جرى له الكلام من علوّ أمر هذا النداء، وعظم شأن هذا الثناء، وكيف انتظم مع الكلام الأول، وكيف اتصل بتلك المقدمة، وكيف وصل بها ما بعدها من الأخبار عن الربوبية وما دل به عليها من الفصاحة، ولننظر كيف ينتقل القرآن من قصة إلى قصة ومن باب إلى باب من غير خلل يقع في نظم الفصل إلى الفصل، وحتى يصور لك الفصل وصلا ببديع التأليف وبليغ التنزيل[2].

لقد أراد الباقلاني أن يعلل للنظم والتناسق الفني بين الآيات في قصص القرآن بوجه خاص من

---

[1]-الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله ، ص124.

[2]-إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، 1411هـ-1991م، ص288-289.

حيث طريقة الأسلوب المعجز في القصص، وذلك في النظم والتناسق والترابط بين القطعة الفنية الواحدة باعتبارها كلاما لا تنقطع أوصاله، فالقصة في البلاغة العربية تحاك بأساليب شتى وفي أماكن متنوعة من القرآن الكريم، دون أن ينالها الضعف أو الخلل في نظمها، أو يؤثر على دقة تركيبها، وإنما المراد هو الإعجاز القرآني في الأسلوب وطريقة العرض وروح التركيب لم تعرف قط في كلام عربي غير القرآن، وبها انفرد نظمه وخرج مما يطيقه الناس ولولاها لم يكن بحيث هو كأنما وضع جملة واحدة ليس بين أجزائها تفاوت أو تباين.

فالقصة القرآنية إذن هي فن جميل، ومن حاول كشف أسرار جمالها، فلا شك أنه سيقف حائرا مذهولا أمام هذا الجمال المقتضب الدلالة خاصة وأن الفعل –قصّ– قد أسّس وضبط فنيا: «ولقد حدد القرآن الكريم فضاء دلاليا خاصا للفعل قصّ، وضمن هذا الفضاء الذي تحوّل إلى معيار قيمة نظمت شؤون القص بوصفه فعالية إخبارية عند العرب، فهو الخبر المقيد بالدقة والصواب والحق واليقين والاعتبار والتدبر والحسن، هذا هو القص الذي أسّس القرآن وجوده في الأدب العربي، وأصبح هذا الفضاء الدلالي هو الذي يحدد القيمة الاعتبارية للنص»[1].

وطريقة العرض التي تناولها الباقلاني ربما يقصد بها أسلوب القرآن في الخطاب، والمتمثل في إعجازه السردي لقصصه بالمصطلح النقدي الحديث، أو هو أحد صور السرد فيه، هذا السرد الذي كانت له أهمية كبيرة، وأهميته هذه استمدها من المكانة التي حضي بها القصص القرآني عند الباحثين والدارسين لهذه الوسيلة التربوية التي اتبعها الخالق لتبليغ أوامره للبشر، كما تعود مكانته أيضا في إطار التبليغ بعرض أحداث الماضي المتتالية، فهو سجل حافل بحياة الأولين، لأن القصص القرآني ثبت للأزمنة ومرجع للتاريخ وموضوع أسلوب السرد القصصي في القرآن الكريم من الأساليب التي تبرز عظمة الخالق، ومعرفة أسراره، والوقوف على دلائل الإعجاز القرآني، وأسرار البلاغة القرآنية، كما أن أسلوب السرد القصصي في القرآن في جانب كبير منه يتمثل في ترتيب حدثي توافر له زمانه، ومكانه أو أوحي بهما[2].

وإن تعامل هذا الأسلوب القصصي مع أحداث الماضي المتتالية في قالب سردي رائع يضيء

---

[1]–السردية العربية، عبد الله إبراهيم، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992، ص26.

[2]–البنية السردية في القصص القرآني، طول محمد، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ص1–2.

جانبا من حياتهم وطباعهم وطريقة تعاملهم، في حيز زماني ومكاني يذكر صريحا، أو يذكر ضمنيا، وأحيانا يكون ذكر المكان منعدما ليترك الفرصة للقارئ كي يتخيله، كل هذا ضمن ترتيب حدثي تحركه شخصيات في جو من الصراعات المتكررة والمختلفة، مضفية عليه طبيعة خاصة، فالصراع هو الذي يتحكم في سير الأحداث وهو الذي يتحكم في المنطق السردي القصصي، ثم يأتي الجانب الشكلي اللغوي الذي يتدخل بدوره في تحديد الأسلوب السردي القصصي للأحداث وصراع الشخصيات[1].

ويتنوع السرد في القصة القرآنية فيأخذ أشكالا ومستويات عدة من شأنها أن تضفي على النص القدسي رونقا وجمالا، واكتشاف هذه المستويات السردية في القصة القرآنية لا تنتهي، لأن النص القرآني يعطي إشارات عدة ومن جوانب مختلفة، أضف إلى ذلك أن النص القرآني يعتبر أغنى الآثار السردية، بأنواع السرد لما يتوفر له من مقومات السرد العبقري المعجز، كما أن هذه المستويات تظهر بوضوح في الآثار السردية التي ما يزال يجمع النقاد والباحثون على أنه لا يمكن لأي أثر سردي في تاريخ أدبنا العربي أن يكون أرقى وأغنى وأوفر حظا من هذه السحرية السردية التي يتميز بها النص القرآني.

2-من الأساليب السردية في القصص القرآني:

إن القصص القرآني عبارة عن تصوير واقعي لحياة كانت في عصور ماضية بأحداثها وأشخاصها وزمانها ومكانها وملابساتها، ثم يجيء القرآن فيقصها بأحسن القصص أسلوبا محكما وعرضا معجزا، وسردا متناهيا في غاية الدقة والإعجاز، والقصص القرآني بهذه الوجهة يمتاز عن غيره بخاصتين وهما:

1-سرده للمعجزات التي أيدت الأنبياء في رسالاتهم، وكذلك للخوارق التي يسوقها الله في القصص مع البشر العاديين، هذه القوى الغيبية واليد الخفية هي العنصر الفعال في هذه القصص لما تثير من الانفعالات القوية الحادة التي تملك على الإنسان حسه وشعوره، الأمر الذي لا يوجد في غير القصص القرآني، إذ هي الخوارق والمعجزات التي ظهرت في القصص القرآني ليست من صنع البشر

---

[1]-البنية السردية ودلالاتها في القصة القرآنية، قصة موسى أنموذجا، عائشة رماش، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد: 11، 1422هـ-2002م، ص135.

أبدا، ولا الطبيعة أبدا، ولكنها لا تحدث انفصالا في القصة أو توقفا أو تراجعا[1].

وإن إعادة سرد القرآن لأحداث هذه القصص على مسرح الحياة من جديد بهذا الأسلوب المعجز الأخاذ، ينقل الناس بإحساسهم ومشاعرهم ليعيشوا فترة مع هذا الحادث وتلك المعجزة التي مضى عليها قرون من الزمان وكل ذلك بواسطة الأسلوب البياني الذي امتاز به القرآن في كل أغراضه.

2-القصص القرآني جزء مهم في أسلوب السرد المعجز، فالحدث أين ساقه القرآن الكريم فهو معجز[2].

وهنا لا بد من طرح التساؤل الآتي، وهو أن النظم القرآني في تصويره لأحداث قصص الأنبياء والأمم السالفة لم يتجاوز الواقع ، ولكنه تصوير للحقيقة كما هي، فكيف للعقل البشري أن يجمع بين صدق في سرد الحوادث مع موافقة للواقع، وبين أسلوب يأخذ بالألباب ويغاير كل الأساليب؟

إن أسلوب القرآن المعجز في القصة القرآنية ليس إعجازه في عرضه للأحداث والحقائق التاريخية ، وليس إعجازه أيضا في أن يضيف على القصة التي ينقلها إضافات جديدة تكمل ما نقص، وتقوّم ما اعوج أو تحدث العكس فتنقص ما كمل، وتقوّض المعتدل من البناء.

كما أن القصص القرآني يقص الأنباء ويصف الأحداث، ويقرن العمل بعاقبته والجزاء عليها في بيان رائع، وتصوير صادق يجيش بالحياة والحركة، ولقد وصلت القصة القرآنية إلى هذا التأثير الوجداني الفعال بطرائق فنية وجمالية خاصة بها، عبر طرق مختلفة في العرض والسرد، ذلك العرض القصصي القائم على الانتخاب في اختيار الجزء من القصة والذي يتلاءم والسياق القرآني في الموضع الذي وردت فيه، والغرض الديني العام.

إن القرآن وهو يسرد القصة يقوم بعملية فنية يعتمد على الانتخاب في الوقائع والأحداث في إجمالي لا يحتاج إلى تفصيل، وهو مبدأ عرفته القصة البشرية حديثا حيث عمد المؤلف إلى تنحية كثير

---

[1]- الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، محمد محمود حجازي، ص306.

[2]-المرجع نفسه، ص310.

من التفاصيل الواقعية التي تضر بالحدث وترهل جسم القصة، باعتبارها فنا يحاول من خلاله القاص اقتناص لحظة خيالية يسكبها في نظام معين يحتاج القارئ إلى سبر أغواره للوصول إلى تلك الصلة الكامنة في هذا البناء الصغير الحجم الذي يحمل خصائص متقنة هذه الخصائص بين عدد من فنون الأدب حيث أن القصة تشمل في طياتها من القصيد بناؤه وتماسكه، ومن الرواية الحدث والشخوص، ومن المسرح الحوار واللغة، ومن المقال منطقية السرد ودقته، أي أنها تأخذ من هذه الفنون أجمل ما فيها لتقدم لنا إمتاعا فنيا راقيا، أضف إلى ذلك أنها صورة تعبيرية عن العصر والواقع المعاش مزجت بما أبدعه الخيال والابتكار[1].

ولا شك أن الحدث في القصة هو روحها، يمنحها الحياة، ويضفي عليها الحيوية، والحدث في قصص القرآن بارز ومسيطر يقوم بدوره من حيث التأثير وتوصيل الغرض الديني، والقرآن الكريم حين يمسك بالأحداث ويحرك الأشخاص، وينقل ما يقولونه مسبوقا بقال، فهو المهيمن على فن النص، وهو من الفن القصصي المسرود الذي عرفته البشرية فيما بعد ولقد سبق القرآن الكريم محاولات البشر في الهيمنة على النص القصصي، يقول فورستر عن تحكم الروائي وعلوه وانتخاب نصه القصصي بما يحدث التأثير المطلوب من النص: «يسير الروائي راسخ القدم، فهو شخص ماهر يجلس أعلى من عمله، يلقي شعاعا من الضوء هنا أو يتحرك مرتديا طاقية الإخفاء هناك، وهو يتفاوض مع نفسه كمبدع للشخصية عن أحسن تأثير يمكن أن يحدثه»[2].

ولا شك أن سمو السارد وارتفاعه يمكنه من القبض على الحدث والشخصية، ويساعده على التعرف على كنهها ومردوداتها على سرد الأحداث وتناميها.

ومن ثم يتلاءم أسلوب العرض القرآني مع انتقاء الحدث المسرود فينحي تماما كل ما لا يمت للحدث بصلة، وما لا يتلاءم مع الهدف الديني، ويخلص إلى التركيز حول محور الشخصية وجوهر الدعوة وردود الأفعال «فالقصة القرآنية قد التزمت طريقة الرواية التي تؤذنك دائما بأنك تسمع أخبارا قد ذهب أصحابها في التاريخ وانتهى دورهم في الحياة، وأنها في هذا الغرض إنما هي بعث جديد قد جاءت تسعى إليك أو أنك في رحلة زمنية عبر القرون الماضية إليها، فهي غائبة حاضرة

---

[1]-مدخل إلى عوالم القصة القرآنية، حامد الندوان، مجلة الكلمة، تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والابحاث، الكويت، العدد13، السنة الثالثة، خريف 1996م/1417هـ، ص157.

[2]-القصة في القرآن، محمد قطب، ص111.

معا، تحدثك بلسانها وتسمعك قولها»[1].

وتوجد في السرد القصصي القرآني على شكلين متمايزين، قصة مفتوحة، وقصة مغلقة، وهذا التمييز صاغته أدبية الخطاب القرآني، لأن السرد القرآني يأخذ العديد من المستويات والأشكال لذا نجد تنوعا في الأنماط السردية في القصة القرآنية «فالقرآن نسيج واحد في بلاغته، وسحر بيانه، إلا أنه متنوع تنوع موسيقى الوجود في أنغامه وألحانه»[2].

وقد أحصى عبد المالك مرتاض، هذا التنوع السردي، وهو يعالج نصا شعريا في أربعة أضرب:

1-خطاب مغلق، قصة مغلقة -2-خطاب مغلق قصة مفتوحة -3-خطاب مفتوح قصة مفتوحة -4- خطاب مفتوح قصة مغلقة.

إن هذه الأضرب الأربعة تعبر عن تنوع السرد في النص الأدبي ، فكيف بالنص القرآني الذي تنوعت سرديته ، وتعددت بتنوع مضامينها ؟ .

وشكل القصة القرآنية الأول، أن تجيء مغلقة أو مكتملة، وهي التي وردت في موطن قرآني واحد وفي سورة قرآنية واحدة، و لم يتكرر سياقها السردي خارج ذلك الموطن، كقصة يوسف وقصة أصحاب الكهف، وقصة سليمان والملكة بلقيس، وغيرها.

فقصة يوسف عليه السلام، عرضت مثلا عرضا تفصيليا، وانفردت بسياق سردي مستقل ، تضمن حياته وتاريخها من طفولته إلى وفاته، ولذا اقتصر السرد القرآني في هذه القصة على ما يحقق الغرض فقط وقد وردت وقائعها المتصلة «اتصالا بمقدمة أحداثها، وانتهى بخاتمتها، بحيث يستطيع قارئها أو سامعها أن يعرف كل حدث وتطوره وكل شخصية ودورها، دون أن يقطع السياق أحداث قصة أو نبأ سواها، ودون أن يتخللها تعليق طويل على مجرياتها يستلخص العبرة منها»[3].

وهذا نوع قصصي يختلف مثلا عما ورد عن قصة موسى عليه السلام التي توزعت حلقاتها على

---

[1]-القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبدالكريم الخطيب، ص80.

[2]-مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ط17، دار العلم للملايين، بيروت، 1990، ص334.

[3]- القصة في القرآن، محمد قطب، ص122.

سور قرآنية كثيرة، وهذا الاكتمال والاتصال أعطى للقصة حركة التطور المستمرة، والاتساع الحدثي المسرود بما تضمنه من مفاجآت، وما تخلله من مواقف للعديد من الشخصيات، فالمشاهد وهي تنتقل من صورة إلى صورة ومن حركة إلى حركة، وكل هذا إنما يدل على أن «خيط الأحداث تمسك به العناية الإلهية من البداية إلى النهاية، فقد بدأت القصة برؤيا يوسف في عالم الغيب وختمت بتحقيق رؤياه في عالم الشهادة »[1].

وقد ترد القصة المغلقة أو المكتملة في سياق سردي مفتوح، تضمه السورة الواحدة كقصة سليمان والملكة بلقيس التي تخللت بفضائها السردي العريض قصصا كان المدى السردي فيه أقل مساحة مما هو عليه مع القصة المحورية التي تمثلها قصة موسى في لقائه مع ربه ثم مع السحرة المكذبين في الآية (7-14)، وحيزا سرديا بأخبار صالح وقومه ثمود في الآية (45-53)، وما كان من تكذيبهم إياه، ومن نقمة الله عليهم بتدمير بنيانهم، وقد أعقبت هذا السرد القصصي، قصة لوط مع قومه (54-58)، التي جاءت نهايتها متشابهة مع نهاية القصة التي سبقتها –قصة صالح- من حيث تشابه المصير الدماري، الذي آلوا إليه، نقمة ونكالا بهم من الله[2].

والمخطط الآتي يوضح سير الأحداث في القصة المغلقة، ولتكن سورة يوسف عليه السلام مثالا للتطبيق:

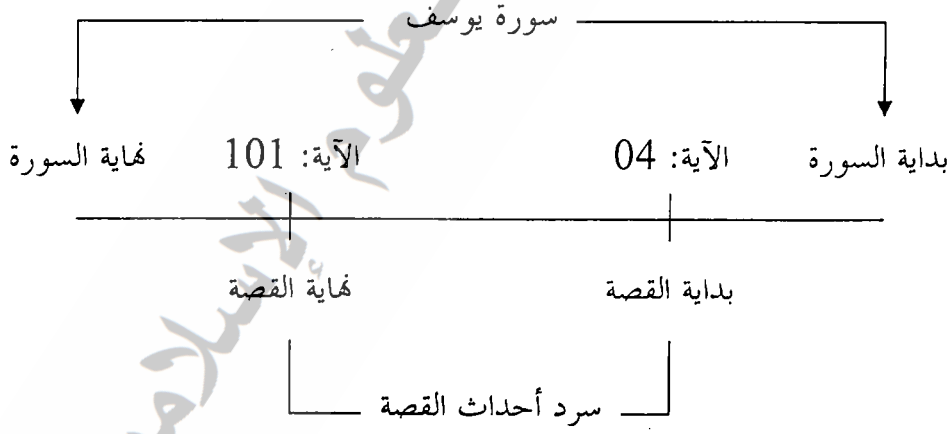

شكل رقم (02): يوضح سير الأحداث في القصة المغلقة

[1]-سيكولوجية القصة في القرآن، نهامي نقرة، ص510.

[2]-الخطاب القرآني ، مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي ، سليمان عشراتي ، ص71.

أما الشكل الثاني للقصة القرآنية فهو أن تكون القصة مفتوحة، وذلك بأن ترد هذه القصة مقرونة بغيرها من قصص الأنبياء والرسل، في مساقات سردية متفاوتة، بعضها يأتي مفصلا والبعض الآخر يأتي على سبيل التذكير، كقصة إبراهيم عليه السلام الواردة في سورة الأنبياء، حيث امتازت قصة إبراهيم بالسعة السردية بالنظر إلى ما أعقبها من قصص تتفاوت أحجامها، ونزعت في مجموعها إلى الإجمال، واكتفى الخطاب السردي باستثارة أسماء الرسل بغرض تذكيري فقط[1].

إلا أن هذا التفاوت في السعة السردية الذي قد يوجد في القصة المفتوحة ، يمكن أن يتوازن ؛ وهذا ما نجده في سورة الشعراء من التفاوت بين قصة موسى وقصة إبراهيم اللتين توازنتا سرديا بعد ذلك.

أضف إلى ذلك أن القصة المفتوحة قد ترد مفصلة، كما في قصة موسى عليه السلام في سورة الأعراف، وقصة نوح عليه السلام، في سورة هود، وقد ترد مجملة كما في قصة نوح عليه السلام في سورة الأعراف، وقصة موسى عليه السلام في سورة هود، فلقد أجملت كل من السورتين ما فصلته الأخرى وهاتان تقنيتان معروفتان في السرد، وهما تقنية التلخيص أو الحذف، وتقنية التصوير المفصل.

أما مخطط القصة المفتوحة فيختلف عن القصة المغلقة لأن موضوع القصة المفتوحة يتوارد في سور كثيرة من القرآن، وفي كل مرة يتجدد في ورودها إما من حيث الإفادة الإخبارية التي يضيفها إلى محتوى التخريجات السابقة، وإما من حيث الشكل التعبيري الفني الذي ترد فيه[2].

ولما كان سرد أحداث هذه القصة مفتوحا، فسأكتفي بضرب مثال على قصة موسى –عليه السلام– في سورة الأعراف، فقد ورد اسم موسى في هذه السورة (21 مرة)، وامتدت قصته فيها بداية من الآية (103إلى غاية الآية160) [3].

وعليه فيكون مخطط القصة المفتوحة على النحو الآتي:

---

[1]–الخطاب القرآني، مقارنة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، سليمان عشراتي، ص71.

[2]–المرجع نفسه، ص73.

[3]–المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص681.

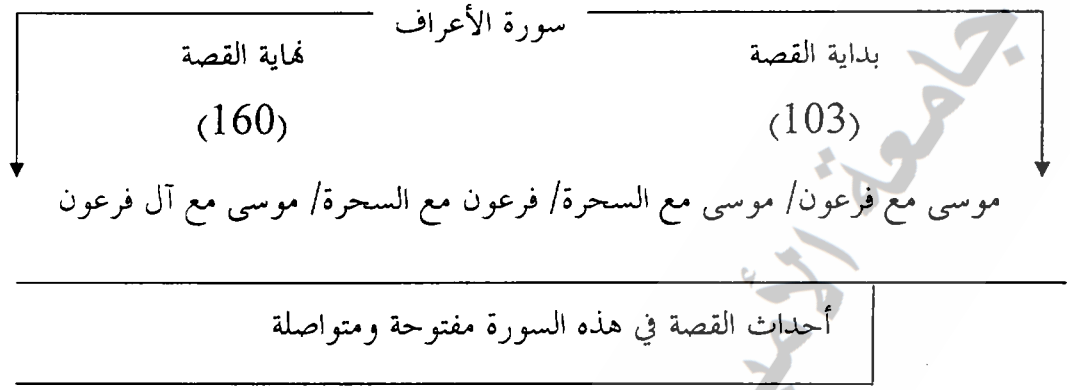

شكل رقم (03): يوضح سير الأحداث في القصة المفتوحة

لقد جاءت وقائع هذه القصة في سورة الأعراف عبارة عن ثلاثة شرائح من الأحداث والمواقف تتداخل فيما بينها، حينا، وتنفصل حينا آخر على هذه الشاكلة:

1-موسى مع فرعون –2-موسى مع السحرة-3-فرعون مع السحرة-4- موسى مع آل فرعون[1]. ومن الأساليب السردية في القصة القرآنية، والتي أضحت سمة جمالية في النص القرآني، أن أسلوب القصة يعمل على جذب القارئ إليها، فهي تبدأ في كثير من الأحيان بأغرب مشهد يلفت النظر فيها وذلك لإثارة انتباه القارئ، ثم يعود البيان القرآني بانطلاقة بلاغية مشوقة في عرض سائر مشاهدها المتلاحقة في إطار يزيد من جمال العرض وروعته مستدركا ما كان قد فاته من قبل، ولنأخذ مثالا على ذلك، استهلال قصة موسى –عليه السلام- مع فرعون في أول سورة طه في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى. إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [طه: 9-10].

فالسرد القرآني لما يسوق أحداث هذه القصة، فكأنه يصورها للقارئ وكأنها قصة ضمن قصة، حيث يعود البيان القرآني في سرد القصة من بدايتها عندما يكلم موسى ربه حيث النار المشتعلة، ويكلفه ربه بالرسالة، ويطلب موسى من ربه أن يجعل له معينا على هذه المهمة الشاقة،

[1]-دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ص152.

ويجيبه ربه بأن يجعل أخاه هارون مساعده ومعينه كما أراد ويذكره ممتنا بنعمه التي أسبغها عليه منذ ولادته إلى اليوم، وهذه هي العودة إلى بداية قصة موسى عليه السلام ، التي يستدركها البيان القرآني، ويضمنها في القصة التي عرفنا فيقول الله تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوسَى. وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى. إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى. أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي. إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَامُوسَى﴾ [طه:36 –40].

وطريقة الرجوع في السرد أثناء عرض أحداث القصة هي من أحدث الأساليب في إخراج الروايات والقصص وتسمي طريقة الخطف خلفاً كما تسمي طريقة الاسترجاع[1].

وهناك نوع آخر من الاستهلال حيث يمهّد للقصة بعبارات تكشف عن حكمةٍ في القصة، وسبب وقائعها، لتجسيد العبرة التي ينبغي أن تؤخذ منها، ومثالها الأسلوب الذي يمهد به لقصة موسى وفرعون في أول سورة القصص حيث يقول تعال: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 04].

وإن ما يلاحظ على أسلوب السرد القصصي القرآني أنه يظل جاريا على نسقٍ رفيعٍ واحدٍ من السّموِّ في رقة الصياغة وروعة التعبير وجمال اللفظ، عندما يبدأ القصة بالاستهلال المثير المتميز العجيب، ثم يعود بعد ذلك إلى سرد القصة لكنه لا يهبط أو ينخفض مستواه، على الرغم من تنقله بين موضوعات مختلفة، وتلك حقيقة شاقة حيث المعنى الذي يراد عرضه كلما كان أكثر عموماً وأغنى أمثلة كان التعبير عنه أفضل، وكانت الألفاظ إليه أسرع، وكلما ضاق المعنى وتحدد وتعمق

---

[1]–مدخل إلى عوامل القصة القرآنية، حامد الندوان، مجلة الكلمة، العدد13، السنة الثالثة خريف 1996م/1417هـ، ص161.

كان التعبير عنه اشق، وكانت الألفاظ من حوله أقل[1].

وما يمكن ملاحظته أيضاً على أسلوب السرد القصصي، ذلك التنقل السريع في تسلسل الأحداث، والاعتماد على تتابعها تتابعاً سرديا لخلق جوٍّ مليء بالحركة، وكأنما نحن أمام مسرح حافل بالنشاط في مشاهد حيوية متتابعة، وهذا ما يجده المطلع على قصص الأنبياء في القرآن الكريم، كقصة نوح مثلا، بحيث يلحظ القارئ لهذه القصة أن هناك تتابعا سرديا للأحداث، وأهم ما يميز هذا التتابع هو الجدل البارز كعنصر فني[2].

إن هذا التتابع السردي لأحداث القصة يعطي للقصة تماسكها، ويضفي عليها وحدتها الموضوعية، ويبرز ملامح الصراع فيها، ويكشف عن نمط الشخصيات أيضا، وهذا الترابط المتتابع يؤدي إلى وحدة في الأثر لدى المتلقي بصورة مركزة ولا شك أن تدرج تطور الأحداث يمثل مظهرا جيدا لترابط بنائية الحدث من الداخل.

كما يجد المتتبع للسرد القرآني، وأثناء عرض القصة القرآنية، بقاء ذهن السامع في حالة انتباه، وتذكر لذلك المعنى الكلي، وهذا في جميع مراحل القصة، فأثناء السرد لحوادثها نلاحظ دمج عبارات الموعظة والتذكير بوجوب خشية الله في ثنايا القصة يقول تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى. قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى. قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى. قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى. الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى. كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى. مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه49-55].

إن القرآن وهو يسرد قصصه إنما ينوع أحداثه ما بين واقعة أو خارقة غير مألوفة وما بين قضاء وقدر أو معجزات تتجلى، وهي في كل الحالات التي تسرد فيها تسير وفق ترتيب خاص بحيث يكون كل حدث في مكانه وفي وقته المناسب وينمو حسب ميزان دقيق يحدد حركة انطلاق الحدث

---

[1]-مدخل إلى عوامل القصة القرآنية، حامد الندوان، ص 162.

[2]-القصة في القرآن، محمد قطب، ص111-112.

سرعة وبطئا، لذا وجد الاهتمام القرآني بها كوسيلة للتربية والدعوة عبر مواقف وأحداث وأشخاص، وصراع وجدل وحوار وأسلوب، وتعبير وتصوير وتنسيق، فهي حافلة بكل أنواع التعبير الأدبي في حوار وسرد ووصف، وتنغيم إيقاعي، وإحياء للشخصيات وتصوير رائع لحركتها.

ثالثا-فنيات السرد القصصي القرآني:

إذا كان للقصة الأدبية عناصر تساهم في التشكيل الفني لهندستها، فإن القصة القرآنية ليست بمنأى عن هذه التشكيلات التي تبرز وبشكل واضح لمن يسبر أغوارها، ويطلع على خباياها، هذه الأخيرة التي سأقف عليها مبينا ماهيتها، ومدى فاعليتها في البنية السردية للقصة القرآنية.

1-المكان:

يعتبر المكان من التشكيلات الأساسية في العمل القصصي، إذ لا يمكن تصوره خارج بقية العناصر، كما لا يمكن تصور وقوع حدث أو عيش إنسان خارج حدوده، لأنه مرتبط بالسؤال عن الوجود الإنساني، إذ كان رحم الأم المكان الأول الذي مورست فيه الحياة بشكل أو بآخر، ليأتي المهد، والبيت، فالشارع والمدينة أو القرية ثم أمكنة أخرى يكون القبر آخرها.

وعليه فإن المكان عنصر رئيسي؛ فيه يبنى الحدث، ومنه ينطلق، وفيه تسير الشخصيات وتتفاعل[1]. كما أنه عنصر لا يمكن فصله عن باقي عناصر الحكاية في السرد كالشخصيات والزمن والأحداث، فهي متفاعلة ضمن السياق الروائي، فللمكان مثلا علاقة قوية بالزمان في العمل القصصي إلى الحد الذي يستحيل فيه «تناول المكان بمعزل عن تضمين الزمان كما يستحيل تناول الزمان في دراسة تنصب على عمل سردي دون أن لا ينشأ عن ذلك مفهوم المكان في أي مظهر من مظاهره»[2].

ولعل الحديث عن المكان في الدراسات النقدية الحديثة ، ينبؤنا عن تعدد التسميات المعبرة عن

---

[1]-بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، المغرب، 1990، ص30.

[2]- تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، عبد المالك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1996، ص245.

هذا المصطلح ، فمرة يعبر عنه بمصطلح " حيز " في حين يطلق عليه آخرون مصطلح " الفراغ " ويعمد البعض الآخر إلى تسميته " الفضاء " هذا الأخير الذي يعني في مفهومه الفني « مجموع الأمكنة التي تظهر على امتداد بنية الرواية مكونة بذلك فضاءها الواسع الشامل »[1].

ومهما تعددت التسميات ، واختلفت وجهات النظر حوله – المكان – إلا أنه يبقى دائما العمود الفقري الذي يشد بنيان الأعمال الفنية ، فهو الأرضية الضرورية لجريان الأحداث ، كما تكمن أهميته في كونه ذلك المكان الفسيح الذي يلعب عليه البطل أدوار القصة من البداية إلى النهاية، وأهميته أيضا دلالة على حياة الإنسان ، وتفوق أهميته دلالة الزمن عليها وذلك لأن إدراك الإنسان للزمن ودلالته تتم بواسطة الإحالة على المكان .

وإذا حضي المكان بهذه الأهمية في القصة الأدبية فماذا عنه في القصة القرآنية؟

إن المكان في القصة القرآنية مادة توصيل وإيحاء لذلك فهو يأتي صريحا مباشرا كما هو حال أسماء الأمصار (مصر، يثرب، سيناء، الطور، حنين، وبدر)، أو الأماكن المعلومة أو التي اكتسبت علميتها من خلال إثبات السياق القرآني لها مثل: سدرة المنتهى، الكهف، كما قد يأتي ضمنيا، وهذا اعتبارا لغائية الخطاب القرآني[2].

وتكمن أهمية المكان ليس في بناء القصة وتركيبها فحسب، بل فيما انطوى عليه من المعاني الكثيرة والعظيمة، وهذا ما يتجلى بوضوح في سورة القصص التي تناولت قصة موسى وحددت معالمها ا لمكانية كالآتي:

أ-الإسقـــاط في اليـــم: يقول تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:07]، فعندما ولـد موسى عليه السلام أُوحـي لأمه أن تتخذ له تـابوتا، فربطتـه في

---

[1]- بنية النص السردي ، حميد لحمداني ، ص 63.

[2]-الخطاب القرآني، مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، سليمان عشراتي، ص147.

حبل، وكانت دارهما متاخمة للنيل، فكانت ترضعه، فإذا خشيت عليه من بطش فرعون وقومه، تقوم بوضعه في ذلك التابوت، فترسله في البحر، وتمسك طرف الحبل عندها، فإذا ذهبوا تسترجعه إليها به، فاليم هو المكان الأول الذي احتضن موسى وأمنه من كيد الأعداء، ونجاه من مخالب فرعون القاتلة[1].

«فاليم هو محضن الوليد، الذي يناظره اليم المهلك للطغاة والمميت، فاليم هنا يأخذ قيمة وظيفية تضادية، إيجابية وسلبية، في هذا الواقع الذي كانت إرادة الله تستهدفه، لتغييره، وتوطيد دعائم العدل فيه...» [2]. وهذا ما أشار إليه الناقد البنوي يوري لوتمان، أثنا ء تطرقه إلى الثنائيا ت الضدية، أو التقاطبات المكانية.

ب–النشأة في بيت فرعون: يقول تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ. وَقَالَتْ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: 8-9]

وما يلاحظ هنا هو انتقال موسى إلى مكان الصراع الحقيقي، ولكن قدرة الله جعلت من هذا المكان عودة إلى كفالة الأم، في قوله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: 13]، فنشأ بذلك موسى في قصر فرعون، وتربى فيه، علما أن فرعون كان يرفض الصبية وخاصة أطفال بني إسرائيل.

جـ–خروج موسى من المدينة: التي كانت كذلك ضد موسى، لأنه ليس من شيعتهم، فهو إسرائيلي، وهم أقباط «فالمدينة رمز للإضطهاد والاستعباد، ففيها طابع الصراع، والمدينة في القصة، هي في الواقع، حيز يهفوا إلى إصلاح الفساد الذي استبشر»[3].﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ. . .﴾

---

[1]–في ظلال القرآن، سيد قطب، ط11، دار الشروق، بيروت، 1405هـ، 1985م، ج20، ص2680.

[2]– الخطاب القرآني، مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، سليمان عشراتي، ص166.

[3]–المرجع نفسه، ص167.

[القصص: 15]، وأغل الخوف والوجل ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ...﴾ [القصص: 21]، وأغل الجريمة، وزهق الأرواح، كل ذلك لأنه حيز مستظل بسلطان الجور والجبروت، يذبح الأبناء ويستحي النساء[1]. ففي المدينة بدأت مشاكل ومتاعب موسى مع فرعون وقومه، فأصبحت المدينة رافضة له ومتقلبة ضده، يقول تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [القصص: 20]، فخرج بذلك موسى من المدينة متجها إلى مكان مقابل لها ألا وهو البادية.

د–الإقامة في أرض مدين: ويلاحظ هنا أن سياق القصة تعمد التناظرية المكانية على أكثر من صعيد، فالمدينة وهي حيز الفساد، تقابلها البادية وهي حيز الصفاء، ويمثل هذا الخروج من المدينة إلى البادية هجرة أولية وفردية، يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: 22]؛ وفيها يحل على النفس المهيأة لاحتضان الرسالة السماوية[2].

هـ–الرحيل عن أرض مدين: ولقاء الله عند جانب الطور يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص:29].

فكان جانب الطور هو المكان الهام والحاسم في حياة موسى عليه السلام ففيه اصطفاه الله رسولا إلى فرعون وملئه، يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَامُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَامُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ. اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ

---

[1]–الخطاب القرآني، مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، سليمان عشراتي، ص167.

[2]–في ظلال القرآن، سيد قطب، ج20، ص2685.

وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [القصص: 30-32].

وجاء في قصص الأنبياء لابن كثير أن موسى كان «في واد اسمه طوى، وكان مستقبلا القبلة، وتلك الشجرة عن يمينه من ناحية الغرب، فناداه ربه بالواد المقدس طوى، فأمره أولا بخلع نعليه تعظيما وتكريما وتوقيرا لتلك البقعة المباركة، ولا سيما في تلك الليلة المباركة، وعند أهل الكتاب أنه وضع يده على وجهه من شدة ذلك النور مهابة له وخوفا على بصره»[1]. فهذا المكان يحمل صفة تقديسية عظيمة، يقول تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه:12].

و-دعوة فرعون وقومه: وبهذا عاد موسى إلى قصر فرعون الذي فر منه خوفا من بطشه، وعاد إليه هاديا له وطالبا منه الرشاد والصلاح، فكان بذلك القصر مكان للمحاجات والصراع، بين فرعون وموسى، حتى قال له فرعون، في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء: 18] .

إن فرعون هنا يذكر موسى بأن هذا القصر، ومن فيه قد أعطى التربية والحنان اللازمين، وعاش في رخاء كبير، فكان بذلك القصر مكانا للمقاومة والمحاجة والمناظرة بين موسى وفرعون، ولكن هذا الأخير تمادى وطغى وحاول استعمال سلطانه وسطوته ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: 38]. ولكن هذا المكان الذي يزعمه فرعون هو مكان وهمي يناظره الوادي وهو مكان حقيقي، وإذ يمثل الوحي والتكليم، ويمكن القول إن القصر يمثل المكان الذي انتصر فيه موسى على فرعون وسحرته.

---

[1]-قصص الأنبياء، أبو الفداء اسماعيل بن كثير، تحقيق محمد احمد عبد العزيز، ط3، مكتبة دار الثقافة، عمان ، الأردن، 1413هـ، 1993م، ص272.

ز-تعالي فرعون، وهلاكه في اليم بالغرق، و إنجاء موسى وقومه: يقول تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى. فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ. وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ [طه:77-79].

ويمثل اليم هنا قيمة تضادية؛ إيجابية بالنسبة لموسى وسلبية بالنسبة لفرعون.

وإن ذكر المكان، رغم ما يحتويه من أهمية في ضمان سيرورة الأحداث، واستمرارها بالانتقال من منطقة إلى أخرى إلا أنه يحمل في طياته أبعادا أخرى تمثلت خاصة في استنطاق الضمير الحي الذي يتمتع به الإنسان الشغوف لمعرفة أسرار هذا الكون الذي لا تنقضي عجائبه، فجاء ذكر المكان في قصة موسى ليوقظ مشاعرهم الحسية وليوجه عقولهم نحو التدبر في آيات الخالق ﷻ.

ويمكن توضيح التغيرات المكانية في قصة موسى من خلال المخطط الآتي:

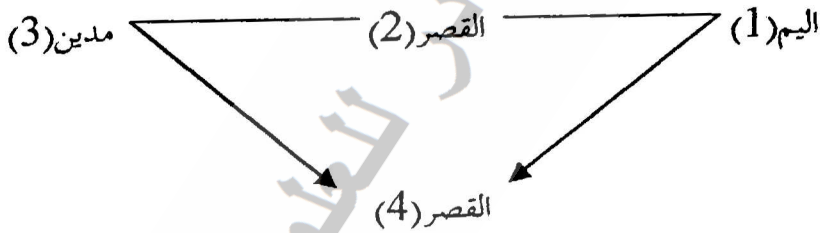

شكل (04) يوضح التغيرات المكانية في قصة موسى

ومن هنا يبدو جليا أن للمكان دوراً هاماً في بناء القصة وفي تركيبها إذ يعد الإطار الذي تنطلق منه الأحداث وتسير فيه الشخصيات، وقد يتجاوز هذا الإطار ليصبح عنصراً حيًّا وفعالا في هذه الأحداث، وهذه الشخصيات، ويصبح المكان مشحونا بدلالات وأبعاد واسعة تفوق ذلك الحيز المكاني بالذات، وكما أنه من الصعب تصور القرآن الكريم خاليا من الأماكن التي جرت فيها بعض قصصه، فيكون بذلك ذكر المكان مهما ومساعداً للعقل البشري على التمثيل والتصور خصوصا وأن الأحداث التاريخية العظيمة جرت في أماكن مختلفة فذكر المكان يبرز الصورة كاملة ليتدبر في معجزات الخالق.

2-الشخصية:

إن الشخصية في القصة القرآنية مستمدة من الواقع والمجتمع، إذ هما مصدر الاشخاص الذين يحاولون بث المعاني الإنسانية التي يدعو إليها الخالق، وتبليغ الرسائل السماوية وهذا لن يكون إلا بتشخيص من يحملها ويسعى جاداً لإبلاغها «وليس من سبيل إلى ظهورها مجسمة إلا في الأشخاص، ولا مناص من إخراجها إلا بالصراع، أو الاحتدام النفسي، أو الديني أو الإجتماعي أو التجريدي، أو الحسي يضطلع به الفاعل (البطل) [*]. ضد المجتمعات أو الأقوام بغية تسخير الطبيعة أو جوانب الكون والإفادة منها والسيطرة عليها تحقيقا لخلافة الإنسان في الأرض وتعميرها والاستجابة لدعوى الخالق»[1].

فشخصيات القصص القرآني على واقعيتها تتمايز فيما بينها؛ إذ كلما تميزت الأحداث تميزت الشخصية، ووضحت الصورة ويحدث العكس، فكلما قلت الأحداث تأتي الشخصية مبهمة غامضة، أي أن الأحداث هي التي تميز الشخصيات عن بعضها بالإضافة إلى أن السرد القرآني قد تكفل بتبيين أهم الجوانب الفعالة في بناء الشخصية ويظهر ذلك من خلال.

أ-البعد الجسدي للشخصية:

-شخصية موسى:

لقد رسم السرد القرآني صورة جسدية لموسى دلت على ملامحه من خلال أفعاله حينا ومن خلال أقوال الأشخاص الذين أسهموا معه في الفعل أحيانًا أخرى[2]. فقد كان موسى قوي البنية،

---

[*]-آثر شارف مزاري تسمية الأشياء بمسمياتها عند ما تناول الشخصية، ومن ذلك إطلاق لفظ (البطل) على الفاعل المحوري في القصة القرآنية، وقد ينسحب ذلك على أحد الأنبياء تنبيها بدوره في القصة القرآنية ومصطلح البطل، لا يعدو أن يكون مجرد تسمية شكلية عرضية، وآثر سليمان عشراتي لفظ الفاعل لأنه يحمل الدلالتين النحوية والسيميائية، لأن مصطلح البطل لا يسوغ في النص القرآني، وأرجح ما ذهب إليه سليمان عشراتي لأنني بصدد التعامل مع نص مقدس، فلو سلمنا بلفظ البطل فماذا عن لفظ (القاص) فهل يمكننا إطلاقه على الله ﷻ وعليه، فمن باب الالتزام بقدسية النص القرآني ألجأ إلى لفظ الفاعل للشخصية المحورية.

[1]-الوحدة الفنية في القصة القرآنية: محمد الدالي، ط1، 1993، ص238.

[2]-البنية السردية في القصص القرآني: ضول محمد، ص61.

مكمل الخلقة قوي الأسر ويشهد على ذلك النص القرآني، الذي عبر عن هذه الحقيقة بالفعل (استوى) إذ يقول تعالى﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص:14]، والشاهد الآخر في قوله تعالى﴿ ... فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ...﴾،[القصص:15]، أما الشاهد الثالث فهو قول إحدى المرأتين لأبيها ، الشيخ ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص:26].

إن الصورة الجسدية التي رسمها السرد لموسى هي التي أعطته مسوّغات الشخصية المحورية داخل قومه فكانت هذه السمات الجسدية البينة عونا للتصور البشري في تعقل موسى إلى أعتى شخصية في ذلك الزمان لا تؤمن إلا بالقوة، ولا تخضع إلا لمنطقها وكانت مسوّغا لنا لتفهم قيادته شعبًا معقد النفس صلب المراس، عاش في ظل القهرو الجبروت، وطبعت نفوس أفراده على التلكؤ في الطاعة والمراوغة في المعاملة. كما امتلأت نفوسهم بالجبن والذل والحقد والقسوة، ووطنوا على الخنوع للقوة القاهرة، والانقياد للزعيم القوي الذي يهابونه ويخشون بأسه[1].

فشخصية موسى استغرقت القصة كلها ويمكن تمثيل محورية هذه الشخصية بالمخطط الآتي:

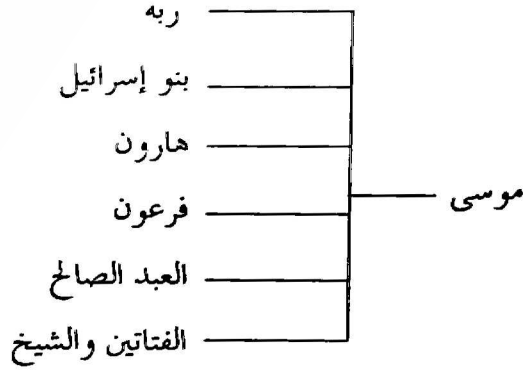

شكل (05): يوضح شخصية موسى المحورية

[1]-البنية السردية في القصص القرآني: حمّو محمد ، ص64.

-شخصية فرعون: لقد صور السرد القرآني أيضا، صورة جسدية لفرعون كما فعل مع موسى فكل الآيات التي تصف فرعون تدل على أنه كان عاليا بجنوده وكفره و كان طاغيا بتكبره و أن له خصائص البشر الجسدية(*). وإنما القوة تكمن في جبروته وطغيانه وفساده في الأرض فقد علا واستكبر، ونصب نفسه إلها، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنْ الْكَاذِبِينَ﴾، [القصص:38].

وقد ذهب محمد أحمد خلف الله إلى أن شخصيات الرجال في القصص القرآني لا تتميز بالصفات الحسية أو الصفات المعنوية من خلق ومزاج، وما يعرض لهم من انفعالات نفسية و تأثيرات عاطفية وإنما يجعل هذه الصفات تدخل في صميم الحدث وفي تصويره و تكون كمفصل متحرك، من مفاصل الحركة العامة لنمو الفكرة(1).

-شخصية هارون: لم يكن هارون قويا من حيث البنية الجسدية مثل أخيه موسى رغم أنه كان عونا وسندا له. والدليل هو عدم تحكمه في بني قومه عندما ذهب موسى لميقات ربه ففتنوا وعبدوا العجل، وعندما رجع استطاع بقوة إيمانه الذي زاد عليه قوة جسدية هائلة، أن يتخلص من الردة فحطم العجل المصنوع من ذهب و يحاجج السامري، ﴿ قَالَ يَاهَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا . أَلَّا تَتَّبِعَنِي أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي. قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي. قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَاسَامِرِيُّ. قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي. قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ

(*)-وهذا بناء على المعاينة الشخصية التي قام بها طول محمد على موميات الفراعين المحنطة بالمتحف المصري، وتدل على أن أجساد الفراعين، لم تكن تختلف عن أجساد البشر العاديين طولا وعرضاً على نقيض ما يتخيل البعض من أنه كانت لهم أجساد العماليق.

(1)-الفن القصصي في القرآن الكريم: محمد أحمد خلف الله، ص280.

فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾[طه:92-97].

وهكذا ترتسم الصورة الجسدية التي يتمتع بها موسى و المرفوقة بالإيمان، عكس الصورة التي كان عليها هارون من حيث القوة.

ب-البعد الإجتماعي للشخصية:

-**شخصية موسى**: إن البعد الإجتماعي لشخصية موسى توحي به الكثير من الآيات، فأولها نشأته في قصر فرعون، وفيه تروى لحظات حياة موسى الطفل، ويبدو عجز الطفل فيه واضحًا، فهو ربيب قصر فرعون ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء:18]. والمجتمع الإسرائيلي في عهد فرعون مجتمع منغلق، يذبح فيه الذكور، وتستحي فيه الإناث﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص:04]، كما لم يكن موسى مثل فرعون تتبعه حاشيته أينما ذهب فهو يذهب وحده ويتجول بمفرده، وهذا دليل على أنه لم يكن يعامل كما لو أنه فرعونيا، ثم قصد مدين وأوى إلى أهلها، ولا يملك لنفسه شيئا، فهو يلتمس المعونةوالمؤونة، ويتضح هذا في دعائه ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:24]، وهذا يبين الفرق الشاسع بينه وبين فرعون الذي يملك خزائن الدنيا، ثم بعد ذلك يستأجر موسى لثماني حجج فلو أنه يسير المال، ولم يكن فقيراً لن يقبل بذلك[1].

من هنا تبرز مكانة موسى الاجتماعية التي تميزت بفقرها فموسى لم يكن مسوَّرًا ولا مطوقًا بالذهب، ولم يكن يحيط به الخدم والحشم ولا الجيوش المصطفة التي تعظم في العين، وترهب النفس، ولذا فهو في اعتقادهم ليس أهلاً لأن يكون سيدًا مطاعا يسمع إليه، بل المطاع فيهم والمستجاب لأمره من يملك السلطان والمال[2].

---

[1]-البنية السردية في القصص القرآني، طول محمد، ص71.

[2]-البنية السردية ودلالاتها في القصة القرآنية: قصة موسى أنموذجًا، عائشة رماش، ص73.

ولما أدرك موسى حقيقة العلاقة القائمة بين فرعون وبني إسرائيل وقف ضد قومه موقف الناصح المحذر يصارعهم، ويقارعهم محذراً حينا ومذكرًا أحيانا، ولكن في آخر المطاف فشل في مهمته فوقف مناجيا ربه فاقداً الأمل فيهم، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف:151]، فقد تبرأ وهو يعتذر لربه فلئن ضاع جهده وسعيه مهم فالجزاء عند الله أعظم وأوفى[1].

-شخصية فرعون: وهو أكبر النماذج الكافرة، ولم يكتف بهذا بل ادعى الربوبية واتهم هو وأتباعه هامان وقارون، موسى بالسحر ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ. إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: 23-24]، وهو نموذج للتكبر والتجبر من قبل الكفار كما يمثلون حالة العناد السخيف والكفر البغيض والطغيان.

والصفات التي وجدت في فرعون من تكبر واعتزاز وغرور بالثروات الطائلة، جعلته يعرض عن دعوة موسى إلى عبادة الله، وأبدى دهشة من جرأته في دعوته إلى عبادة من لا يعرف، وهو الذي تجري من تحته الأنهار، فتحدث إلى قومه موازنًا بينه وبين موسى في الجاه والثراء، فتساءل: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَاقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ. أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: 51-52].

إن فرعون نظر إلى موسى بمنظار العز المادي، والجاه والسلطان، وخاطب قومه بهذا المنطق وهم قوم ماديون، عبدوا المال، وخضعوا لسلطانه، وأطاعوه وتحلوا لهم ما شاءت التحلية، إذا كان المتعارف عندهم إذا أرادوا تشريف الرجل سوّروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب وغيره[2]، حتى يكون مميزا بين القوم، كما أن الملوك يشهرون رسلهم بالخلع والمكرمات،

---

[1]-البنية السردية ودلالاتها في القصة القرآنية: قصة موسى أنموذجًا، عائشة رماش ، ص145.

[2]- البنية السردية في القصص القرآني، طول محمد، ص73.

وبأشخاص يتبعونهم[1].

ثم إن رغبة فرعون في إزالة موسى عن طريقه، ولد صراعاً، بلغ أشده في علاقة موسى بفرعون، أي أنّ فرعون رغم إقامته الحجة عليه ورؤيته للخوارق، التي تبهر الأبصار وتحير العقول إلا أنه لم يرعوِ، ولم ينتبه عن غيّه بل ظهرت فيه سمات خبيثة منها أنه عالٍ في الأرض أي جبار عنيد، مشتغل بغير الحق، وإنه لمن المسرفين، أي في جميع أموره وشؤونه وأحواله فهو لذلك جرثومة حان استئصالها، وثمرة خبيثة آن قطافها[2]، لذلك أغرق وملؤه في اليم جزاء لهم.

جـ-البعد النفسي للشخصية:

لقد زود السرد القصصي القرآني القارئ بالعوامل النفسية المهمة في فهم الشخصية، وفي متابعة إدارتها للصراع مع خصومها، مثلما وفر الأبعاد الجسمية والإجتماعية حتى لا يظهر الصراع وافدا من خارج الشخصية، أو مملى عليها من خلاف خطوطها[3].

-**شخصية موسى**: لما كلف موسى بتبليغ الرسالة، أحس بضرورة وجود هارون معه في كل خطوة يخطوها في سبيل الرسالة لأنه رأى أنه يكلمه، ولتحقيق هذه الرغبة قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي. وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي. وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي. كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا. وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا. إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه:25-35]، فعلاقة هارون بموسى علاقة وطيدة يساعده في كل أموره ، فشخصية هارون بمثابة المراقب لتصرفات موسى ، والواضع حدا لانفعالاته ، فهو شخصيـــة

---

[1]-الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم عمر بن محمود الزمخشري، تصحيح مصطفى حسن احمد، ط2، دار الفكر، بيروت، 1987، ص258.

والزمخشري: محمد بن عمر بن أحمد الخوارزمي جار الله أبو القاسم إمام عصره في اللغة النحو والبيان والتفسير معتزلي المذهب، توفي سنة 528 هـــ، ومن أشهر كتبه "الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل".

أنظر: الزركلي، الأعلام (178/6)، ابن خلكان، وفيات الأعيان (168/5-174) عادل نويهض، معجم المفسرين، (2 /666) مؤسسة نويهض الثقافية، ط1، (1403هـــ-1983م)

[2]-قصص الأنبياء: ابن كثير، ص304.

[3]-البنية السردية ودلالاتها في القصة القرآنية، قصة موسى أنموذجا: عائشة رماش، ص146.

مساعدة مكملة لشخصية موسى .

كما تمثل شخصية موسى نموذجا للزعيم المندفع العصبي المزاج، ويبدو الانفعال واضحا في قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [القصص:15] وسرعان ما تذهب هذه العصبية فيتوب إلى الله شأن العصبي﴿... قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ. قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾،[القصص:15-16]

وقد أكّد السرد القرآني حالة الانفعال النفسي لدى موسى بعد صدامه مع فرعون عندما عاد موسى من ميقات ربه، فوجد موسى قومه قد ارتدّوا عما تركهم عليه وغضب غضبا شديدا، وأخذ يجر أخاه من لحيته ورأسه[1]. ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه:94]، وهذا لأنه كان خليفته عليهم في غيابه و لم يمنعهم من المخالفة في نظره.

كما سرد القرآن الكريم حالات الانفعال الشديد والخوف الذي ألمّ بشخصية موسى في العديد من المواقف من ذلك مثلا في قوله تعالى: ﴿ يَامُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَامُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾، [النمل:9-10]، وصوّر السرد الشعور بالخوف كذلك في نفس موسى عند ما ألقى السحرة عصيهم يوم الزينة فخيل إليه بأن حبالهم وعصيهم تسعى وأوجس في نفسه خيفة كادت تفقده صوابه ... ولكن الله تولاه بلطفه وأوحى إليه بأن يلقي عصاه وطمأنه بالنصر. والفوز عليهم قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَامُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى. قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى. فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى. قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى. وَأَلْقِ مَا فِي

[1]-في ظلال القرآن، سيد قطب، ج16، ص2347.

يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾، [طه:65-69].

وهكذا كان موسى نموذجا للشخصية الإنسانية والنبوية معا، بما ركب فيه من صفات بشرية من فرح وحزن، ولين وعنف وشجاعة وإقدام فيما يحسبه يرضي الله وسرعة الإقرار بالذنب والتوبة، والندم وكذا طيبة القلب[1].

-شخصية فرعون: أما شخصية فرعون النفسية، فقد أكد السرد القرآني أنها شخصية متكبرة معتزة بنفسها،ومغرورة بالثروات الطائلة، أضف إلى ذلك أنه مغرور بقوته وسلطانه حتى قال للسحرة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ [طه:71]، فهو معتز بنفسه وقت اليسر والترف، ومتخاذلا في وقت الشدة والعسر لأنه آمن حينما أدركه الغرق ﴿ ... حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 90].

لقد ساهمت هذه الشخصيات في سرد أحداث القصة وتغذيتها، وكل ذلك في جملة من العلاقات، لأن هذه الشخصيات لا تستطيع أن تصنع حدثا، ولا أن تبرز بمفرد هابل ضمن علاقات ثنائية أو جماعية ضدية أو متآلفة توضح الشخصية وتذهب عنها اللبس، فشخصية موسى المؤمنة اتضحت أكثر عندما قوبلت بشخصية فرعون الكافرة وشخصية موسى العصبية المندفعة اتضحت عندما قوبلت بحلم الرجل الصالح وهدوئه وهكذا ...

ويرى الناقد تودودروف أن علاقات الأشخاص في كل سرد يمكن أن تقتصر دائما على عدد صغير، وأن شبكة العلاقات هذه تلعب دورا أساسيا في بناء العمل الأدبي[2].

ولقد بيّن السرد القرآني العديد من النماذج الإنسانية في قصة موسى وهـــــذه النماذج في

---

[1]-البنية السردية في القصص القرآني، طول محمد، ص81.

[2]-البنية السردية ودلالاتها في القصة القرآنية، قصة موسى أنموذجا، عائشة رماش، ص141.

علاقتها ببعضها تنقسم إلى باين كبيرين:

علاقات الصراع والتضاد: ويندرج ضمنها علاقة موسى بفرعون وموسى ببني إسرائيل وعلاقة موسى بهامان وقارون، وعلاقة بني إسرائيل بفرعون، وعلاقة فرعون بزوجته، ويغلب على هذه العلاقات التنافر المستمر.

علاقات المساعدة والتناغم: ويندرج ضمنها علاقة موسى بهارون، وعلاقة موسى بامرأة فرعون، وعلاقة موسى بالفتاتين وأبيهما، وعلاقة موسى بالعبد الصالح، ويغلب عليها الانسجام والمساعدة، والتكامل، حيث ظهرت بعض هذه الشخصيات في صورة المخلص المنقذ وظهرت أخرى في صورة الحليم الرزين، الذي يجنب موسى السقوط إثر الفشل، ويبعث فيه الأمل بعد اليأس، ويشد أزره في المواقف الصعبة (أخوه هارون، أب الفتاتين)، وبرزت أخرى في صورة المعلم المرشد (العبد الصالح)، وأخرى في صورة الأم الرؤوف (زوجة فرعون) [1].

وفيما يخص علاقات الأفراد ببعضها –أي في نفس المجموعة– نجد أن شخصية هارون مناقضة لشخصية موسى الذي يعدّ نموذجا للزعيم المندفع العصبي، وهارون نموذج للرجل الرزين الحكيم، فشخصية هارون شخصية مساعدة مكملة لشخصية موسى.

هذا وتبقى شخصية موسى هي الشخصية المحورية، وهي مناط سير الأحداث مما يجعل القارئ يلاحظ نموها منذ كان رضيعا في قصر فرعون، إلى أن أصبح نبيا ويدعو إلى الله، وباقي الشخصيات، فهي شخصيات نمطية مسطحة كان حضورها عاملا مساعدا لنمو القصة، وألقت الضوء على الشخصية الرئيسية (شخصية موسى) وهذا على حد تقسيم تودوروف للشخصيات.

3-الحدث:

يعدّ الحدث أحد أهم العناصر المشكلة للعمل القصصي وحضوره لا مناص منه داخل العمل السردي، إذ خلو القصة منه يجعل العمل باهتا، ذلك لأن علاقة العناصر ببعضها أمر لابد منه «فالصلة بين الحوادث والشخصيات في القصة أقوى من أن يدل عليها أو يلفت الذهن إليها ذلك لأنهما العنصران الرئيسيان في كل قصة، ولا نستطيع أن نتصور شخصا من غير أحداث تلم به أو تقع

---

[1]-البنية السردية ودلالاتها في القصة القرآنية: قصة موسى أنموذجًا، عائشة رماش ، ص142-143.

عليه»[1].

أما عن ترتيب الأحداث فإن صاحب المنار يرى أن ذلك يرجع إلى اعتبار بلاغي خاص وهو بهذا يخالف الأساس الذي يقوم عليه ترتيب الأحداث عند المؤرخين قطعا[2].

ويمكن الوقوف على طبيعة الحدث في قصة موسى من خلال:

أ-مرحلة ما قبل البعثة:

ويتوزع هذا الحدث في مساحات قرآنية عدة جاء ذكرها مفصلة في أكثر من موضوع، وهي تعنى بحياة الفاعل قبل البعثة، والمتمثلة في مولده ونشأته إلى أن صار شابا، فارتكب جريمة فأنجاه الله منها، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى. إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى. أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي. إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ [طه 37-40] ويوجد في هذه الآيات استعراض لجملة من الأحداث التي عقبت مولد موسى الذي قذف في اليم مخافة من فرعون وتدبيره، فنشأ فيهم حتى صار شابا قبطيا، فخاف من القصاص فأنجاه الله ونجد نفس السياق الحدثي يتكرر لهذه المرحلة في موضع آخر، بقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ. فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ. وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص 7-9] وتبين هذه الآيات فترة المولد والطفولة، وأهم الأحداث التي أحاطت بحياة الفاعل

---

[1]-الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله، ص290.

[2]-تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، ط4، دار المنارة، 1373هـ، ج1، ص327.

إلى أن وصل إلى قصر فرعون، ثم أعيد إلى أمه كي تقر عينها ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾. [القصص، 10-12].

لقد كان فؤاد أم موسى يتوق إلى رؤية ابنها، وحضنه فرده الله إليها ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. [القصص 13]

واتخذ السرد في هذه المرحلة شكلا دائريا، حيث يبدأ من الكوخ مكان المولد مرورا بالبحر، فالقصر، ليعود إلى الكوخ ويمكن توضيح ذلك بمخطط:

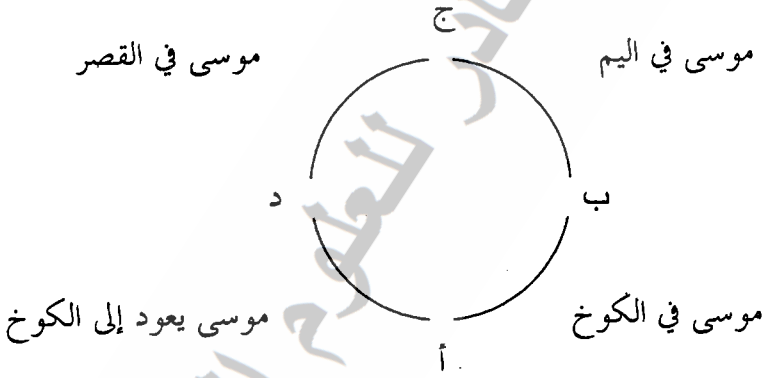

شكل (06): يوضح دائرية السرد في مرحلة ميلاد موسى عليه السلام.

يوضح هذا المخطط أماكن سير أحداث المرحلة الأولى، حيث يلتقي السرد في النقطة –أ– وبذلك يصنع دائرة[1].

ويستمر السرد القرآني في تتبع سير أحداث القصة إلى أن يصل الأمر بالفاعل إلى ارتكاب

[1]–مستويات السرد الإعجازي في القرآن الكريم، شارف مزاري، ص35.

جريمة قتل بعد أن استغاثه رجل من شيعته على أن يخلصه من قبطي يظلمه ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ [القصص 15].

إن السرد القصصي في سورتي طه والقصص يستعرض حياة موسى من المولد إلى وقت ارتداد قومه في غيبته ،فقصة موسى مثلا في سورة طه تمتد من الآية 09 إلى 99.

ب–مرحلة أثناء البعثة:

ورد هذا الحدث في مواضع كثيرة من السور القرآنية، ويبدأ من تكليم الله لموسى، وإرساله إلى فرعون وينتهي بإغراق هذا الأخير في اليم، وجاء في سورة طه ما يلي: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى. إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى. فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى. إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: 9-12] وقال تعالى عن حادثة التكليم في سورة القصص: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ. فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَامُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص 29-30].

فوقعت حادثة التأييد بالخوارق والمعجزات الغير عادية بغية إحداث عملية الإرسال وهي حادثة جعلت ومنحت للقصة المفتوحة حدثية تصاعدية مستمرة، فلولا هاته الخوارق لما أنتج حادث ثالث مرتبط به ارتباطا سببيا، ولولا الحدث الثاني (التأكيد)، وهكذا فأصبح الفاعل مؤيّدا بخوارق غير عادية بالنسبة للقارئ ومقاربة لزمن حدوثها، ومن هذه المعجزات العصا التي اهتزت وكأنها جان، ويستمر الخطاب القرآني في سرد الأحداث المتعلقة بهذه المرحلة، التي توجد أحداثها مجملة في

سورة يونس، فتنطلق من بعثة موسى وأخيه هارون إلى فرعون، وانتهاء بغرق هذا الأخير في اليم والسياق السردي لهذه الوقائع يتحدد ما بين الآية 75 والآية 93[1].

جـ-مرحلة ما بعد البعثة:

وتبدأ هذه المرحلة بعد غرق فرعون ومن معه، وتخليص بني إسرائيل من بطش فرعون وظلمه، فأتاهم الله من فضله ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص 43]. ويقول في موضع آخر ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى. كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ [طه 80-81].

كما تتضمن هذه المرحلة قصة موسى وقومه في شبه جزيرة سيناء، وتتضمن هي الأخرى حدثين بارزين الأول: ذهاب موسى لميقات ربه في وادي طوى، وهناك حدث ما حدث، وبعد أربعين ليلة قضاها في جبل الطور، قفل عائدا بألواحه إلى قومه فوجدهم عاكفين على ثور يعبدونه، صنعه لهم السامري وهو الحدث الثاني[2].

كما تتضمن حادثة الانتقال من شبه جزيرة سيناء بحرا إلى البر الآسيوي، وهناك أمرهم الله بالدخول إلى أرض المقدس، فرفضوا الانصياع لخوفهم من العمالقة القاطنين بها، فحل غضب الله عليهم، وضرب عليهم الذل والمسكنة يتيهون في الأرض أربعين سنة ولم يدخل بنو إسرائيل بيت المقدس إلا بعد وفاة موسى عليه السلام[3].

لقد جاءت أحداث هذه المراحل مترابطة فيما بينها، فالانتقال من قصة لأخرى عن طريق حدث رئيس ربط القصة بالأخرى، فرؤية فرعون أثارت القصة الأولى، وأثار قتل القبطي القصة الثانية، وهكذا فجاءت هذه القصص قصة واحدة لعبت الأحداث فيها دور المرسوم له في حيز السرد

---

[1]-الخطاب القرآني، مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، سليمان عشراتي، ص90.

[2]-في ظلال القرآن، سيد قطب، ج16، ص2346.

[3]-المصدر نفسه، ص2347.

القصصي؛ فالأحداث تسير في تسلسل حيث كل حدث ينتهي بنهاية مفتوحة تسمح بتولد حدث آخر منه، حيث يولد الحدث من نهاية الحدث الذي سبقه، وهذا ما اصطلح على تسميته بنظام العلية السببية، وهكذا رتبت الأحداث على شكل السبب والنتيجة، فالحدث الأول أثير من سبب والثاني كان نتيجة له وهكذا حتى نهاية القصة[1].

فمثلا قتل فرعون كل مولود يولد ذكرا، أدى إلى السبب وهو رمي موسى في اليم، ونتيجته تربيته في البلاط الفرعوني، فالأحداث عبارة عن مشاهد أو مقاطع استعراضية للحكاية يحمل كل حدث منها جزءا من الحكاية متمما لما قبله، ومن ثم كان من الصعب إهمال أي حدث من القصة حيث يترتب على ذلك سقوط جزئية من القصة رغم الانفصال الذي قد يبدو نتيجة تكرار بعض المفاصل.

والاستغناء مثلا عن حادثة قتل القبطي، يترتب عليه عدم الانتقال إلى مدين، ومن ثم عدم تتمة القصة كلها، ولو اسقطت حادثة رمي موسى في اليم، لما كانت تربيته في بيت فرعون، وإذا أسقط هذا الجزء من القصة فلن تجد الإجابة عن السؤال، كيف وصل موسى إلى قصر فرعون؟ وبهذا التداخل والتلاحم أصبح من المستحيل الاستغناء عن حدث أو إسقاط حدث دون تناثر أجزاء الفكرة العامة للقصة، وهذا يدل على قوة شد الحبك الفني ومتانة بناء هيكل القصة[2].

وعليه، فلقد لعبت الأحداث في قصة موسى دورا مهما، حيث كانت بحق عمودا فقريا لمحمل عناصرها الفنية من أشخاص، ومكان وزمان، كما كشفت هذه الأحداث عن الحالات الحضارية والاجتماعية والنفسية لذلك المجتمع.

4-الحوار:

الحوار دعامة وركن أساسي وفني في القصة، ونمط من أنماط التعبير فيها، وعنصر هام يشترك مع السرد والوصف في بناء أحداثها، إذ يشكل جزءا فنيا من كيان أدبي تتوافر فيه العناصر الأدبية المتكاملة التي تجعل من ذلك الكيان اللفظي أدبا وليس شيئا آخر، وكما يشغل حيزا هاما ويكتسب

---

[1]-الجانب الفني في القصة القرآنية، خالد أحمد أبو جندي، دار الشهاب، باتنة، دت، ص148.

[2]-البنية السردية ودلالاتها في القصة القرآنية، قصة موسى أنموذجا، عائشة رماش ، ص154.

أهمية قصوى «بفضل وظيفته الدرامية في السرد وقدرته على تكسير رتابة الحكي بضمير الغائب التي ظل يهيمن ولا يزال على أساليب الكتابة الروائية»[1].

وعلاقة الحوار بعناصر القصة علاقة قوية، إذ له تأثيره على الشخصية، والحدث فيوظف في تطويره وفي الإبلاغ عنه فضلا عن تركيزه على الشخصية والكشف عن حالتها النفسية ويمكن أن يعد الحوار معيارا نفسيا دقيقا يستطيع أن يصنف نفسيات الشخصيات بذكاء وحذق بالإضافة إلى تطويره لهذه الشخصيات وتنميته للحدث[2].

وهذا ما يوجد في القصة القرآنية، إذ يعد الحوار سمة من سمات الوحدة الفنية فيها والمحاورة بين الأنبياء وأقوامهم ضرب من إيضاح الفكرة وسبيل لعرض الموضوع ووسيلة لبلورة الهدف الذي من أجله سيقت وكما يكشف عن نفسية الأشخاص ويوضح اتجاهاتهم وما تنطوي عليه نفوسهم، وهو بهذا شأنه شأن الحوار في القصة الأدبية.

وهو مشكل –الحوار– من جمل وضعت أصلا لتقال ولينطق بها الشخوص، والجمل فيها ليست كالتي في المحاكاة أو الوصف أو السرد، وإنما إيقاعها من نوع مخالف يتراوح بين الطول والقصر والإيجاز والإطناب، وتلك ملائمة مع الموقف الذي تقال فيه، ومن خلاله يتم التعرف على طبيعة الشخصية وعلى قوتها أو ضعفها أو شجاعتها، وبه تتحرك الأحداث وتتطور ويحتدم الصراع ويتأزم الأمر الذي يبعث الحركة والحيوية في فنية القصة، فأسلوب الحوار «هو أسلوب القرآن ذاته، إذ لا يهبط في ناحية ويسمو في أخرى تبعا لاختلاف الظروف والشخصيات ومستوى الأداء عند الكتاب من البشر العاديين»[3].

وبهذا فإن الحوار أصبح محركا للأحداث ومصورا للشخصيات ، ومؤديا للصراع ، مبينا للهدف ، وكاشفا عن المغزى والمرمى ، وتكمن فاعليته في القصة القرآنية في أنه يعمل على تأطير أحداثها ، ويبعث فيها الحيوية ، وتكمن فاعليته أيضا في كونه جاء موصولا بالمقصد التربوي الذي اتبعته الدعوة القرآنية تبليغا لمبادئها ، وكما جاء النص القرآني إطارا حواريا مفتوحا على الوجود .

---

[1]–بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، ص166.

[2]–السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، هيام شعبان، دار الكندي، الأردن، 2004م، ص213.

[3]–التعبير الفني في القرآن، بكري شيخ أمين، ص223.

والحوار في القصص القرآني يجعل المشهد كأنه حاضرا يملأ الأسماع والأبصار بكل خلجة أو خاطرة وقعت فيه، وهو ليس كالقصص الذي يقف عن مجرد الحكاية لمقولات القائلين ونقلها عنهم وهو بهذا إنما آلة ناطقة فحسب تحكي ما وقع عليها من هزات، وتصور ما صادفها من رسوم وبيانات أشبه بالمرصد دون أن تحمل شيئا من ملابسات الموقف وما يدور فيه، وعلى العكس من ذلك في قصص القرآن، وكيف يدار حواره وتقص حكايته، وتجري فيه الكلمات على ألسنة الأشخاص وبين شفاههم، فحين يتم الوقوف بين يدي أحد مواقف القرآن في حواره القصصي تجد المشهد كله حاضرا مشخصا، يملأ الأسماع والأبصار، ويملأ حتما تلك الفراغات والفجوات التي تقع عادة بين ثنايا الحوار وطوايا الصراع، ومن دون تعمل أو تكلف أو اصطناع[1].

كما يعمل الحوار على إضاءة الحدث من خلال شبكة العلاقات المشكلة للنص القصصي، ومن ثم كانت وظيفته بنائية في المسار السردي القصصي، من خلال الثنائية الخطابية[2]، هذه الثنائية التي تعتبر المسير الأول لحركة الأحداث في القصة، ووفق نسق زماني ومكاني معين تؤدي فيه هذه التشكيلات فاعليتها بناء على أنماط وأشكال الحوار المتعددة، التي يمكن حصرها في أحداث قصة موسى عليه السلام.

أ-حوار بين مخاطِب ومخاطَب: وتتجلى هذه العلاقة جيدا عندما يخاطب الله عز وجل نبيه موسى، في عدة أمثلة حتى غدا بذلك كليم الله، يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى. إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى. وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى. إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه 11-14].

إن هذا الشكل من الحوار جاء ثنائيا بين الله تعالى كمخاطِب وموسى عليه السلام كمخاطَب فكان الحوار هنا مباشرا دون واسطة أو أداة، وفي نفس السياق يوجد مثل هذا الحوار في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِي﴾ [الشعراء 10-12].

---

[1]-بحوث في قصص القرآن، السيد عبد الحافظ عبد ربه، ص74-75.

[2]-الخطاب القرآني: مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، سليمان عشراتي، ص186.

كما توجد علاقة ضمن هذا الشكل، وتتمثل في ذلك الحوار الذي يجمع موسى عليه السلام بنفسه، فيكون بذلك هو المخاطِب والمخاطَب في آن واحد، ويتجسد هذا في قوله تعالى: ﴿...رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص 24]. وأيضا عند قتله القبطي في قوله تعالى: ﴿...قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾[القصص 15-16] فالحوار بهذا الاستطراد المتواجد تتعمق وظيفته التعبيرية الموصولة بالوجدان، فالخطاب بها يأخذ منحى عاطفيا يعكس العقيدة التي تسكن أعماق الفرد، وتجرده الخالص من أجل تمثلها، وقد يترادف القول أحيانا في سياق واحد دون أن يفرق ذلك السياق عارض كلامي أو سردي[1].

ب–حوار بين مخاطِب ومخاطَبَيْن: وتجمع هذه العلاقة الحوارية بين مخاطِب هو الله بكل من موسى وأخيه هارون، فيخصهما بكلامه معا وفي آن واحد، يقول تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى. قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ [طه 43-45]، فالله تعالى خاطب موسى وأخاه هارون في نفس الدرجة فأمرهما بالذهاب إلى فرعون لهدايته معا إلى الرشاد والصواب، ويقول أيضا: ﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ. فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء 15-16].

جـ–حوار بين مخاطِب ومخاطَبين: وتتفرع هذه العلاقة الحوارية إلى نوعين من العلاقات فالأولى تتمثل في مخاطبة الله لقوم موسى، أو بني إسرائيل، حيث يقول الله تعالى: ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى. كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ [طه 80-81]. فالله هنا وأثناء مخاطبته لقوم موسى يذكرهم بفضله عليهم، إذ أنجاهم من عدوهم فرعون، وجنوده، والذي كان يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم، وكان ذلك بلاء عظيم لبني إسرائيل.

---

[1]–الخطاب القرآني: مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، سليمان عشراتي، ص190.

أما الثانية فتتمثل في مخاطبة موسى لقومه، الذي ملِ وكره من معاصيهم المتعددة وهذا ما يوضحه الحوار الدائر بينه وبين قومه، في قوله تعالى: ﴿يَاقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي. قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ [طه 86-87]. فموسى يخاطِب بني إسرائيل، إذ يذكرهم بالوعد الذي وعدهم به ربهم، ولكنهم لشدة جهلهم، وقلة إيمانهم ينقضون العهود، ويشتد الصراع الحواري عندما يواجه موسى سحرة فرعون ﴿قَالُوا يَامُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى. قَالَ بَلْ أَلْقُوا...﴾ [طه 65-66].

كما توجد علاقة حوارية أخرى بين موسى وقومه ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ. قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ [البقرة 67-68].

لقد كان في هذا الحوار الدائر بين موسى وقومه، حكمة إلهية لأنهم قتلوا نفسا منهم، ثم جعل كل فريق يدرأ عن نفسه التهمة ويلحقها بسواه، و لم يكن هناك شاهد فأراد الله أن يظهر الحق على لسان القتيل ذاته، وكان ذبح البقرة وسيلة إلى إحيائه وذلك بضربه ببعض من تلك البقرة الذبيح، وهكذا كان فعادت إليه الحياة ليخبر بنفسه عن قاتله، وليجلو الريب والشكوك التي أحاطت بمقتله، وليحق الحق ويبطل الباطل بأوثق البراهين[1].

ومن خلال ما سبق فقد مثل الحوار في قصة موسى، عنصرا هاما وفعالا في بناء أحداثها، وتفاعل شخصياتها، وذلك بعرضه لمشاهد الصراع الدائر بينها، ولا يمكن تصور قصة دون توظيف تقنية الحوار، لأن بحذفه حذف لنمو الأحداث فيها.

[1]-في ظلال القرآن، سيد قطب، ج1، ص79.

الفصل الثاني:

الزمن في قصة موسى عليه السلام

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا–المفهوم العام للزمن

لقد تناولت الدراسة فيما مضى التشكيلات الفنية في العمل القصصي المتضمنة للمكان والشخصية، والحدث والحوار، وأُخر الزمن كونه مناط الدراسة التطبيقية على قصة سيدنا موسى عليه السلام ... وقبل الخوض في ذلك، فإنه من الواجب الوقوف على المفهوم العام للزمن ومدى أهميته عند الأمم، والفلاسفة والأدباء، وسيقع التركيز على مفهومه في الأدب الحديث، وخاصة عند الغربيين.

والزمن بكل ما تحويه الكلمة من معاني ولأنه وحده فقط الذي يتضمن فكرة الوجود والعدم، السكون والحركة، الحضور والغياب، كان مفهومه يشغل كل تأمل ميتافيزيقي في عوالم الفكر والأدب، كما يضطلع بتحريك ما كان ثابتا مبهما في غيابات المستقبل الذي نجهله دوما، ليتجلى ويتعرى في كل غموضه مباشرة عندما يلامس لحظة الآن (الحاضر)، كما يفعل الزمن في تثبيت ما كان متحركا فقط، لأنه صار ماضيا لا نستحضره إلا بقوة الذاكرة[1].

إلا أن استحضاره له من الفاعلية الإيجابية في حياتنا، فهو مصدر وعي بذواتنا ومكاننا، لذا نجد أن الفلاسفة قد اهتموا به ودرسوه من ذلك مثلا إخوان الصفاء، فلقد ورد في رسائلهم أن «الزمن عند جمهور الناس هو مرور السنين والشهور والأيام والساعات، وقد قيل إنه مدة بعدها حركات، الفلك، وقد يظن كثير من الناس أن الزمان ليس بموجود أصلا إذا اعتبر بهذا الوجه، وذلك أن أطول أجزاء الزمان السنون والسنون منها ما قد مضى، ومنها ما لم يجئ بعد، وليس الموجود منها إلا سنة واحدة، وهذه السنة أيضا شهور منها ما قد مضى، ومنها ما لم يجيء بعد، وليس الموجود منها إلا يوما ساعة واحدة، وهذا اليوم ساعات منها ما قد مضت، ومنها ما لم تجيء، وليس الموجود منها إلا ساعة واحدة، وهذه الساعة أجزاء منها ما قد مضى وآخر ما جاء فبهذا الاعتبار ليس للزمان وجود وأصلا»[2].

وإذا تم التسليم بما توصل إليه إخوان الصفاء من أنه ليس للزمان وجود أصلا، فما قولهم في توالي الأيام والشهور والسنون، ألا تدل هذه على الحركة التي قـــد ينشأ عنها تلاشي الأيام وتناميها،

---

[1]–بنية السرد القصصي عند زليخا السعودي، عبد الحميد ختالة، مذكرة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الاخوة منتوري: قسنطينة، 2004م، ص68.

[2]–إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، بيروت، دار بيروت، 1983، المجلد الثاني، ص17.

وفي هذا وجود للزمن سواء أكان حاضرا أم غائبا.

وهذا ما ذهب إليه الفيلسوف ابن رشد، عندما اعتبر عدم إمكانية تصور الزمان خارج تصور الحركة، وهو بهذا ينهج منهج أرسطو في رؤيته للزمن، الذي عمد إلى ربط الحركة بالزمان ليمزج بين الزمان، والحركة، والتغير، لأن كل تغير قد يكون أسرع، قد يكون أبطأ، وليس يكون الزمان هكذا، وذلك أن السريع، والبطيء إنما يحددان بالزمان، فالسريع هو ما كان كثيرا في قصير، والبطئ هو ما كان قصيرا أو طويلا وليس يجوز أن يكون الزمان يحدد بزمان، لا من جهة ما هو كم، ومن جهة ما هو كيف، ومن ثم كان حدّ الزمان عند ابن رشد هو عدد الحركة بالمتقدم والمتأخر الذي فيها[1].

في حين أن الزمن يختلف من أمة إلى أمة، ومن مجتمع إلى آخر، وهذا بحسب فهمها له، وما تراه من توظيفات ممكنة له، ومنه نشأت دلالته، واختلفت وتنوعت «من ذلك مثلا أن الماضي عندك لا يعني حتما ما يعنيه عندي، فقد سخرته الشعوب والثقافات لأدوار متميزة متغيرة، فكان عند هذا القيم على الهوية، وعلى استمرارها، وكان عند ذلك رمزا باليا للقديم المرفوض، وقد تختلف دلالته بالنسبة إلى المجتمع الواحد من عصر إلى عصر، وكذلك شأن المستقبل فقد تحولت به الشعوب والسنوات من مدلول إلى مدلول، ومن تصور إلى تصور»[2].

وقد وجد من ينفي القول بعدم وجود الزمن في حياتنا، فمن ينفيه فهو يرى بأن الماضي غير موجود، لأنه قد انقضى وفات، وأن المستقبل آت لا نعلم عنه شيئا وقد لا يكون فهو غير موجود، أما الحاضر فلحظة لا تكاد تكون حتى تغيب يصعب مسكها وتحديدها، فهي إما ماض أو مستقبل، وهذا أيضا غير موجود، ومنه فالزمن حقيقة لا وجود لها[3].

من خلال ما تقدم من نفي وإثبات للزمن وحركته وعدمها، يتضح جليا أن هناك تضاربا في الآراء والمفاهيم، فهو فيزيائيا موجود، وفلسفيا مختلف فيه بحسب النظرة إليه، حتى الأمم القديمة كان لها الحظ في إبداء رأيها في أمر هذا الزمن.

---

[1]-مفهوم الزمان في فلسفة أبي الوليد بن رشد، عبد الرزاق قسوم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص53-54.

[2]-مفهوم الزمن ودلالته في الرواية العربية المعاصرة، عبد الصمد زايد، الدار العربية للكتاب، تونس، 1988، ص8.

[3]-لحظة الأبدية: دراسة الزمان في أدب القرن العشرين، سمير الحاج شاهين، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980، ص6.

أما مفهومه في المعاجم اللغوية فهو كالآتي:

ورد مفهوم الزمن عند ابن منظور تحت مادة "زمن"، حيث قال: «الزمن والزمان: اسم لقليل الوقت وكثيره، و في المحكم، الزمن والزمان، العصر، والجمع أزمن، وأزمان، وأزمنة»[1].

وهو بهذا، فالزمن والزمان بمعنى واحد عنده.

كما فرق ابن منظور بين الزمن والدهر، عندما أورد قول أبي المنصور، «الدهر عند العرب يقع على وقت الزمان من الأزمنة وعلى مدة الدنيا كلها... والزمان يقع على الفصل من فصول السنة، وعلى مدة ولاية الرجل وما أشبهه»[2].

وورد مفهومه اللغوي بنفس المعنى السابق عند ابن فارس، بحيث ورد تحت مادة "زمن" في قوله: «الزاي والميم والنون أصل واحد يدل على وقت من الوقت، من ذلك الزمان، وهو الحين، قليله وكثيره»[3].

وحاول الزبيدي أن يضبط الزمن بميقات محدد يبتدئ من شهرين إلى ستة أشهر، في حين كان يرى أن الدهر غير محدد بوقت معين تماما، مثلما ذهب إليه ابن منظور، وقد ضبط هذا الرأي في قوله «الدهر لا ينقطع أبدا، في حين يكون الزمان من شهرين إلى ستة أشهر»[4].

وقد ورد الزمن في القرآن الكريم بمعنى الدهر، في موضعين، مرة بمعنى الزمن والديمومة في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان: 01]، وأخرى بمعنى القضاء والقدر في قوله تعالى على لسان الدهريين الذين لا يؤمنون بيوم البعث ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: 24].

وإن المتأمل في دلالة لفظة الدهر، في سياق الآيات السابقة، يجدها تحيل إلى معاني السطوة والجبروت، وعادة ما توظف في مواقف الحسرة، والانكسار، وكذا

---

[1]-لسان العرب، ابن منظور، مادة (زمن)، ج3، ص1867.

[2]-المصدر نفسه، ص1867.

[3]-معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (زمن)، ج3، ص22.

[4]-تاج العروس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق علي شيري، مادة (دهر)، مج6، ص427.

التسليم بأمور الغيب[1].

إن المتتبع للمفهوم اللغوي للزمن يلحظ التقارب فيما بينها، حيث دلت هذه التعاريف على أنه معني بالوقت عموما سواء قل أم كثر، دل على وقت قليل أم دلّ على مدة أطول بكثير.

ولا يزال الزمن يثير الكثير من التساؤلات، ومن الباحثين والدارسين له، خصوصا من الناحية الفلسفية والمعرفية واللغوية التي حصرته في أبعاد ثلاث: ماضي، وحاضر ومستقبل، وهو بهذا التقسيم النحوي، العربي أساس كل التقسيمات، فقد قال سيبويه «وأما الفعل، فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى ولما يكون، ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع»[2].

وقد استعمل الكوفيون تقسيم سيبويه، واستعملوا (الدائم) كدلالة عن الزمن من خلال صيغة اسم الفاعل، غير أن هذا التقسيم يدل في العمق على دلالة واحدة، وهي التطابق بين العالم الفيزيقي للأحداث المحققة من قبل الناس، واختبار شكل الفعل الزمني، وكل خروج عن هذا فإنه ليس خروجا عن القواعد النحوية، ولكنه خروج عن قوانين الطبيعة، كما لاحظ ذلك فيرستنينغ في بحثه حول مفهوم أزمنة الفعل عند النحويين العرب[3].

ولا يكاد يخلو كتاب من كتب التفسير مثل؛ (معاني القرآن للفراء)، أو من كتب النحو أو فقه اللغة بشكل عام (الخصائص لابن جني) وغيرها من الكتب من إشارات عميقة تتجاوز مستوى التقسيم الثلاثي الكلاسيكي للزمن، وتتعداه إلى محاولة معاينة بعض الخروجات التي تتم في الاستعمال اللغوي من خلال شواهد من الشعر، أو آيات من القرآن، حيث تصبح تلك الصبغة الزمنية خلوا من أي زمنية[4].

ومهما قيل عن الزمن وفي تحديد مفهوم معين له، فإنه يظل مبهما ضبابيا، فقد اعترف

---

[1]-الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، باديس فوغالي، رسالة دكتوراه دولة في الأدب العربي القديم، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1424-1425هـ/2003-2004م، ص41.

[2]-كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت180)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط1، دار الجيل، بيروت، دت، ص12.

[3]-تحليل الخطاب الروائي،(الزمن، السرد، التبئير)،سعيد يقطين، ص83.

[4]-المرجع نفسه، ص83.

الفيلسوف والقديس أوغسطين Augustin بمدى ضبابية فكرة الزمن فيقول: «ما هو الزمن؟ عندما لا يطرح أحد عليّ هذا السؤال فإني أعرف، وعندما يطرح علي فإنني آنذاك لا أعرف شيئا»[1].

ذلك أن الوصول إلى حقيقة الزمن أمر ليس من السهولة بمكان، فاختلاف المفكرين والفلاسفة، وتباين آرائهم بين النفي والإثبات، بين الموضوعية والذاتية يطرح أمامنا أن هذا الزمن يمثل نقطة تقاطع كبيرة جدا في الرؤى والتصورات، وهو ما وجد فعلا، حتى عند الأدباء الغربيين، الذين اهتموا بنقد الرواية وبعناصرها المشكلة لبنائها القصصي.

وقد اعتبر الشكلانيون الروس أول من أدرج مبحث الزمن في دراساتهم الأدبية، حيث مارسوا بعض التحديات على الأعمال السردية المختلفة، ومن ضمنها المحاولات التي اهتمت بتحليل البنى السردية في العمل القصصي، إلا أن هذه المحاولات حصرت في الحكاية الشعبية، و لم تتجاوزها إلى الأعمال القصصية والروائية، ويمثل هذا الاتجاه فلاديمير بروب[2].

وقد ميز توماشفسكي العمل الأدبي إلى متن حكائي، ومبنى حكائي، فالمتن الحكائي هو الأحداث في تسلسلها وتتابعها الزمني، كما يفترض وقوعها، وهو خاضع لمبدأ السببية، والمبنى الحكائي هو الأحداث في ترتيبها، الذي جاءت به في العمل الروائي، وهو غير خاضع للتسلسل المنطقي، وهو يشير إلى أهمية تحليل الزمن وإبراز الأدوار التي يقوم بها في العمل الحكائي، وفي ذلك يميز بين زمن الحكي وزمن المتن الحكائي، حيث إنه الوقت الضروري لقراءة العمل أو مدة عرضه[3].

وعليه، فإن زمن المتن الحكائي هو الزمن الطبيعي الذي جرت فيه الأحداث، أو الذي يحتاجه حدث ما حتى ينتهي، أما زمن الحكي فهو الذي يتحكم فيه السارد من أجل رصف مجموعة الأحداث وفق نظام معين، ويضطلع هذا الأخير بتحديد مدى تمكن الكاتب فنيا من صقل نصه السردي.

واعتبر تودوروف أن الزمن يلعب دورا هاما في بناء العمل الروائي، وجعله أحد ثلاثة المقاييس في التحليل السردي، إلى جانب الرؤية والطريقة، وتوصل إلى أن هناك فرقا بين زمن القصة

---

[1]-تحليل الخطاب الروائي، (الزمن، السرد، التبئير)، سعيد يقطين، ص61.

[2]-مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا، سمير المرزوقي، جميل شاكر، دار الشؤون الثقافية العامة، ص19.

[3]-تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، سعيد يقطين، ص70.

وزمن الخطاب، حين قال: «إن زمن الخطاب يعتبر زمنا خطيا، بينما زمن القصة متعدد الأبعاد»[1]. لأن القصة يمكن أن تنتظم أحداثها أو المادة الحكائية ضمن حدود إشارات زمنية تاريخية محددة أو مفتوحة، قد تستغرق عددا من الأيام أو السنوات، بينما زمن الخطاب يجد نفسه مضطرا إلى وضعها حدثا تلو الآخر، وهذا ما سعى إليه جل الروائيين إلى تحقيقه في أعمالهم الفنية لغايات جمالية، وهي نظرة حديثة للزمن[2].

كما ميز جيرار جنيت بين زمنين هما: زمن الشيء المحكي، وزمن الحكي، وهو يقصد بهذا زمن القصة الذي يمثل زمن الأحداث، وزمن الخطاب الذي يمثل بنية تلك الأخيرة في العمل الأدبي، حيث يميز بين النظام، المدة، والتواتر.

ومن خلال هذه المستويات الثلاثة يبحث جيرار جنيت، في نوعية العلاقة بين القصة والحكي في المستوى الأول بين الكاتب كون دراسة الترتيب الزمني للحكي يأخذ معناه في مواجهة ترتيب تنظيم الأحداث في الخطاب السردي بترتيب تتابع الأحداث نفسها في القصة، غير أن هذا الترتيب لا يستمر في العمل القصصي، لأن هناك مفارقات سردية تتجلى من خلالها مختلف أشكال التفاوت بين الترتيب في القصة والحكي[3]، وهذه المفارقات السردية هي عبارة عن رجوع في سرد الأحداث إلى الوراء للتفسير، وهذا من خلال تمييزه بين المقطع السردي، والموقع الزمني، الذي يخلص من خلاله إلى علاقات زمنية أخرى متمثلة في الاستباق ومعناه حكي شيء قبل وقوعه، والإرجاع ويعني استرجاع حدث سابق عن الحدث الذي يحكى، وفي تحليله للمفارقات أبرز كونها يمكن أن توضع في الماضي أو المستقبل، بعيدة بهذا الشكل أو ذاك عن لحظة "الحاضر" وهكذا فالمسافة الزمنية التي تفصل بين فترة القصة يتوقف فيها الحكي، وفترة في القصة يبدأ فيها الحكي المفارق هي التي يسميها بـــ"السعة"، ويمكن للمفارقة أن تغطي مدة طويلة أو قصيرة من القصة وهي المدى.

وعليه، فإن تقسيمات النقاد الغربيين للزمن كانت قائمة على التمييز بين زمنيين، وإضافة إلى هؤلاء نجد بنفنست الذي يميز بين الزمن الفيزيائي للعالم والزمن الحدثي، وعند جان ريكاردو، زمن السرد وزمن القصة، وكونترمولر الذي يميز بين زمن الحكي والزمن المحكي، كما ميزت الباحثة

---

[1]-بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، ص115.

[2]-المرجع نفسه، ص115.

[3]-تحليل الخطاب الروائي ، سعيد يقطين ، ص76.

فرنسواز فان روسم كيون بين زمن المبنى الحكائي وزمن السرد.

وإلى جانب التقسيم الثنائي للزمن نجد ميشيل بوتور يقسمه إلى ثلاثة أقسام، وهي: زمن المغامرة، زمن الكتابة وزمن القراءة[1].

ومجمل القول أن الزمن هو بمثابة الهيكل المشيد للعمل الفني، ولا وجود للسرد من دونه، حيث يرى جيرار جنيت بأنه يمكننا أن نروي قصة دون أن نسعى إلى تحديد المكان الذي تدور فيه الأحداث، بينما يكاد يكون مستحيلا إهمال عنصر الزمن الذي ينظم عملية السرد في زمن معين ماض أو حاضر أو مستقبل.

لقد تبين مما تقدم أن التقسيم الثنائي للزمن عند النقاد الغربيين هي نفس السبيل التي انتهجها النقاد العرب، فمثلا حميد لحمداني، يميز في كل عمل قصصي بين زمنين زمن السرد، وزمن القصة الذي يخضع بالضرورة للتتابع المنطقي للأحداث، بينما لا يتقيد زمن السرد بهذا التتابع المنطقي، وهو نفس التقسيم الذي يوجد عند كل من سمير المرزوقي وجميل شاكر، حيث اعتبرا أن زمن القصة مزدوج على الأقل، فهناك من جهة الملفوظ القصصي أو المدلول أي الحكاية نفسها بوصفها تسلسلا زمنيا وارتباطا بين الأحداث، ومن جهة أخرى زمن الخطاب أي ترتيب السارد للأحداث في النص القصصي كدال، أما سعيد يقطين فإنه يقسمه إلى ثلاثة تقسيمات هي: زمن القصة، وزمن الخطاب، وزمن النص[2].

ولقد أضحى الزمن في الدراسات النقدية الغربية يتميز بحيز خاص به في كل التحليلات التي تجري على النصوص السردية، خاصة وأنهم قد طبقوه على أعمالهم القصصية والروائية، وفي خضم هذه التطورات الحاصلة ماذا يمكن القول عن زمنية النص القرآني؟ وهل يوجد هذا الزمن السردي أم أن هناك زمنا آخر، انفردت به القصة القرآنية؟ خاصة وأنها قصة فنية، فيها من مظاهر الجمال الفني ما يجعل الباحثين والدارسين يهيمون بها، وينكبون على دراسة الجوانب الفنية فيها.

إن الزمن القرآني استأثر بوضع خاص به، بعدما كان نصيبه من الدراسة والتناول قليلا، و لم يكن من اليسير فهم معانيه وإدراك مراميه البلاغية، كما لم يكن من السهل دراسة الاستعمال القرآني

---

[1]-بحوث في الرواية الجديدة، ميشال بوتور، تر: فريد أنطونيوس، ط2، منشورات عويدات، بيروت، 1982، ص101.

[2]-تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين، ص89.

لأزمنة الفعل بكل تقاطعاتها وإيحاءاتها وملابساتها.

ولعل، النص القرآني يكون قد أثار موضوع الزمن من خلال قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 01]، فكلمة (اقرأ)، تمثل زمنا مطلقا مفتوحا على التوالد، مما أكسب المتن القرآني شرعية التأصيل والتأسيس، ففي وصفه للخالق مثلا بأنه (الأول والآخر) فإن الأولية المقصودة ليست أولية زمانية، فالله ليس عنده (قبل وبعد)، فالزمن كل مخلوق مع الكون والله كائن قبل مخلوقاته وباق بعد فنائها، فهو موجود قبل الزمان وبعده[1].

لقد تأصل المبدأ الزمني في النص القرآني، حينما ربط فعل الخلق بالزمن، كما كان ذلك أيضا في آيات كثيرة، بل لقد نصت السورة الأولى ذاتها على المآل الزمني المقرر للإنسانية، أثناء حديثها عن الزمن الرجعي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ [العلق: 08]، فهذه السورة رسمت معالم الزمن البدئي والرجعي[2].

وإذا كان النص القرآني قد حدد بداية ونهاية الزمن بالنسبة للخلق، واعتبر في كلمة (اقرأ) زمنا مطلقا، فإن هذا يوحي لنا أن الزمن لا يزال غامضا، وصعب الإطلاع على خباياه وأسراره، وفي هذا الشأن يقول مصطفى محمود «والحقيقة إن هذا الشعور بصعوبة الزمن وبالقدرة على معرفة خباياه ليس مرتبطا بعالم الآخرة فقط، بل حتى عالم الدنيا الذي نحيا، نجد الزمن يختلف فيه من مكان إلى مكان لأن القانون العلمي يقول لنا: إن كل نظام حركي له تقديم زمني خاص به، فالشمس وكواكبها نظام حركي له زمنيته الخاصة به...» [3].

ولعل هذا الغموض الذي اكتنف الزمن راجع إلى خصوصية النص القرآني، بحيث «أصبح للقرآن زمن نستطيع أن نسميه زمن القرآن؛ زمن الوحي»[4].

وبهذه الخصوصية أصبح الزمن القرآني زمنا خاصا، مختلفا عن الزمنية النحوية الجامدة، غير خاضع لها، والمنبثقة عن النحو الذي بحكم وظيفته المحددة لم يعد قط ثلاثة أزمنة ماض وحاضر

---

[1]-مستويات السرد الإعجازي في القرآن الكريم، شارف مزاري، ص112.

[2]-الخطاب القرآني، مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، سليمان عشراتي، ص96.

[3]-من أسرار القرآن، مصطفى محمود، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1983، ص24.

[4]-الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، عبد الحميد جيدة، ط1، مؤسسة نوفل، بيروت، 1980، ص269

ومستقبل، بل أصبحت هذه الأزمنة لا تفي بحاجيات النص القرآني «لأن التقسيمات الثلاثة التي قصروها على أزمنة الفعل لا تعني شيئا كثيرا في جهاز معقد من التداخلات وتشابك العلاقات وتبادل المواقع الزمنية، باستيلاء هذا الزمن على معنى الزمن الآخر، وذاك على هذا بدون حدود، ولا مانع، إلا ما تقتضيه مقتضيات السياق، فهذه التقسيمات النحوية لا تفي بتحديد الزمن في نص أدبي دنيوي، فكيف في نص قرآني ينهض في كثير من نسوجه على الانزياح والتقنن في أسلبة الكلام بوجه معجز»[1].

إن عبد المالك مرتاض في مقولته هذا يبحث عن زمن خاص بالنص القرآني، بعيدا عن التقسيمات النحوية الثلاث، والتي اعتبرت جامدة، بل ربما لا تكشف عن الخبايا الجمالية للنص القرآني، وبها يصبح الدارس مقيدا بقوالب مضبوطة لا تسمح له باستكناه عوالم الزمن في القصة القرآنية، ومدى فاعليته في سير أحداثها.

لذا تعامل النص القرآني مع هذه الأفعال بمستوياتها الثلاثة، بعدم إخضاعها لزمنيتها النحوية، بل تجاوزها إلى مستوى دلالي أوسع يتمثل في إعادة خلق وتشكيل القصدية الزمنية، فمثلا دلالة الماضي تأخذ منعطفا انعكاسيا يحيلها في نهاية الأمر إلى المستقبل، كما نجد المستقبل يحال إلى الماضي بصورة عكسية كما في قوله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾. [البقرة: 214].

لقد تعاملت القصة القرآنية مع الزمن بمنهج واضح يخلو من التعقيد ويرسي أساسا متينا ومنهجا دقيق الملامح في بناء القصة الفنية، بحيث يعطي السرد للفترات الزمنية نظام التأني والتعجيل أي ما يعرف في النقد الحديث بمفهوم تسريع السرد ووتيرة الزمن أو تبطئ السرد ووتيرة الزمن، كما يعطي فترة زمنية لا تجاوز سحابة يوم مثلا إشارة في لوحة زمنية، ويغفل حقبة تجاوز العقد دون أن يمنحها إلا إشعارا ليذكرنا بها في حين يتلبث في فترة زمنية قد تكون ساعة أو ساعتين، أكثر من دقيقتين من الزمن الممثل[2].

وبهذا التداخل في الأزمنة نجد لكل قصة زمنها الخاص بها، ومن الطبيعي مع هذا الاختلاف،

---

[1]-نظام الخطاب القرآني، تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن، عبد المالك مرتاض، دار الهومة، الجزائر، 2001، ص70.

[2]-الجانب الفني في القصة القرآنية: منهجها وأسس بنائها، خالد أحمد أبو جندي، ص214.

أن نجد القصة القرآنية تختلف من قصة إلى أخرى، فمنها ما لم يذكر إلا مرة واحدة، ومنها ما ذكر أكثر من مرة ومع احتمالات تكرار الأحداث المروية في زمن الحكاية، وتكرار الأقوال القصصية في زمن القصة، فإنه من الممكن استخلاص أن القصة يمكن أن تروى مرة واحدة ما حدث ذات مرة أو مرات عديدة ويمكن أن تروى مرات عديدة ما حدث مرة واحدة أو مرات عديدة، بمعنى أن زمنية القصة هي التي تفرض مثل هذه الاحتمالات[1].

ومن خلال ما تقدم فإن الزمن في القصص القرآني يعتبر بمثابة اليد الحاملة للحدث، وبمثابة اللون الذي يستخدم في المكان المناسب وبالقدر المناسب، كما أنه تعبير واضح عن أحداث ظهرت في الأفق منذ زمن بعيد موغل في القدم، ولم يكن القرآن يعنى بتحديد ذلك الزمن بألف وألفين قبل الميلاد أو بعده، وقبل البعثة أو بعدها.

ثانيا–الحلقات الزمنية في قصة موسى عليه السلام

يشكل الزمن في قصة موسى، أحد أبرز التقنيات التي من شأنها إضفاء فنية سردية عالية في هذه القصة، فهي كغيرها من القصص تنفرد بنظامها الخاص بها، الذي يشكل عبر عرض حلقاتها جسم القصة، ويتضح هذا حين تقرأ بحسب ترتيب نزولها، فقد وردت القصة في أكثر من ثلاثين موضعا في القرآن كله، مكيه ومدنيه، ولكن ورودها مفصلة اقتصر على عشرة مواضع في عشر سور منها ستة مواضع هي أكثرها تفصيلا، والذي ورد منها في سورة الأعراف كان أول تفصيل، وأوسع مساحة، وإن كانت الحلقات الزمنية الواردة في هذه السورة أقل مما ورد في سورة طه، فتبدأ في سورة الأعراف بحلقة مواجهة فرعون وملئه بالرسالة، وفي سورة طهتبتدأ من حلقة النداء لموسى، في جانب الطور وتبدأ في سورة القصص من حلقة مولد موسى في فترة اضطهاد بني إسرائيل، ويبدأ عرضها متناسقا مع جو السورة وأهدافها على طريقة القرآن في سياق القصص كله، بالتوجيه إلى عاقبة تكذيب فرعون وملئه، وذلك منذ اللحظة الأولى في عرضها[2].

وقصة موسى على اكتمالها تتضمن ثلاث فترات زمنية من حياته قبل النبوة، وخلالها مع فرعون، ثم مع قومه، فمثلا في سورة البقرة نجد سرد بعض الأحداث والمواقف التي واكبها موسى في

---

[1]–البنية السردية ودلالاتها في القصة القرآنية، قصة موسى أنموذجا، عائشة رماش، ص136-137.

[2]–في ظلال القرآن، سيد قطب، ج3، ج9، ص1329.

هذا الصدد مع قومه، وكان يضمنها التذكير بإغراق فرعون وإنقاذ قوم موسى منه، وهذا يعني أن الفترة الثالثة من حياة موسى كانت مادة السورة قصصيا[1].

وستحاول هذه الدراسة تتبع الحلقات الزمنية في المحطات الكبرى من قصة موسى عليه السلام ، دون التركيز على المواضع التي ورد فيها الاسم مجردا، وبأقل حدة السور التي وردت فيها القصة عبارة عن إشارات مقتضبة، وذلك وفق ترتيب النزول، ليأتي المبحث الثالث من هذا الفصل ليرتب أحداث القصة كاملة.

1-قصة موسى في سورة الأعراف:

وأول سورة تعرضت بالتفصيل لقصة موسى هي سورة الأعراف، وعلاقته ببني إسرائيل، ومن قبلها في هذه الظلال، المرتبة وفق ترتيب المصحف لا وفق ترتيب النزول في سورة البقرة وسورة آل عمران، وسورة النساء، وسورة المائدة، وسورة الأنعام، وباعتبار ترتيب النزول فإن هذه الحلقات الواردة منها هنا في سورة الأعراف المكية تكون سابقة على ما ورد منها في السور المدنية.

لقد تناولت سورة الأعراف الفترة الزمنية الثانية من حياة موسى، أي فترة تعامله مع فرعون بشيء من التفصيل، وبعض هذه الأحداث جديد في سورة الأعراف، وكل ذلك يجري في سياق جديد كما سنرى.

فقد جاء سرد قصة موسى في هذه السورة على شكل حكايات قصيرة متتابعة، حيث كان الهدف منصبا على إبراز مفهومات معينة تتساوق وطبيعة الأفكار المطروحة في السورة، فجاء هذا السرد عبارة عن تعقيب على أحداث ومواقف، فيما يشكل هذا التعقيب عنصر التذكير بالعظة التي ينبغي استخلاصها، بنحو يتناسق مع أفكار القصة وموضوعاتها[2]، وتتناول هذه الفترة الزمنية أحداثا ومواقف تتداخل فيما بينها أحيانا، وتنفصل أحيانا أخرى، هذه الأحداث هي:

أ-موسى مع فرعون ب-موسى مع السحرة ج-فرعون مع السحرة د-موسى مع آل فرعون.

---

[1]-دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ص151.

[2]-المرجع نفسه، ص151.

وتبدأ حكاية موسى مع فرعون على النحو الآتي من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ. وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. قَالَ إِنْ كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ. وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾. [الأعراف: 103-108].

فبدأت هذه القصة من نهاية الحدث الذي أشار إليه النص ضمنيا في قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾؛ هذه العملية الإشارية تمثلت في إيراد حدث سابق، وتسمى في النقد التقليدي بسبق الأحداث التي تمثلت في إغراق فرعون، وفي صبّ مختلف العقاب على قومه[1].

ثم تبدأ الأحداث بالارتداد الزمني إلى البداية، ويتمثل في خطاب موسى لفرعون بأنه رسول من رب العالمين مطالبا إياه بفك الإسرائيليين، وتخليصهم من الاستعباد الفرعوني لهم مشيرا إليه بأن لديه آيات تدعم صحة اضطلاعه برسالة الله، ومنه فإن البدء بسرد القصة بمطالبة إنقاذ الإسرائيليين من فرعون، يعني أن النص القرآني يعتزم إلقاء الضوء على حقيقة، تتصل بهؤلاء القوم الذين سلكوا شتى المفارقات مع أن السماء أنقذتهم من أشد ألوان الاستعباد والقتل، وفي هذه اللاحقة الزمنية التي عبّرت عن الأحداث السابقة للنقطة الزمنية التي بلغها السرد وهذا ما يمكن ملاحظته بوضوح في سياق قصص موسى مع قومه، أي في الفترة الثالثة من حياة موسى في هذه السورة التي تناولت هذا الجانب.

أما القسم الثاني من هذه القصة فيتمثل في جواب فرعون وقومه على الإعلان المذكور في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنْ كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ. وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾. [الأعراف: 106-108]، فالنص هنا لم يذكر التفصيلات، بل حذف كل ما تعلق بالعصا، واليد، والغرض من هذا إنما هو تسريع للسرد ولوتيرة

---

[1]-في ظلال القرآن، سيد قطب، مج3، ج8، ص1345.

الزمن، فحذف النص تفصيلات العصا واليد لتوضيح الغرض مباشرة والذي يتمثل في الاكتفاء بالإشارة إلى الحدث الهام دون ذكر التفصيلات.

كما يمكن ملاحظة مثل هذا الحذف والتلخيص في القسم الثالث من القصة، والمتمثل في حادثة السحرة وموقفهم من موسى وفرعون دون ذكر الحوار الذي جرى بين فرعون والسحرة حال غلبتهم على موسى، حيث كانت البداية القصصية بقوله تعالى عن ﴿الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ تمهيد أو إرهاص بما سيلقي النص من أضواء على هؤلاء القوم الذين سوّفوا في إصلاح أنفسهم، وأسرفوا في عنادهم، واستكبارهم بالرغم مما شاهدوه من الآيات[1]، لأن النص القرآني سيركز الحديث عن قوم موسى وقوم فرعون، وليس بصدد التركيز على فرعون أو السحرة، إلا بما يلقي الضوء على قوم فرعون وموسى.

وفي القسم الرابع من القصة والمتمثل في "موسى وآل فرعون" فيظل الصراع قائما بينهما حتى بعد فشل عملية السحر ليبدأوا في محاولات جديدة، كتحريضهم فرعون بأن موسى يتربص بهم ليقتلهم، ويتخلص منهم، والحوار الآتي في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف 127]، وفعلا ينفّذ فرعون تهديده، ويكشفه الحوار بين موسى وقومه في قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ. قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾. [الأعراف: 128-129].

إن هذا الحوار الذي جرى بين موسى وقومه مهّد لمراحل زمنية لاحقة، وذلك بسبق أحداثها من خلال الكشف عن التطورات الحاصلة مستقبلا، لأن تمني موسى لم يكن مجرد أمنية قد تتحقق وقد لا تتحقق، بل كان إشارة فنية، أي كان إنماء عضويا لحدث سوف يتحقق لاحقا عندما يواصل النص

[1]-دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ص155.

القرآني سرده لأحداث القصة في فصولها اللاحقة، وهو الملاحظ فعلا[1].

وهناك لاحقة زمنية أخرى، تمثلت في أن قوم موسى عندما يستخلفون في الأرض سيواجهون مصيرا غامضا لا يزال المتلقي جاهلا بتفصيلاته، وفي هذا إضمار للأحداث، أي أن النص القرآني عقب التبشير بهلاك فرعون مخاطبا بني إسرائيل ﴿فَيَنظُرَ -أي الله- كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾. فجاء الإضمار والحذف كاشفا عن سر غامض، يتمثل في النعمة التي أنعمها الله على بني إسرائيل، ما هم فاعلون بها؟، وهل سيقدرونها؟ أم سيهملونها؟ ويعلنون تمردهم؟ أي أنه استخلاف للامتحان[2]. وإن قوله ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾. فتوحي زمنيتها المستقبلية بأن الإسرائيليين سوف لن يقدروا هذه النعمة، بل إنهم سيفسدون في الأرض، ذلك أن مجرد التشكيك بما سوف يعملونه يعني أنهم سيمارسون سلوكا سلبيا، وفعلا فقد قابل بنوا إسرائيل هذه النعم بالجحد والنكران فكان أن عاقبهم الله بمثل سلوكهم، فسلّط عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم كما بين النص فنيا تفصيلات الحادثة في حوار سابق[3].

وتشكل قصة موسى مع الإسرائيليين، فصلا آخر من فصول القصة التي تجسد صراع موسى مع الأعداء عبر اضطلاعه بالرسالة، ويقدمهم النص من جديد في بداية فصل جديد من قصة موسى مع قومه في قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾. [الأعراف: 137].

وما يُلاحظ في هذه الآية القرآنية هو ربط الأزمنة ببعضها؛ اللاحقة بالسابقة في فنية عالية، هذه الأزمنة السابقة المتعلقة بقصة الأقباط، والقصة الحالية؛ قصة الإسرائيليين، وهذا الربط ساهم في نمو الحدث وتطوره، ومن حيث صلة البداية بالنهاية، من حيث قول موسى لقومه إن الله سيستخلفكم في الأرض، وينظر كيف تعملون في قوله تعالى: ﴿...قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ

---

[1]-دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ص159.

[2]-في ظلال القرآن، سيد قطب، مج3، ج9، ص1356.

[3]-المصدر نفسه، ص1356، وانظر: دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ص160.

وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾. [الأعراف: 129]، توضّح أن الإسرائيليين سوف لن يقدروا نعمة السماء عليهم، وهذا سرد متقدم استطلاعي، يتواجد بصيغة المستقبل؛ ويجيبنا النص القرآني على مستقبل هذا السلوك الإسرائيلي في هذه التفصيلات:

حيث تبدأ قصة موسى مع الإسرائيليين بسرد أول حادثة بعد حادثة إغراق فرعون، حيث يوضح النص أول سلوك منكر يقترفه الإسرائيليون، وهم لتوهم قد أنقذوا من آل فرعون، حيث بدأ حنينهم إلى عبادة العجل، وهم يعبرون البحر[1]. وبداية هذه القصة في قوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَامُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ. إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾. [الأعراف 138-139].

كما أن هناك سلسلة من المواقف والحوادث التي تجسد صراع موسى مع الإسرائيليين، بعد أن أنهى صراعه مع الأقباط، وأول حادثة هي: حنين الإسرائيليين إلى عبادة غير الله، كما حدثنا النص القصصي بذلك، وكان جواب موسى لقومه إنكار طلبهم المذكور ليأتي النص القرآني معقبا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾. [الأعراف: 141]، فعمد النص القرآني هنا إلى تذكيرهم بنعم الله عليهم، لكنهم أصرّوا، وتذكيرهم هو رسم لمصير أسود ينتظرهم يشبه مصير الأقباط[2].

ويتجسد البعد الزمني في هذه اللفتة القرآنية إلى أن النص القرآني لم يصرّح مباشرة بما يستحقه الإسرائيليين من عذاب، وإنما هي مدة زمنية عبرت عن مستقبل قادم وآت، ورسم المصير الأسود يتوافق والعناد والتمرد، الذي جوبهت به نعم الله على الإسرائيليين.

والحدث الثاني امتداد للحدث الأول، وهو حنينهم إلى عبادة العجل وتجسيده فعليا، قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ

---

[1]-في ظلال القرآن، سيد قطب، مج3، ج9، ص1365.

[2]-دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ص168.

سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾. [الأعراف: 148]. إن صراع موسى مع الإسرائيليين قد سرده النص القرآني بنحو عام متمثلة في دخولهم الأرض المقدسة، وفي تجاوزهم الحد في قضية السبت مقترنين بتذكير إحدى النعم عليهم[1].

لقد جاءت الحلقات الزمنية في قصة موسى في سورة الأعراف عبارة عن سرد زمني سابق أو لاحق في مواضع أخرى، وحتى أن بدايتها لم تكن من واقعة الميلاد، مع العلم أنها أول سورة فصلت قصة موسى بحسب أسباب النزول، وابتدئت زمنيا من تعامل موسى مع فرعون.

2-قصة موسى في سورة طه:

تناولت سورة الأعراف في قصة موسى شريحتين من حياته هما: زمن الرسالة وما بعدها، وسورة طه تتناول شطرا ثالثا من حياته هو: زمن ما قبل الرسالة، أي: الأحداث والمواقف التي واكبت حياته قبل اضطلاعه بالرسالة.

وسورة طه تسرد بشيء من التفصيل الشطر الأول من حياة موسى، حياته قبل النهوض برسالة السماء متمثلة في حدثين يجسدان هذه الفترة الزمنية من حياته، وهذان الحدثان هما: واقعة إلقائه في التابوت، وواقعة بحثه عن النار.

وتسرد هاتين الواقعتين وفق تسلسلها الزمني، وقد يستدعي السياق تقطيع الزمن دون إخضاعه للتسلسل، بل إخضاعه للزمان النفسي بدلا من الزمان الموضوعي[2].

لقد بدأت سورة طه بواقعة البحث عن النار، ثم أردفت بواقعة إلقاء موسى في التابوت، وواقعة البحث عن النار لا تشكل آخر مرحلة من حياة موسى، في حين أن إلقاءه في التابوت يشكل أول واقعة في حياته، لكن القصة في سورة طه ابتدئت بقص أخريات حياته ثم ارتدت بالقصة إلى أحداثها المبكرة، فكان البدء على النحو الآتي: في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى. إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾. [طه: 9-10]، وبعد هذه البداية واصل النص حديثه عن موسى وفق تسلسل زمني هو: تكليم موسى، وإصدار الأمر

---

[1]-دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ص170.

[2]-المرجع نفسه، ص350.

إليه بالذهاب إلى فرعون، وإلى هنا فإن القصة تأخذ تسلسلها الزمني، وقد يشهد النص حذفا للأحداث، ليرتد زمنيا إلى أحداث ما قبل البحث عن النار، إلى الأحداث الأولى من حياة موسى: أحداث إلقائه في التابوت مع إشارة عابرة إلى نجاته من اليم، وقتله للنفس ولبثه في مدين[1].

وبعد هذا الحذف وتقطيع الأحداث يعود السرد من جديد للأحداث المتصلة بموسى وعلاقته بفرعون، وهذا التقطيع لأحداث القصة وكسر وحدتها الزمنية، لم يغير من الأمر شيئا، حيث بدأت القصة من حيث ختمت حياة موسى العادية، إلا أن هذه الحياة قد مضت في حركتها العادية لحين انتهائها بواقعة البحث عن النار.

لقد بدأ النص بسرد واقعة البحث عن النار هذه الواقعة التي وصلها بحادثة تكليم السماء لموسى، وحين تبدأ هذه القصة، بما هو خاتمة لحياة عادية إنما هو إعلان لحياة غير عادية، يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى. إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى. وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى. إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي. إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى. فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾. [طه 11-16].

وإن بداية قصة موسى من آخر واقعة في حياته الأولى حياة ما قبل النبوة، يرجع إلى معين، وهو أن القصة حينما تبدأ من مرحلة زمنية معينة دون أن تأخذ التسلسل الموضوعي للأحداث في الزمان، فلأن سياق الأفكار التي يستهدفها النص القرآني هو الذي يفرض تقطيع الزمان واختيار المرحلة الملائمة[2].

وللعصا أيضا قيمة من حيث فاعليتها في زمن القصة، هذه العصا التي كشفت عن طول الرحلة وأن موسى قد صحب الغنم في رحلته، قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى. قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾. [طه: 17-18]، وتظهر فاعليتها مع زمان الرسالة بدءا من لحظات التكليم –تكليم السماء لموسى– مرورا بقضية موسى مع السحرة، وانتهاء بالأزمنة اللاحقة لنبوة موسى.

---

[1]–دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ص363.

[2]–المرجع نفسه، ص363.

إن قصة موسى في سورة طه بدئت من نهايتها –حادثة البحث عن النار– ثم تابعها السارد بالأحداث الموضوعية زمنيا كسرد حادثة التكليم في الواد المقدس ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾. [طه 12]، وحادثة التكليم وما صحبها من أحداث العصا، واليد، ومطالبة موسى بالذهاب إلى فرعون، وجواب موسى بطلب إلى السماء بأن تزيح عقدة لسانه، وبأن ترسل معه أخاه هارون ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي. وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي. وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾. [طه 25-32].

ويقطع السارد التسلسل الموضوعي للأحداث، فبدلا أن يسرد ذهاب موسى وهارون إلى فرعون عاد إلى الأيام الأولى من حياة موسى، إلى طفولته فشبابه، فمكوثه في مدين، فمجيئه إلى الواد المقدس، أي عاد إلى النقطة التي بدأت القصة بها، بحيث وصل بين مراحل حياته الأولى التي بدأت بحادثة إلقائه في اليم، وختمت بحادثة بحثه عن النار، ثم واصل بعد ذلك تكملة ما قطعه السرد المتصل بقضية ذهاب موسى إلى فرعون، ولقد كان من الممكن أن تبدأ القصة بحياة موسى وفق مراحلها المتسلسلة، كأن تبدأ بحادثة إلقائه في التابوت، ثم رجوعه إلى أمه، ثم قتله النفس ثم مكوثه في أهل مدين، ثم بحثه عن النار، وبهذه تنتهي سلسلة حياته الأولى[1].

لكن ما الغاية من هذا الارتداد الزمني لسير أحداث القصة من النهاية إلى المراحل الأولى من حياته، ثم العودة من جديد إلى متابعة ما قطعه السرد، وإن هذا الارتداد بالأحداث إنما هو تذكير بموسى بالعطاءات المتكررة، حيث بدأ بالعودة إلى المرحلة الأولى من حياته في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى. إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى. أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي. إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى. وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي. اذْهَبْ

---

[1]–دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ص364.

أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى. قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى. قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى. فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى. إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾. [طه 37-40].

إن النص عندما عاد إلى الحياة الأولى لموسى ربطها بعد ذلك مباشرة بالنقطة التي قطع سلسلة السرد من خلالها، حيث عاد من جديد إلى حادثة التكليم التي تمثلها الفقرة الأخيرة، كما قطعت سلسلة الأحداث المتصلة بالتكليم، والمطالبة بالذهاب إلى فرعون، هذه الأحداث قطعها السارد بتذكير موسى بنعم السماء عليه وارتد بذلك إلى مراحل حياته التي انتهت إلى حادثة التكليم ويعود السرد من جديد إلى النقطة التي توقف عندها، قبل ارتداد الأحداث إلى الوراء، عاد إلى التسلسل الزمني، وذلك بمطالبة موسى بالذهاب إلى فرعون، حيث يواجه تفصيلات جديدة في هذا الموقف، فبدأت بمواجهة فرعون، إلا أن السارد يحذف بعض الأحداث المتصلة بواقعة الذهاب إلى فرعون، هذا الحذف الذي أدى إلى تسريع السرد ووتيرة الزمن، كما حذف طريقة المواجهة التي بدأها موسى مع فرعون، فأُمر موسى باللين في القول والمعاملة، لأن الموقف يتطلب مثل هذا النوع من التصرفات التي تتناسب وتركيبة الشخص.

وختمت هذا التفصيلات بالتعقيب التالي ملخصا نتيجة الحوار بينه وبين موسى وهارون ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾ [طه 56] كما نجد تمهيدا للأحداث اللاحقة من خلال التعقيب القائل عن فرعون ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾ [طه 56]، هذا التمهيد الجديد صحبه تحدي فرعون لموسى ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَامُوسَى. فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ [طه 57-58]. ومع هذا التحدي،

تبدأ القصة بتقديم تفصيلات جديدة عن البيئة التي ستتحرك من خلالها حادثة السحرة، وحدد الموعد في قوله تعالى: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ [طه 59].

لقد حرص كل من موسى وفرعون على تحديد الزمان والمكان الذي يتم التحدي فيهما، مع فارق نفسي كبير بين طلب فرعون وطلب موسى، فطالب فرعون بضرب موعد بينهما، أي مجرد موعد دون أن يحدد اليوم أو الساعة وطالب بأن يكون المكان مستويا على الفريقين، أما موسى فقد طالب بأن تكون ساعة البدء بالاستعراض عند الضحى، وهي ساعة لا يكاد يتخلف عن الحضور فيه أي أحد قد اعتاد مثلا ألا يخرج مبكرا[1].

ويمكن تسمية تحديد هذا الموعد بالزمن النفسي، لأن فرعون الذي حدد مجرد الموعد وطالب بأن يكون المكان مستويا على الفريقين، يكشف عن قلقه ونفسيته المتخوفة من فشل جماعته، وهذا على العكس تماما من موسى الذي حدد الزمان على نحو مضاد تمام للإبهام الذي تعمده فرعون، فطالب بأن يتم الموعد في يوم لا يكاد يبقى فيه أحد في بيته، بل يخرج الناس كلهم إلى الشوارع والأسواق، ومن هذا الاقتراح يُكشف مدى اليقين والاطمئنان بنتائج المبارزة لدى موسى على الضدّ تماما من مدى القلق والشك لدى فرعون.

لقد انصبّ الحديث في سورة طه على موسى خلال النبوة وبعدها، وحياته قبل النبوة لم تسرد في سورة طه إلا عابرا، حيث أشارت إلى بعض مقاطعها في سياق سرده لأحداث النبوة ولواحقها، وأما في سورة القصص، فجاء السرد منصبا على حياة موسى قبل النبوة، وجاء السرد مفصلا بحيث لا تتناوله أية سورة سواها.

في سورة طه لم تخضع الأحداث تسلسها الزمني بل قطعها وفقا لسياقها النفسي، حيث بدأ بحادثة البحث عن النار، وهي آخر حياته قبل النبوة، ثم ارتد إلى حادثة إلقائه في اليم وهي أول حياته، وفي سورة القصص أخضعت القصة لتسلسلها الزمني بدءا من حادثة التقاطه في اليم وانتهاء بحادثة بحثه عن النار، ثم واصل النص سرده لأحداث النبوة وما بعدها معقبا على بعض الأحداث، حيث أخضعها في هذا التعقيب لتسلسلها النفسي بدلا من التسلسل الزمني[2].

---

[1]-في ظلال القرآن، سيد قطب، مج4، ج16، ص2340.

[2]-دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ص444.

3-قصة موسى في سورة القصص:

بدأت قصة موسى في سورة القصص على النحو الآتي: ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. [القصص: 3]، وبعد هذا التمهيد ابتدأت القصة بقضية فرعون وهامان وفسادهما في الأرض، حيث استهل السرد بما يلي: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ. وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾. [القصص: 4-6].

بعد هذه المقدمة يأتي الفصل الأول من القصة، ويتمثل في حياة موسى من حيث نشأته ومراحلها المختلفة، وهكذا مع فصول القصة التي تنتهي بالشطر الأول من حياة موسى حياة ما قبل النبوة، وبعدها تتابع حياته خلال النبوة وما بعدها.

يبدأ الفصل الأول من القصة مع ميلاد موسى، حيث اقترنت ولادته مع قرار فرعون بقتل الأطفال وهذا نص الفصل الأول من القصة ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. [القصص: 7]، وما يلاحظ من خلال هذا السرد القصصي أن هناك إضمارا لقرار فرعون بالقتل، كما أضمرت ولادة موسى، وصلتها بذلك القرار، بل اتجهت مباشرة إلى قضية الرضاعة وإلقائه في اليم في حالة الخوف من القتل.

وعندما أشارت البداية القصصية إلى عملية الرضاعة وإلقائه في اليم عقبت على ذلك بقولها في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. [القصص: 7] في هذا التعقيب سرد متقدم استطلاعي يتنبؤ بنتائج الحدث الإيجابية على موسى وأمه، أضف إلى ذلك أن هذا السرد الاستطلاعي قد تنبأ بمستقبل موسى وإلى أنه سيصبح رسولا من الله إلى قومه.

وعليه، فإن الفصل الأول يفصل جانبا من التنبؤ بالأحداث، والمقطع الثاني يفصل جانبا آخر

وهو أن موسى قد التقطه فرعون من اليم سيكون طرف الصراع الذي أنبأت المقدمة القصصية به مقابلا لفرعون وهامان وجنودهما، وهذا في قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾. [القصص: 8].

هذه الآية لم تتعرض بالتفصيل الزمني لأحداثها، من حيث أن فرعون لا يدري أنه التقط الطفل الذي سوف يقتله، وسوف يغرقه، وأن هذا اليم سوف يغرق فرعون لا موسى عليه السلام.

وعليه، فإن القصة بدأت زمانيا من حادثة إرضاع موسى، ثم إلقائه في اليم، فالتقاطه من آل فرعون، بمعنى أن ترتيبها الزمني ترتيب موضوعي لا نجد فيه مفارقات زمنية من حيث الارتداد أو استباق الأحداث.

أما المقطع الجديد من القصة، فيتمثل في إرجاع موسى إلى أمه، وهذا ما يسرده النص القصصي في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ. فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. [القصص: 9-13].

وبهذا المقطع القصصي ينتهي الفصل الأول من قصة موسى عليه السلام ليبدأ فصل جديد، وينتهي فصل من القصة؛ بانتهاء شطر من حياة موسى، هي حياة الطفولة لتبدأ مرحلة أخرى من حياته وهي حياة الرشد، يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. [القصص: 14]، ثم تنتقل القصة إلى سرد مرحلة ثالثة من حياة موسى، وهي مرحلة دخوله إلى المدينة على حين غفلة من أهلها، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ

مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ. قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. [القصص: 15-16].

إن ما يُكتشف في المرحلة الثالثة هو حذف لأسباب دخول المدينة، وحذف لمعالمها الأساسية وغاية ذلك هو تسريع للسرد ولوتيرة الزمن، وهذا للتركيز على الحادثة الرئيسة، وإبرازها، وهي حادثة القتل، قال تعالى: ﴿...فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ...﴾ [القصص: 15] فالنص هنا قد أضمر وحذف سبب الاقتتال بين الرجلين، وإن هذا الإضمار عائد إلى نقل المتلقي لعمليات استكشاف جديدة، يمارس من خلالها تذوقه الفني للقصة، ليتضخم بذلك عنصر الإمتاع الجمالي والفكري لديه[1].

ويتواصل السرد التسلسلي الزمني لأحداث موسى في هذه القصة، حيث يشهد حادثة قتل جديدة بين صاحب موسى وبين قبطي آخر: ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾. [القصص: 18]. ومساعدته للمرأتين، والزواج بإحداهن، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ. وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ. فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.[القصص: 22-24]

إن معطيات السماء كانت تتدفق على موسى بنحو لافت للانتباه، بدء من إنقاذه من فرعون في لحظة الميلاد إلى إنقاذه من الغرق، إلى عودته إلى أمه، إلى إنقاذه من فرعون، إلى إنقاذه منه في قضية قتله لأحد الأقباط، إلى إنقاذه من المتاه وهو يتجه إلى مدين، إلى زواجه بإحدى ابنتي شعيب، وهذا بعد عملية الاستئجار التي ارتبطت فيما بعد بعملية الزواج التي سنتحدث عنها في الجزء اللاحق من

---

[1]-دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ص453.

القصة، وهذا يعني من حيث عنصر الزمان، أن الحوار تضمن لحظة المستقبل بالتهيئة لأكبر حدثين لهما خطورتهما في حياة الاستقرار والتوازن؛ الزواج والعمل، كما نلاحظ عودة الزمن إلى الماضي بعد أن كانت الوظائف الثلاث تتضمن الحاضر والمستقبل، فالزمان المرتد إلى الماضي يتمثل في سمتين أشارت الفتاة إليهما هما: سمة القوة –وهي ملمح خارجي للبطل- وسمة الأمانة، وهي ملمح داخلي للبطل[1].

وعليه، فإن بعد تتبع الحلقات الزمنية من قصة موسى في سورة القصص يلاحظ أنها تسلسلت من حيث الزمن موضوعيا بدءا بالميلاد إلى المراحل الأخرى في بيت فرعون، وعودته إلى أمه، ودخوله المدينة وقتله القبطي...إلخ.

وهكذا فسائر الجزئيات التي تلاحمت في القصة، وتنامت بشكل هندسي، بدأت من لحظة الميلاد، وانتهت عند حياة الزوجية، حياة العمل.

4-قصة موسى في سورة غافر:

نفس التسلسل الموضوعي للزمن يلاحظ في قصة موسى في سورة غافر، هذا الزمن الذي لا تفصل القصة آناته في المستقبل عن الحاضر وفضلا عن الماضي، حيث تبدأ القصة بالمواجهة بين موسى وفرعون وهامان وقارون، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ. إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ. فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾. [غافر: 23-25]. غير أن القصة عبرت سلسلة الزمن واقتطعت شريحة من أحداث المستقبل، ثم عادت إلى الحاضر من جديد لتواصل حركة الأحداث وفق تسلسلها، والشريحة الزمنية التي اقتطعتها القصة هي ردود الفعل التي تركتها دعوة موسى إلى القوم متمثلة في قولهم: ﴿... اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ...﴾.

وجاء التعقيب الرباني على هذا بقوله: ﴿... وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾، بمعنى أن السرد الإستطلاعي سيكشف عن هزيمة فرعون، ومن هنا تعود القصة إلى التسلسل الزمني للأحداث من جديد، بعد أن قطعت شريحة من المستقبل، كما تعود القصة من جديد لتواصل ردود الفعل التي

---

[1]-دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ص465.

تركتها الدعوة وفقا لتسلسل الأحداث، وهذا في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾. [غافر: 26].

وإن بروز البطل الجديد في القصة والذي بدأ من حيث بدأ فرعون أثناء تفكيره بقتل موسى الذي قال قبل أن يختفي من مسرح الأحداث: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾. [غافر: 27]، وإجابة موسى هذه لها من الفاعلية الزمنية على سير الأحداث في هذه السورة، حيث كشفت شخصية الرجل المؤمن عن معالمها، حيث نكتشف من خلال التعريف بشخصيته، سمات الموقف الذي واكب تحركات موسى، فما ملامح البطل الجديد، فتبدأ القصة بتعريف البطل الجديد على النحو الآتي في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾. [غافر: 28].

إن النصوص القرآنية هذه كشفت عن المدار الزمني للشخصية الكاتمة إيمانها، والمواقف التي سلكها موسى، و لم تسردها القصة عند حديثها عن مواجهته للقوم، وإنما كشف مؤمن آل فرعون البطل الجديد عنها.

لقد تراوحت المحطات الكبرى لقصة موسى بين التسلسل الزمني الموضوعي، وبين التسلسل النفسي لأحداثها، وكان ذلك وفق ما تقتضيه أطوار قصته، إلا أنها في النهاية تشكل جسم القصة وهيكلها العام، كما يُلاحظ ومن خلال تتبع السور بحسب النزول أنه لم يكن تسلسل ترتيبي للأحداث بدءا بالميلاد، وإنما كانت هناك مفارقات وتنافرات زمنية، وهذا ما ستتعرض له الدراسة في المباحث القادمة.

ثالثا–الترتيب الزمني لأحداث القصة

يتميز الأسلوب القرآني، وينفرد في عرضه لمادته القصصية، هذا العرض الذي قد يوجد في بعض القصص غير خاضع للتسلسل الموضوعي كقصة موسى مثلا، إلا أنه لا يعدم وجود التناسق بين أجزائها، أو أن هناك خللا في سياقها الفنية، وحين عرض الحلقات المكررة من قصة موسى، وحين

تقرأ بحسب ترتيب النزول يتضح هيكل القصة من خلال حلقاتها الكبرى، دون إغفال الإشارات المقتضبة عند بداية كل قصة[1].

إن المتتبع للحلقات الزمنية الكبرى من قصة موسى، يجد الارتدادات والمفارقات الزمنية في السورة الواحدة، إلا أنه وفي نهاية عرض هذه الحلقات نحصل على جسم القصة كاملا حتى وإن لم ترتب أحداثها بدءا بالميلاد وما يليه، وهذا ما أود الوقوف عنده في هذا المبحث من ترتيب زمني لأحداثها.

ويرى محمد عبده أن ترتيب الأحداث في القصص القرآني ليس قائما على الأساس التاريخي الذي يضطلع به المؤرخون، وإنما يرجع إلى اعتبار بلاغي فني غايته تحريك العواطف والوجدانات بغية إثارة العقول والأذهان[2] لأن القرآن الكريم ليس كتاب تاريخ، ولا عرض لقصص تاريخية جامدة تهتم برصد الأحداث فقط، إنما هو كتاب دعوة دينية وتربية وإرشاد في قالب فني يأخذ بالألباب ويسحر الجنان.

وما ذكر في السور التي وردت فيها قصة موسى إنما هو مواقف متعددة تمثل في النهاية قصة كاملة تبدأ بالحديث عن ولادته وإرضاعه في سورتي القصص وطه، ومصاهرة الشيخ الكبير وبعثته بالواد المقدس، وعودته إلى مصر، ودعوته لفرعون وما حدث بينهما، والسحرة وإلى إغراق فرعون، ومواقف بني إسرائيل المتعددة مع موسى وأخيه، وما فعله السامري، ومسألة البقرة وإيذاء بني إسرائيل لموسى والسبعين رجلا، وطلب رؤية الله جهرة، والتبشير بمحمد ﷺ، والعبد الصالح معه...، وغيرها من المواقف التي تمثل حياة موسى عليه السلام شبه كاملة التفاصيل خاصة ما تعلق بدعوته، وهذه هي البنية الكاملة لقصة موسى، المتواترة في سياقات قرآنية عديدة، فجاء الحدث فيها مفتوحا، ومكررا أحيانا، إلا أنها في النهاية تشكل الإطار العام لحياة الفاعل في نطاق سردي واحد، ويضيف بعضها إلى بعض إضاءات جديدة عن حياة الفاعل في أطوارها المختلفة[3].

وقصة موسى كما وردت في كتب التفسير والسيرة يمكن تلخيصها إلى خمس متتاليات

---

[1]-التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص128-129.

[2]-الوحدة الفنية في القصة القرآنية، محمد الدالي، ص19.

[3]-الخطاب القرآني: مقاربة توصيفية جمالية السرد الإعجازي، سليمان عشراتي، ص82-83.

حدثية[1]:

الأولى: قصة المولد والنشأة وما يتصل بهما.

الثانية: قصة الرحلة.

الثالثة: قصته مع فرعون.

الرابعة: قصة موسى وقومه في شبه جزيرة سيناء.

الخامسة: قصة الانتقال من شبه جزيرة سيناء بحرا إلى البر الآسيوي.

هذه هي المتتاليات الحدثية التي تشكل قصة موسى عليه السلام من ميلاده إلى نهاية حياته تقريبا، قد ذكرت في القرآن الكريم في أماكن ومراحل مختلفة، ولكنها في مجموعها تكون قصة كاملة لحياة موسى، وفي تناسق تام بين أجزائها.

1-المتتالية الحدثية الأولى:

قصة المولد والنشأة وما يتصل بهما: أما قصته قبل المولد فقد أغفلها السرد القصصي، و لم يولها اهتماما لأنها لا تخدم الغرض الرئيس للقصة، وإنما تضمنت ولادة موسى والظروف التي أحاطت بذلك، وقد ذكر في سورة القصص قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ. وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ. وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ...﴾. [القصص: 4-7].

وقبل أن تتعرض السورة لقصة الميلاد ذكرت ما كان من فرعون وقومه، الذي علا في الأرض وجعل أهلها شيعا، واستضعف بني إسرائيل، وذبح أبناءهم واستحيا نساءهم، قال تعالى في بداية سورة القصص: ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ. إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ

[1]-المتتاليات الحدثية مصطلح يكشف عن الترابط بين أجزاء القصة الواحدة، وسواء تكونت القصة من متتالية حدثية واحدة قصيرة أم طويلة، فالمتتالية تشكل وحدة موضوعاتية أي كل مقطوعة تقدم موضوعا بعينه تتسلسل عبرها الأحداث.

وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ. وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾. [القصص: 3-6].

هذا المشهد الطغياني الذي أرّخ لقصة موسى لم يذكر بهذه الصورة إلا في سورة القصص، على أنه بدء لتاريخ موسى وقصته من قبل الولادة، وكانت العبارة أشبه بمقدمة القصة التي تسلك من البدء إلى النهاية بأخصر عبارة وأوجزها[1].

أما طغيان فرعون وظلمه لبني إسرائيل، فقد ذكر في مواضع كثيرة من ذلك على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾. [البقرة: 49].

وكرّر بهذا الأسلوب تقريبا في سورة الأعراف في قصة بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [الأعراف: 141].

وفي سورة غافر تثبت هذه الآية أن فرعون كان يذبح الأبناء بعد رسالة موسى، وهذا في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾. [غافر: 25].

أما الحدث الثاني في هذه المتتالية، فهو حدث المولد والنشأة، وهو الحدث الأساس في القصة والذي ركز عليه القرآن وفصل فيه الحدث، وعلة هذا التركيز ربما يرجع لخطورة الميلاد وأثره الموحى، إذ جاء مولده في عصر يذبح فيه فرعون كل مولود ذكر يولد لبني إسرائيل، ومشهد الميلاد والظروف المحيطة به كان فقط في سورة القصص، لأنها تكفلت بالكلام عن نشأة موسى حتى بدء الرسالة بإسهاب.

---

[1]-الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، محمد محمود حجازي، ص330.

وما يلي قصة الميلاد نجاة موسى من بطش فرعون بلجوئه وهو رضيع إلى قصره وهو مكان الخطر، وبذلك يولد الأمن في أحضان ذلك الخطر، وهذا ما سرده النص القرآني بعد أن أوحى الله تعالى إلى أمه بإرضاعه ووضعه في التابوت وإلقائه في اليم، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. [القصص: 7]. وقال في نفس هذا المشهد في سورة طه قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى. أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾. [طه: 38-39].

ولقد وردت حادثة الإلقاء في اليم في سورة القصص –كما تمت ملاحظته في المبحث السابق– أول حياته في هذه السورة، نظرا لأنها –السورة– أخضعت للتسلسل الزمني الموضوعي، بخلاف سورة طه التي كان الحديث فيها عن حادثة الإلقاء في اليم بعد الارتداد الزمني بالأحداث إلى الوراء، وهذا راجع إلى السياق النفسي الذي حكمت به هذه السورة.

وإن ذكر حادثة الإرضاع والوضع في التابوت والإلقاء في اليم في موضعين وفي سورتين مختلفتين لكل منهما مزاياه وخصائصه المنفردة، كما أن الواحد منهما يكمل الآخر، وكلاهما يعطينا لونا من الألوان، ويلقي على المشهد ضوءا من الأضواء، وكل منهما مناسب لما وضع فيه ونزل من أجله[1]، فما ذكر في سورة القصص ذكر لحياة موسى الأولى والظروف التي أحاطت بهذا الميلاد وكل هذا في غاية التفصيل والبيان حتى أن السرد القصصي لأحداثها جاء بتسلسل زمني موضوعي بدءا بالوحي بالإرضاع ثم بعد الخوف عليه من بطش فرعون إلقاؤه في اليم، وهذا على العكس تماما مما ورد في سورة طه، الذي نجد فيها تسريعا للسرد ولوتيرة الزمن، وهذا بحذف حادثة الإرضاع على الشكل الآتي: ﴿إذا أوحينا إلى أمك ما يوحى... أن اقذفيه في التابوت... فاقذفيه في اليم... فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له﴾.

ففي هذه السورة أوامر بسرعة قذف في التابوت (الذي لم يأت له ذكر في القصص) فيتبعه

[1]-الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، محمود محمد حجازي، ص331.

قذف في اليم، فيتبعه أمر بإلقاء اليم له بالساحل فأمر لفرعون يأخذه ليكن عدوا له[1].

أما المشهد الذي يلي هذه الأحداث، فهو لما كان –موسى– في بيت فرعون، وموقف امرأته من الوافد الجديد على البيت، وحفظ الله له ورده إلى أمه، بعد أن صور السرد القرآني في المشهد السابق حالة الأم الخائفة القلقة والتي تتلقى الإيحاء المطمئن المبشر، ليترل على القلب الواجب المحرور بردا وسلاما، إلا أن السرد القرآني لم يذكر حادثة الالتقاء بالابن موسى ولا كيف جرت الأحداث تلك[2] لينتقل مباشرة إلى سرد حادثة موسى في بيت فرعون، والتقاطه له، يقول تعالى في سورة القصص: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ. وَقَالَتْ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ. فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. [القصص: 8-13].

كما ذكر هذا المشهد في سورة طه في قوله تعالى: ﴿فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي. إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾. [طه: 39-40].

لقد صوّر السرد القرآني في سورة طه محبة الله ورعايته لمن يصطفيهم لحمل رسالته وتبليغ دعوته، فبرز فيها عنصر رعاية الله لموسى، وأنه تولى ذلك، حيث ألقى على موسى محبته وصنعه على عينه، وبقدرته، فجاءت القصة مظللة بهذا الظل تبدأ بمشهد المناجاة، وتضمن نماذج من رعاية الله لموسى عليه السلام وتثبيته وتأييده، وتشير إلى سبق هذه الرعاية للرسالة، فقد كانت ترافقه في طفولته،

---

[1]-الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، محمود محمد حجازي، ص333.

[2]-في ظلال القرآن، سيد قطب، مج5، ج20، ص2679.

فتحرسه وتتعهده[1].

أما في سورة القصص فإن السرد الإستطلاعي المتقدم قد تنبأ بعودة موسى إلى أمه، كما تنبأ بمستقبل موسى إلى أنه سيصبح رسولا من الله إلى قومه، وأنه سيكون طرفا في الصراع بينه وبين فرعون وقومه، وأن فرعون لا يدري أنه التقط الطفل الذي سوف يقتله، وسوف يغرقه لأن، الآية لم تتعرض بالتفصيل الزمني لسير أحداث القصة.

لقد خاضت المتتالية الحدثية الأولى نشأة ميلاد موسى، والظروف القاسية التي ألمت بذلك، ولاحظنا أن هذه المتتالية الحدثية إنما وردت بصفة أكثر في كل من سورتي طه والقصص، وتمضي الأحداث في ترتيبها الزمني، وتسير إلى الغاية التي حددت ذلك، إلا أن تصل إلى أن يكز موسى القبطي فيقتله، ويفر إلى مدين، وهنا تأتي تفاصيل المتتالية الثانية لتكمل بقية الأحداث.

2-المتتالية الحدثية الثانية:

ويلاحظ فيها العديد من الأحداث التي تضمنتها حياة موسى قبل بعثته، في مرحلة الشباب، إلا أن السرد القصصي يتوقف بعد هذا عن السنوات الطوال ما بين مولد موسى عليه السلام والحلقة التالية التي تمثل شبابه واكتماله، لتضمر الأحداث وتحذف تسريعا لوتيرة السرد والزمن من هذه الأحداث لا ندري ماذا كان بعد ردّه لأمه لترضعه، ولا كيف تربى في قصر فرعون، ولا كيف كانت صلته بأمه بعد فترة الرضاعة، ولا كيف كان مكانه في القصر أو خارجه بعد أن شبّ وكبر إلى أن تقع الأحداث التالية في الحلقة الثانية، ولا كيف كانت عقديته، وهو الذي يصنع على عيني الله، ويعد لوظيفته في وسط عباد فرعون وكهنته[2].

ويمكن تقسيم هذه المتتالية الحدثية إلى مقاطع، وهذا ما يوجد ممثلا في سورة القصص في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ. قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. قَالَ

---

[1]-في ظلال القرآن، سيد قطب، مج4، ج16، ص2329.

[2]-المصدر نفسه، ص2681.

رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ. فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾. [القصص: 15-18].

وقوله أيضا: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ. فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾. [القصص: 20-21].

وقوله: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ. وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ. فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ. فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾. [القصص: 22-26].

وقوله: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾. [القصص:27]

لقد مثلت هذه الفصول الأربعة أحداث المتتالية الثانية بدءا بحادثة القتل، وهي النقطة التي أقحمت موسى في صراع جديد مع قوم فرعون، كما أن حادثة القتل هذه تشكل أول حركة تسردها القصة عبر حديثها عن أحداث هذه المتتالية من حياة موسى، وهي حياة المهاجر[1]، ورحلته إلى مدين خوفا من فرعون وقومه بسبب قتله للقبطي، إلا أن هذه الرحلة، والمسافة التي قطعها موسى عليه السلام من مصر إلى أن وصل مدين، مرّ عليها السرد مرا خفيفا.

---

[1]-دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ص455.

وتعتبر رحلة موسى نقطة تحوّل في حياته، فمع دخوله لهذه المدينة تبدأ مرحلة جديدة من حياته، وهي مرحلة الزواج، والإقامة فيها أجيرا لشعيب، بعد تقديمه للمساعدة، وسقيه الماء للفتاتين، وعملية السقي هذه كانت بمثابة الحدث الهام في حياة الأفراد، نظرا لاتصاله بأشد الدوافع الحيوية إلحاحا، إنه حدث الزواج الذي لم يكن ينتظره بنحو هادف مقصود من قبله، بل جاءت متناسقة مع تلك الأحداث التي رافقت حياته، والتي لم يكن ليستهدفها بأعيانها، هروبه من فرعون وبطشه، انتصاره للرجل الذي من شيعته، محاولة الانتصار مرة ثانية لأحد طرفي المقاتلة أيضا، دون أن يهدف إلى ذلك، هروبه من المدينة إلى جهة معينة، وساقه القدر إلى مدين، ودخل مدين ودون أن يهدف إلى ممارسة سلوك معين، بل ساقه القدر إلى أن ينطلق لمساعدة فتاتين تذودان الماء[1].

لقد تمثل الحدث الأول في الرحلة، والثاني في وصوله إلى مدين، والتقاؤه بالفتاتين وزواجه بإحداهن، ودامت مدة إقامة موسى بمدين عشر سنوات طبق فيها القرآن الكريم تقنية الاختصار أو ما يسمى بالتلخيص، وفي طريق العودة إلى مصر كلف موسى بالرسالة وكان هذا الحدث معبرا للمرور إلى المتتالية الحدثية الثالثة.

3-المتتالية الحدثية الثالثة:

وتمضي أحداث هذه المتتالية، لتأتي بمهمة تبليغ الرسالة فبعد مضيّ السنوات العشر التي تعاقد عليها موسى عليه السلام لا يذكر السرد القرآني تفاصيلها، لأن التركيز كان منصبا على الرسالة، لتعرض الحلقة الثالثة بعد ما قضى موسى الأجل وسار بأهله عائدا من مدين إلى مصر يسلك إليها الطريق الذي سلكه منذ عشر سنوات وحيدا طريدا، ولكن جو العودة غير جو الرحلة الأولى، إنه عائد ليتلقى في الطريق ما لم يخطر له على بال لينادي ربه ويكلمه، ويكلفه بالمهمة التي من أجلها وقاه ورعاه، وعلمه وربّاه، مهمة الرسالة إلى فرعون وملئه، ليطلق له بني إسرائيل يعبدون ربهم لا يشركون به أحدا ويرثون الأرض التي وعدهم ليمكن لهم فيها، ثم ليكون لفرعون وهامان وجنودهما عدوا وحزنا ولتكون نهايتهم على يديه، كما وعد الله حقا[2]، في قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنْ

---

[1]-دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني ، ص460.

[2]-في ظلال القرآن، سيد قطب، مج5، ج20، ص2689.

النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ. فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَامُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَامُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ. اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِي. وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِي. قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾. [القصص: 29-35]

وقبل عرض موسى معجزاته على فرعون ومحاجة فرعون له.. إنما أراد الله أن يهيء موسى ليريه بعض آياته الكبرى، حتى يؤمن هو أولا برسالته، ثم يستطيع بعد ذلك أن يذهب إلى فرعون وقومه، وقد ذكر هذا المشهد في القرآن الكريم عدة مرات لأنه موقف حساس فيه بدء الرسالة والأمر بالذهاب إلى فرعون الجبار الطاغية، مع وعد بالمساعدة والمؤازرة في قوله تعالى في سورة طه: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى. اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي. وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي. وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي. كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا. وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا. إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا. قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوسَى﴾. [طه: 23-36].

وفي سورة الشعراء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِي. وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ. وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِي. قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ. فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ. قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾. [الشعراء: 10-18].

وفي سورة النمل قوله تعالى: ﴿...فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ. فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ. وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾. [النمل: 12-14].

وفي سورة القصص: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِي. وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي

أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِي. قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ. فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾. [القصص: 32-36].

فهذه الآيات من السور المختلفة والمرتبة بحسب نزولها، أوردت الوعد الرباني بالمساعدة والمؤازرة، والمدقق في هذه الآيات يلحظ أنها تكمل بعضها البعض، وأنها توضح المشهد تماما بأجمعه مع احتفاظ كل سورة بمشخصاتها، ومقوماتها[1].

ويمثل عرض موسى لمعجزاته ومحاجة هذا الأخير له، الحدث الرئيس الأول في هذه المتتالية الحدثية، وقد ورد هذا الحدث في خمس مواضع من القرآن الكريم، في كل من سورة طه، والشعراء، والأعراف، ويونس، والمؤمنون، ونكتفي هنا بإيراد ما جاء في سورة طه وسورة الشعراء، فقال تعالى في سورة طه: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى. قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى. قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى. قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى. قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى. الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى. كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى. مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى. وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى. قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَامُوسَى. فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ...﴾. [طه: 48-58].

وقوله في سورة الشعراء: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ. قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ. وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ. قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ. فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ. وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ. قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ. قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ. قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ. قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ. قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ. قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ. قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ. وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ. قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ. قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ.

---

[1]-الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، محمد محمود حجازي، ص348.

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾. [الشعراء: 16-37].

أما الحَدَثُ الرئيس الثاني والمتولد عن الحدث الثاني، ويتمثل في المباراة التي دارت بين موسى والسحرة وهذا بعد عرض المعجزات التي عجز أمامها فرعون، فما كان عليه إلا أن يحضر السحرة من كل مكان ليجابهوا موسى، وهارون، قال تعالى في سورة طه: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَامُوسَى. فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى. قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى. فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى. قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا . . .﴾. [طه: 57-61].

وهذا ما يعرضه السرد القرآني في سورة الشعراء وسورة الأعراف، وسورة يونس بحسب ترتيب النزول ليعرض بعدها حادثة التقاء موسى بالسحرة، ويحدث القرآن عن هذا الموقف الدقيق في سورة طه، الشعراء والأعراف، هذه المباراة التي تفوق فيها موسى على السحرة، وإيمانهم به، وهو موقف صعب للغاية، وقد حكاه القرآن، وصوره تصويرا دقيقا، فإنه أمر جلل وله خطره، فقد كان السحرة يستنجد بهم فرعون، وأعلنوا ذلك، واجتمع الناس ليروا مصرع موسى وهارون، ولكن جاء الأمر على خلاف ذلك[1]، وورد هذا في سورة طه، والشعراء والأعراف.

لتتوالى الأحداث التي تعبر عن التماسك السردي في هذه القصة، أو بالأحرى في هذه المتتالية الحدثية لنشهد موقف فرعون من السحرة بعد إيمانهم بموسى وربه، ويتضمن هذا الفصل الحديث عن تمادي فرعون وقومه في أعمالهم وإصرارهم على كفرهم وإيذائهم لبني إسرائيل، وما كان من موسى إزاء ذلك، ثم ما هدد به فرعون من قتل موسى[2]، وما كان على موسى بعد عمليات التهديد والوعيد المتكررة إلا الانطلاق ببني إسرائيل، وهلاك فرعون، قال تعالى في سورة يونس: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ. قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ. وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. أَآلْآنَ وَقَدْ

---

[1]-الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، محمد محمود حجازي، ص365.

[2]-المرجع نفسه، ص368.

عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنْ الْمُفْسِدِينَ. فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾. [يونس: 88-92].

لقد دارت أحداث هذه المتتالية في مصر، وانقسمت إلى حدثين رئيسين، الأول: عرض موسى معجزاته على فرعون ومحاجة فرعون له، هذا الحدث تولد عنه الحدث الثاني: وهو المباراة التي دارت بين موسى والسحرة، والتي أسفرت بتفوق موسى، عندها أخذ موسى بني إسرائيل ورحلوا عن مصر، فلحق بهم فرعون، وحاصرهم عند البحر، وبأمر من الله ضرب موسى البحر وانطبق البحر على فرعون ومات غرقا، ونجا بنو إسرائيل من كيده، واستقروا بشبه جزيرة سيناء وهنا تأتي القصة الرابعة.

4-المتتالية الحدثية الرابعة:

وتتلخص هذه المتتالية في قصة موسى وقومه في شبه جزيرة سيناء، وتتضمن هي الأخرى حدثين بارزين الأول: ذهاب موسى لميقات ربه في وادي طوى، وهناك حدث ما حدث، وبعد أربعين ليلة قضاها موسى عليه السلام في جبل الطور، قفل عائدا بألواحه إلى قومه فوجدهم عاكفين على ثور يعبدونه، صنعه لهم السامري وهذا هو الحدث الثاني.

وكان مما تم عرضه في المتتاليات الحدثية السابقة مما تعلق بقصة موسى من ولادته إلى أن خرج ببني إسرائيل من مصر، وما تلى ذلك من غرق فرعون وبعد أن نجى الله موسى وبني إسرائيل من الغرق وأغرق فرعون وجنده ونجاه ببدنه ليكون عبرة وانتقلوا إلى صحراء سيناء، فلما اطمأنوا على أنفسهم، ونعرقوا في النعم رأوا قوما يعكفون على أصنامهم فطلبوا من موسى أن يجعل لهم إلها كهؤلاء[1]، يقول تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَامُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ. إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾. [الأعراف: 138-140].

---

[1]-في ظلال القرآن، سيد قطب، مج13، ج9، ص1365.

أما موسى فقد تملكه العجب، واستبد به الهم والحزن، فكيف يحدث هذا عقب ما أسبغ الله من نعم لا تعد ولا تحصى على هؤلاء، وهو دائما كان يتخيلهم بالموعظة الحسنة، ويذكرهم بالله الذي أنجاهم من فرعون وكيده وأنه إله آبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب[1]، يقول تعالى: ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾. [البقرة: 122].

أما الحدث الرئيس في هذه المتتالية، والمتمثل في ذهاب موسى لميقات ربه لتلقي التوراة، وما حصل من بني إسرائيل عقب غيابه، ورد ذكره في القرآن الكريم في ثلاث سور، حيث يقول تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ. ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾. [البقرة: 51-54].

وقوله في سورة الأعراف: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ. وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ يَامُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ. وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ . . .﴾. [الأعراف: 142-145].

وفي سورة طه: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَامُوسَى. قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى. قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ. فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ

---

[1]-في ظلال القرآن، سيد قطب ، مج1، ج1، ص109.

يَاقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي. قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ. فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ. أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا. وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَاقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَانُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي. قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى. قَالَ يَاهَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا. أَلَّا تَتَّبِعَنِي أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي. قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي. قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَاسَامِرِيُّ. قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي. قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا. إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾. [طه: 83-98].

5-المتتالية الحدثية الخامسة:

وفيها تم الانتقال من شبه جزيرة سيناء بحرا إلى البر الآسيوي، وهناك أمرهم الله بالدخول إلى الأرض المقدسة، فلما عبر موسى ببني إسرائيل البحر من الغرب إلى المشرق وسار بهم في شبه جزيرة سيناء قاصدا بيت المقدس، فما أن ساروا قليلا حتى رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم، قالوا يا موسى اجعل لنا إله كما لهم آلهة، ثم بعدما ساروا على الطريق طلب منهم موسى أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لهم أن يدخلوها بمعنى فرض عليهم دخولها، فأبوا وعصوا، وقالوا لن ندخلها فيها قوما جبارين[1]. وذكر هذا الموقف في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ. يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ. قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا

---

[1]-في ظلال القرآن، سيد قطب، مج2، ج6، ص868.

جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ. قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ. قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾. [المائدة: 20-26].

والموقف الرئيس في هذه الآيات هو ظاهرة الجبن، غير أن الخطاب القرآني قد ألقى جملة من الأنوار عليها بغية إضاءة هذا الموقف، ومتمثلة في تذكر الإسرائيليين بنعم الله عليهم وينسجم هذا التذكير مع تطلعاتهم الاجتماعية من حيث البحث عن المجد، كما ينسجم أيضا مع طبيعة المصير (التيه) الذي آلوا إليه، وهو مصير مضاد لتطلعاتهم تماما، أي أن النص القرآني قد رسم ظاهرتين متقابلتين: إحداهما تضاد الأخرى تماما[1].

إن ما تعرضت له المتتالية الحدثية الخامسة هو جبن بني إسرائيل برفضهم الانصياع للأوامر فحل عليهم غضب الله وضرب عليهم الذلة والمسكنة يتيهون في الأرض أربعين سنة، ولو دققنا النظر جيدا في أمر هذه المتتاليات الحدثية التي تطرقت إلى التسلسل الزمني لحياة موسى بدءا بالميلاد إلى البعثة، سنلاحظ أنها مترابطة فيما بينها، وأن الانتقال من قصة لأخرى ثم عن طريق حدث رئيس ربط القصة بالأخرى، فجاءت هذه القصص قصة واحدة.

[1]-دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ص124.

الفصل الثالث:

التشكيل الزمني في قصة موسى عليه السلام

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا–الترتيب الزمني:

لكي تقرأ القصة –أي قصة– ولا أعني هنا القصة القرآنية فقط، بل على عمومها، فلابد أن تتم القراءة وفقا لنظام زمني معين؛ هذا النظام الزمني الذي ربما لا يتفق ترتيبه مع ترتيب قراءة الحدث نفسه، أي هل تأتي الأحداث في القصة بنفس النظام الذي حدثت به؟

فلو نُظر إلى قصة ما فإنه ليس من الضروري أن يتطابق تتابع الأحداث فيها مع الترتيب الطبيعي، لأحداثها، كما يفترض أنها جرت بالفعل، إذ الواقع يحتم ويفرض هذا الترتيب، لأن الوقائع التي تحدث في زمن واحد لابد أن ترتب في البناء الروائي تتابعيا، لأن طبيعة الكتابة تفرض ذلك، ما دام الروائي لا يستطيع أبدا أن يروي عددا من الوقائع في آن واحد، وإذا كان التطابق الزمني بين زمن السرد وزمن القصة المسرودة، لا يجد له النقاد مثالا إلا في بعض الحكايات العجيبة القصيرة على شرط أن تكون أحداثها متتابعة وليست متداخلة[1].

وكذلك هو الحال في القصة القرآنية، إذ تنفرد كل سورة قرآنية بزمنها الخاص بها، وهذا أثناء عرضها لمادتها القصصية، مثلما هو الحال في كل من سورتي طه والقصص، التين تناولتا قصة موسى عليه السلام، فسورة طه لا تخضع الأحداث للتسلسل المنطقي، بل تخضعها للزمان النفسي بدلا من الزمان الموضوعي بخلاف سورة القصص التي تناولت أحداث قصة موسى وأخضعتها للترتيب الموضوعي.

وعليه، فإن ما تقدم يؤدي إلى التمييز بين زمنين، زمن السرد، وزمن القصة، فالأول يخضع بالضرورة للتتابع المنطقي للأحداث، بينما لا يتقيد زمن السرد بهذا التتابع المنطقي، ومنه فإن الترتيب الزمني، يعدّ من أهم مستويات الزمان السردي والذي يعني «أنه عندما لا يتطابق نظام ترتيب الأحداث في الزمنين: زمن السرد وزمن الحكاية، بسبب تعددية الأبعاد في زمن الحكاية، الذي يسمح بوقوع أكثر من حدث حكائي في وقت واحد، في حين أن زمن السرد يملك بعدا واحدا هو بعد الكتابة على أسطر الرواية، الأمر الذي يحير الراوي (الكاتب) على أن يختار ويحذف وينتقي من الأحداث الكثيرة، والشخصيات الواقعة في زمن الحكاية اختيارا وحذفا وانتقاء، ينسجم وزمن السرد الروائي حسب ما تقتضيه الضرورة الفنية، مما ينشأ عنه ما يسمى بالمفارقة السردية، التي تارة تكون ارتدادا إلى الماضي Flash back، وتارة أخرى استباقا (أو استشرافا) لأحداث لاحقة، ولكل

---

[1]–بنية النص السردي، حميد لحمداني، ص73.

مفارقة سردية من حيث قياسها مدى واتساع، فمدى المفارقة السردية هو المسافة الزمنية التي يرتد فيها السرد إلى الماضي البعيد أو القريب، واتساعها هو المساحة التي يشغلها ذلك الارتداد على صفحات الرواية»[1].

وعليه، فإن المفارقة من الوجهة السردية، هي الاختلاف بين نظام ترتيب زمن الأحداث في القصة ونظام ترتيب نفس الأحداث في الحكاية، وذلك باللجوء إلى الكشف عن السوابق واللواحق، وهذا ما يسعى إليه البحث من خلال دراسة الترتيب الزمني للنص القصصي، هذه الدراسة التي تقوم على المقارنة بين ترتيب الأحداث في النص القصصي، وترتيب تتبع هذه الأحداث في القصة نفسها، وهذا النوع من التحليل له أثره الجمالي على النص القصصي القرآني، وذلك بالكشف عن المفارقات الزمنية في سير أحداث القصة، فالتنافر القائم بين ترتيب القصة وترتيبها في النص القصصي القرآني، يمكن التمييز فيه بين نوعين، فقد يتابع السارد تسلسل الأحداث طبق ترتيبها في القصة، ثم يتوقف راجعا إلى الماضي لسرد أحداث سابقة للنقطة التي بلغها في سرده، يمكن كذلك أن تطابق هذا التوقف نظرة مستقبلية ترد فيها أحداث لم يبلغها السرد بعد، أو ما يمكن التعبير عنه بالسوابق واللواحق، ولا يفوتني أن أشير إلى نقطة هامة، وهي أنني بتطبيق هذه التشكيلات الزمنية سأكتفي بالتطرق إلى ما يوافق البنية العامة للنص القرآني المقدس.

1-المفارقات الزمنية:

إن المتتاليات الحدثية التي تتناول عرض أحداث قصة ما، قد تأخذ في مجراها السردي خطًا آخر، فقد تعود إلى الوراء لتسترجع أحداثا تكون قد حصلت في الماضي أو على العكس من ذلك فتقفز إلى الأمام لتستشرف ما هو آت أو متوقع من الأحداث، وفي كلتا الحالتين نكون إزاء مفارقة زمنية، فإما أن يتوقف السرد عند نقطة ما من القصة، فنكون إزاء سرد استذكاري، يتشكل من مقاطع استرجاعية تحيلنا على أحداث تخرج عن حاضر النص لترتبط بفترة سابقة على بداية السرد، وتارة أخرى نكون إزاء سرد استشرافي يعرض لأحداث وتطلعات سابقة لأوانها[2].

وقد نتج عن هذه المتتالية الحدثية، ثنائية زمنية كشفت عن تعارض بين زمن القصة وزمن السرد، الأمر الذي اعتبره جنيت من أهم ما يميز السرد من حيث مستويات إعداده الجمالي عن غيره

---

[1]-تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، آمنة يوسف، ص69-70.

[2]-بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، ص119.

من أنواع السرد الأخرى[1]. ويمكن توضيح هذه المفارقة بالرسم البياني الآتي:

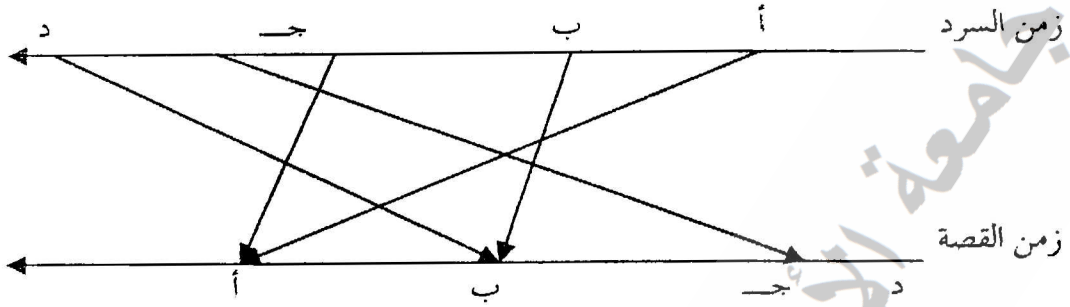

شكل (7): يوضح التعارض بين زمن القصة وزمن السرد

أ-اللواحق Analepses:

أو الارتداد «لأنه ترجمة للمصطلح السينمائي (Flash Back) الذي قد يعني "خشبة التذكير" بالماضي وهو في النقد الروائي يعني الارتداد نحو حكاية كان يمكن أن تذكر في موضعها من السياق السردي، فأرجئ تقديمها لغاية من الغايات الفنية التي منها حبّ المزج بين الحاضر والماضي، وإدماج أحدهما في الآخر بطريقة تتوخى الحيوية والحركة المتجددة في السرد»[2].

ويمكن تعريف هذا النوع من السرد بأنه «عملية سردية تتمثل بالعكس في إيراد حدث سابق للنقطة الزمنية التي بلغها السرد، وتسمى كذلك هذه العملية الاستذكار Rétrospection»[3].

وإن العودة إلى الماضي تشكل بالنسبة للسرد استذكارًا للماضي يقوم به لماضيه الخاص، ويحيل من خلاله على أحداث سابقة عن النقطة التي وصلتها القصة، وهذا ما يمكن وجوده في القصة القرآنية، ولتكن قصة موسى عليه السلام نموذجا تطبيقيا لهذه الأداة السردية، التي ومن دون شك أنها تحوي بين ثناياها جملة من الارتدادات الحدثية إلى الوراء تذكيرا بما سبق من أحداث، كما سترصد الدراسة أثناء تتبع أماكن الاستذكارات وذلك من خلال المحطات الكبرى لحياة موسى، مواطن الجمال الفني لهذه التقنية السردية.

---

(1)-بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، ص117.

(2)-تحليل الخطاب السردي: معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية (زقاق المدق)، عبد المالك مرتاض، ص217.

(3)-مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا، سمير المرزوقي، جميل شاكر، ص76.

-نماذج تطبيقية:

سيفصل هذا البحث في اللواحق الزمنية، والمتمثلة في الاستذكارات بناء على ما تقدم عرضه من ترتيب لأحداث القصة، نبدؤها من قصة المولد والنشأة وما يتصل بهما، فلقد وردت مفصلة وبشكل واضح في سورة القصص التي أخضعت للتسلسل الزمني بدءا من حادثة التقاطه في اليم، وانتهاء بحادثة بحثه عن النار، ثم واصل النص سرده لأحداث النبوة وما بعدها معقبا على بعض الأحداث، حيث أخضعها في هذا التعقيب لتسلسلها النفسي بدلا من التسلسل الزمني[1]، وكما تضمنت هذه السورة الظروف التي أحاطت بولادة موسى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ. وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ. وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: 4-7].

فأحداث هذه السورة قد بدأت زمانيا من حادثة الإرضاع، ثم الإلقاء في اليم، فالالتقاط من آل فرعون بمعنى أن السرد فيها كان أفقيا لتسلسل أحداثها، فتبني هذه القصة عالمها باستعراض أفقي لزمنيتها أي للظروف التاريخية للمرحلة التي يشخصها السرد[2]، بمعنى أن ترتيبها الزمني ترتيب موضوعي لا نجد فيه مفارقات زمنية من حيث ارتداد أو استباق الأحداث.

لتمضي هذه السورة في ترتيبها الزمني إلى أن تصل إلى اللحظة التي يكز موسى القبطي فيقتله، ويفر إلى مدين، يقول تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ. قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ. فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ

---

[1]-دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ص444.

[2]-الخطاب القرآني: مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، سليمان عشراتي، ص107.

فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ [القصص: 15-18].

لقد أورد السرد القرآني في هذه الآيات حادثة قتل موسى للقبطـــي ﴿...فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ...﴾، ثم يمضي في تفصيل حياة موسى إلى أن يصل إلى حادثة معاودة جريمة القتل، ليرتد السرد إلى الوراء مذكرا موسى بما بدر منه سابقا، وعليه فإن هذه الآيات تتضمن تقنية الاستذكار التي هي عبارة عن إيراد حدث سابق للنقطة الزمنية التي بلغها السرد من تفصيل لحياة موسى.

وفي هذه الحالة تتصل اللاحقة بشخصية الفاعل، التي هي تحت مجهر السرد، والتي يذكر السارد أفكارها فإن تعلقت هذه الأفكار بالماضي، وردت في شكل ذكريات فتلك لاحقة ذاتية، وإن ذكر السارد التطلعات المستقبلية لتلك الشخصية فتلك سابقة ذاتية، ويبدو هذا مثلا حين تعود مشاهد الحياة الماضية في ذاكرة الفاعل وإحساساته[1].

وللواحق وظيفتين؛ الأولى متممة وتأتي لسدّ مسبقا ثغرة لاحقة، والأخرى مكررة تضاعف بصفة مسبقة مقطوعة سردية آتية[2]، واللواحق المكررة متعلقة بالتحليل النفساني لمشاعر الشخصيات فتورد غالبا فواتح كثيرة كذكر عرضي لاحمرار الوجنتين أو لارتباك أو رعشة تحس بها الشخصية، ولا يفهم القارئ معناها إلا عندما يربطها ببعضها ويصلها بسير الأحداث المنبئ بنمو الحب في كيان الشخصية، وهذا ما نجده من أمر الفتاتين اللتين سقى لهما موسى في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ. وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنْ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ. فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ. فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾

---

[1]-مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا، سمير المرزوقي، جميل شاكر، ص77.

[2]-المرجع نفسه، ص80.

[القصص: 22-26]. كما نلاحظ عودة بالزمن إلى الماضي بعد أن كانت الوظائف الثلاث تتضمن الحاضر والمستقبل، فالزمان المرتد إلى الماضي يتمثل في سمتين أشارت الفتاة إليهما هما: سمة القوة؛ وهي ملمح خارجي للبطل، وسمة الأمانة؛ وهي ملمح داخلي للبطل[1].

وجاء في الظلال: «أن (إحداهما) جاءته (تمشي على استحياء) مشية الفتاة الطاهرة الفاضلة العفيفة النظيفة حين تلقى الرجال "على استحياء" في غير ما تبذل، ولا تبرج ولا تبجح، ولا إغواء، جاءته لتنهي إليه دعوة في أقصر لفظ وأخصره وأدله يحكيه القرآن بقوله: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾، فمع الحياء؛ الإبانة والدقة والوضوح لا التلجلج والتعثر والربكة، وذلك كذلك من إيحاء الفطرة النظيفة السليمة المستقيمة، فالفتاة القويمة تستحي بفطرتها عند لقاء الرجال والحديث معهم، ولكنها لثقتها بطهارتها واستقامتها لا تضطرب، الاضطراب الذي يطمع ويغري ويهيج، إنما تتحدث في وضوح بال قدر المطلوب ولا تزيد... ثم نسمع في المشهد صوت الأنوثة المستقيمة السليمة ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾»[2].

ويمكن القول هنا إن الحالة النفسية التي كانت عليها الفتاة من حياء وخجل واحمرار الوجنتين ساهمت في التحليل النفساني لمشاعر شخصية الفتاة، وسيحيل هذا التحليل إلى ما ينتظر الفاعل موسى في المستقبل من أمر هذه الفتاة ووالدها.

لقد دامت إقامة موسى بمدين عشر سنوات، وفي طريق العودة إلى مصر كلّف بأداء الرسالة وفي هذه المرحلة تظهر تقنية السرد الاستذكاري متمثلة في عنصر التذكير بالعظة التي تتضمنها الآية في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ. وَقَالَ مُوسَى يَافِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ. وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الأعراف:

---

[1]-دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ص465.

[2]-في ظلال القرآن، سيد قطب، مج5، ج20، ص2686-2687.

103-108]، وتظهر اللاحقة في هذه الآية من الإشارة الضمنية في قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾؛ أي بالارتداد السردي من نهاية الحدث لترتد الأحداث إلى البداية، متمثلة في خطاب موسى لفرعون بأنه رسول من رب العالمين، مطالبا إياه بفك الإسرائيليين وتخليصهم من الاستعباد الفرعوني لهم مشيرا إليه بأن لديه آيات تدعم صحة اضطلاعه بالرسالة، وعليه فإن هذه الحلقة الزمنية عبرت عن الأحداث السابقة للنقطة الزمنية التي بلغها السرد.

كما يظهر الارتداد الزمني إلى الوراء، حينما تشرع قصة موسى في سورة طه بالأداة الظرفية المختصة بالمنصرم من الزمن لحظة السكينة والاهتداء والاستئناس[1] في قوله تعالى: ﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [طه: 10].

وبعد سرد حادثة إلقائه في اليم، ترتد القصة إلى ما قبل ما تعرضت له سورة الأعراف، فكان البدء على النحو الآتي في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى. إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [طه: 9-10]، فالسرد القرآني هنا يرجع بالأحداث إلى الوراء والغاية من ذلك كله التذكير بالنعم؛ حيث يعود البيان القرآني في سرد القصة من بدايتها عندما يكلم موسى ربه، حيث النار المشتعلة ويكلفه ربه بالرسالة، ويطلب موسى من ربه أن يجعل له معينا على هذه المهمة الشاقة، ويجيبه ربه بأن يجعل أخاه هارون مساعده ومعينه، كما أراد، ويذكره متنا بنعمه التي أسبغها عليه منذ ولادته إلى اليوم وهذه هي العودة إلى بداية قصة موسى، التي يستدركها السرد القرآني، ويضمنها في القصة، فيقول الله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوسَى. وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى. إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى. أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي. إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَامُوسَى﴾ [طه: 36-

[1]-الخطاب القرآني: مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، سيسان عشراتي، ص114.

.[40

وبعد هذه البداية واصل النص حديثه عن موسى وفق تسلسل زمني هو: تكليم موسىوأمره بالذهاب إلى فرعون في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى. إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى. وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى. إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمْ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي. إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى. فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [طه: 11-16].

فاللاحقة الزمنية الواردة في هذه الآيات تظهر من خلال حادثة التكليم بالواد المقدس، ومطالبة موسى بالذهاب إلى فرعون، وجواب موسى بطلب من السماء بأن تزيح عقدة لسانه، وذلك بأن ترسل معه أخاه هارون في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي. وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي. وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه: 25-32]، هذه اللاحقة المكررة تتعلق هي الأخرى بالتحليل النفساني لمشاعر الشخصيات التي ترد غالبا بصفة عرضية كارتباك أو رعشة تحس بها الشخصية، وهذا ما كان من موسى لما أمره الله بالذهاب إلى فرعون، فأصابه الارتباك، وطلب من الله أن يمده بأخيه هارون مساعدا ومعاونا، ليرد عليه السارد بقوله: ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوسَى﴾ [طه: 36].

لقد استغلت السردية في سورة طه الزمن بصورة فنية حركية، فباشرت القص من سياق زمني متقدم، حيث كان ظهور موسى الذي استهلت به القصة يؤقت لميعاد البعثة، وكسر رتابة الزمن الميت، ومن هذا الزمن الميت، ومن هذا المستوى السردي أنارت السردية موقف اللقاء والاصطفاء، لترتد بعد ذلك إلى الوراء إلى زمنية الميلاد والنشأة ولسرد مراحل حياة موسى في إيجاز مضفية القول بواسطة الموقفية الحوارية عن أوضاع زمنية بعينها، ومن ذلك مثلا (مواجهة السحرة)، (مواجهة موسى لأخيه وقومه بعد ردتهم)...إلخ[1]؛ لكن ما الغاية من هذه اللواحق الزمنية من النهاية إلى المراحل الأولى من حياته، ثم العودة من جديد إلى متابعة ما قطعه السرد؟ وإن هذا الارتداد بالأحداث

[1]-الخطاب القرآني: مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، سليمان عشراتي، ص117.

إنما هو تذكير لموسى بالعطاءات المتكررة، حيث يبدأ بالعودة إلى المرحلة الأولى من حياته، كما يمكن القول أن الزمن ارتد بصورة مدارية إلى الوراء، ثم تصاعد في مستوى خطي ماسحا المراحل التي سبقت وأعقبت تلك الزمنية الخارقة من حياة موسى، زمنية المثول في حضرة ولقاء الله، لينتهي بالقصة إلى أطوارها المتأخرة من حياة فاعلها موسى مع قومه، من المؤمنين الناجحين، لذا أخذت زمنية الهداية واللقاء صدارة سردية في عرض أحداث القصة لتنطلق إلى ماضي حياة موسى، ثم تصعد بالسرد وتبين ما جرى بين هذا النبي وأعدائه[1].

وفي عرض موسى لمعجزاته على فرعون ومحاجته له تسجل الأحداث عودة إلى الوراء، حيث يتحول العرض السردي عقب استعراض قصة موسى إلى قصة إبراهيم، حيث يقول تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ. قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ. وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ. قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ. فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ. وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ. قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ. قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ. قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ. قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ. قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ. قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ. وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ. قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ. قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ. يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ. . . وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الشعراء: 16-69].

إن هذا الارتداد الزمني والمتمثل في الرجوع إلى سرد ذكر إبراهيم، ونوح سببه القاسم المشترك بينهم والمتمثل في الإهلاك والإغراق، وفي قصة إبراهيم والخاص بإبليس وجنوده الغاوين، فقد

---

[1]-الخطاب القرآني: مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، سليمان عشراتي ، ص117.

كان الجزاء إغراقيا جحيميا ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: 94]، على أن الارتداد الزمني قد أحال في بعض المواقف الرد على الزمن السبقي، وهذا في قصة موسى في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء: 18]، فهو ارتداد داخلي تتأكد به القيمة الزمنية التي يصدر عنها الخطاب القرآني، وهو يباشر فاعلية القصة، حيث يماهي بواسطتها أطوار الصيرورة، ويسقط ملابسات زمنية على زمنية أخرى، وهي زمنية محمد ﷺ التي تتقاطع في مظاهر عدة مع زمنية أسلافه من الرسل[1].

ويستمر السرد القرآني في عرض أحداث القصة، ليأتي حدث المباراة بين موسى والسحرة. وما كان فيها من أنباء، فكل هذا تتعرض له القصة باعتماد تقنية السوابق أو الاستشراف السردي. وهذا ما ستتناوله الدراسة في حينه، لتنتقل الدراسة إلى قصة موسى وقومه في شبه جزيرة سيناء، والتي تضمنت حدثين بارزين؛ الأول ذهاب موسى لميقات ربه في وادي طوى، وهناك حدث ما حدث. وبعد أربعين ليلة قضاها موسى في جبل الطور، قفل عائدا بألواحه إلى قومه فوجدهم عاكفين على ثور يعبدونه، صنعه لهم السامري، وهذا هو الحدث الثاني.

ويتضح لنا السرد الاستذكاري الأول بعودة السرد إلى الوراء من قصة موسى في سورة الأعراف بعد هلاك فرعون، خاصة وأن هذه السورة قد تناولت جملة من الأحداث بما فيها حدث موسى مع آل فرعون، فجاء السرد عبارة عن تعقيب على أحداث، ومواقف فيما يشكل هذا التعقيب عنصر التذكير بالعظة والتي ينبغي استخلاصها، بنحو يتناسق مع أفكار القصة وموضوعاتها[2]. وقبل هذا يسرد علينا القرآن الكريم ذلكم النداء العلوي الجليل إلى بني إسرائيل، يذكرهم بنعم الله عليهم ويدعوهم إلى الوفاء بعهدهم معه ليوفي بعهدهم معهم، وبعد تذكيرهم بالنعم التي أسبغها عليهم يرجع ويعود بتخويفهم باليوم الذي يخاف، حيث يقول تعالى: ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ. وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: 47-48]، وهذا التفصيل الذي خصه الله ببني إسرائيل

---

[1]-الخطاب القرآني: مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ص113.

[2]-دراسات فنية في قصص القرآن، محمد البستاني، ص151.

موقوت بزمان استخلافهم واختيارهم بعدما جحدوا نعمة الله عليهم وعصوا أنبياءهم وتخلوا عن التزاماتهم وعهدهم، فقد أعلن الله حكمه عليهم باللعنة والغضب والذلة والمسكنة، وقضى عليهم بالتشريد وحق عليهم الوعيد[1].

ويقدم السرد القرآني قصة موسى مع الإسرائيليين في بداية فصل جديد في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: 137]، وما يلاحظ في هذه الآية هو ربط الأزمنة ببعضها اللاحقة بالسابقة في فنية عالية؛ فالأزمنة السابقة متعلقة بقصة الأقباط، والقصة الحالية قصة الإسرائيليين، الأمر الذي أدّى إلى نمو الحدث وتطوره وتعبيره عن المستقبل من الأحداث.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [الأعراف: 141]، ففي هذا الربط للسابق باللاحق تتجسد العودة إلى الوراء، أثناء تذكيرهم بنعم الله عليهم، إلا أنهم جحدوا بها... أما الزمن الآتي أو السابق، فيتجسد من خلال تذكيرهم بما ينتظرهم من مصير أسود يشبه مصير الأقباط[2].

ولا تزال اللواحق تصنع الحدث في قصة موسى خصوصا في المرحلة الجديدة من علاقته مع بني إسرائيل بعد حادثة هلاك فرعون، ليتم الانتقال من شبه جزيرة سيناء بحرا إلى البر الآسيوي لتتضمن هذه المرحلة حادثة السرد الاستذكاري عن طريق تذكيرهم بنعم الله عليهم، أثناء رفضهم دخول الأرض المقدسة التي كتب الله لهم أن يدخلوها، وهذا في قوله تعالى: ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ. يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ

---

[1]-في ظلال القرآن، سيد قطب، مج1، ج1، ص69.

[2]-دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ص168.

لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ. قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ. قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ. قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: 19-26].

فبعد رفضهم دخول الأرض المقدسة، ذكرهم السارد بنعمه عليهم، قبل أن يحل عليهم غضبه ويضرب عليهم الذلة والمسكنة والتيه في الأرض.

لقد تضمنت اللواحق في قصة موسى العديد من المواقف أثناء الارتداد بالأحداث إلى الوراء أو ما يعرف بالسرد الاستذكاري، من هذه المتضمنات التذكير بالنعم السابقة، كذا ساهمت في التحليل النفساني للشخصيات ، وقد جاءت أحداث القصة وبناء على هذه اللواحق متكاملة يتمم الحدث الواحد منها الآخر في صورة فنية وسردية راقية، فماذا عن السوابق؟

ب–السوابق Prolepses "السرد الاستشرافي":

وهي ثاني تقنيات المفارقات الزمنية، وهي عبارة عن عملية سردية تتمثل في إيراد حدث آت أو الإشارة إليه مسبقا، وهذه العملية تسمى في النقد التقليدي بسبق الأحداث Anticipation [1].

وتمثل السوابق السرد الاستشرافي الذي ينبئ عما سيقع من أحداث، ويخدم هدفا هاما بإعطاء فكرة عن الحدث المستقبلي، كما يوجه انتباه القارئ إلى متابعة التطورات بالإضافة إلى أنه يلقي الضوء عن المعنى العميق للأحداث، وهو يعطينا المفتاح الذي يسهل لنا قراءة العمل والوقوف على العلاقات السببية، والقوى الخفية المحركة للأحداث، وإضافة إلى ذلك فإن الإخبار بمستقبل الأحداث يمنح القارئ الإحساس بأن هذه الأحداث لا تتسم بصورة عرضية، ولا تأتي من قبيل الصدفة، بل إن

---

[1]–مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا، سمير المرزوقي، جميل شاكر، ص76.

هناك خطة ما وغاية معينة لها[1].

والسرد الاستشرافي يستعمل للدلالة على مقطع حكائي، يروي أو يثير أحداثا سابقة عن أوانها، أو يمكن توقع حدوثها، وهذا من خلال القفز على فترة زمنية من زمن القصة، وتجاوز النقطة التي وصلها الخطاب لاستشراف مستقبل الأحداث والتطلع إلى ما سيحصل فيها من مستجدات، وعلى المستوى الوظيفي تعمل هذه الاستشرافات بمثابة تمهيد أو توطئة لأحداث قادمة يجري الإعداد لسردها، وتكون غايتها في هذه الحالة هي حمل القارئ على توقع حادث ما أو التكهن بمستقبل إحدى الشخصيات، كما أنها تأتي على شكل إعلان عما ستؤول إليه مصائر الشخصيات، مثل الإشارة إلى احتمال موت أو مرض أو زواج بعض الشخوص[2].

وكما كان الشأن في المفارقة الزمنية الأولى (اللواحق) التي رصدت مختلف هذه المفارقات الزمنية عبر المتتاليات الحدثية في قصة موسى، فكذلك بالنسبة للسوابق الزمنية التي سنحاول من خلالها تتبع أماكنها في المحطات الكبرى من قصة موسى عليه السلام، انطلاقا من المتتاليات الحدثية باعتبارها رسمت المسار السردي العام لقصة موسى ومرتبة الأحداث.

-نماذج تطبيقية:

الاستشرافات السردية في قصة المولد والنشأة قليلة، نظرا لأن الترتيب الزمني لهذه السورة ترتيب موضوعي، إلا أن ذلك لا يمنع من رصد بعضها، من ذلك مثلا أن سورة القصص أضمرت ولادة موسى واتجهت مباشرة إلى الرضاعة وإلقائه في اليم، وعندما أشارت البداية القصصية إلى عملية الرضاعة وإلقائه في اليم عقبت على ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: 7]، وفي هذه الآية سرد استشرافي، أو سرد استطلاعي من خلال التنبأ بمستقبل عودة موسى إلى أمه وإلى أنه سيصبح رسولا من الله إلى قومه.

كما يظهر السرد الاستشرافي عند التقاط موسى من طرف فرعون، والذي سيكون طرفا في الصراع الذي أنبأتنا المقدمة القصصية به مقابلا لفرعون وهامان، وجنودهما، وهذا في قوله تعالى:

---

[1]-الزمان والمكان من قصة العهد القديم، أحمد عبد اللطيف حماد، مجلة عالم الفكر، العدد: 03، المجلد 16، أكتوبر-نوفمبر-ديسمبر، 1985، ص82.

[2]-بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، ص132.

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: 08].

كما تضمنت هذه المرحلة استشرافات زمنية تعلقت بميلاد موسى عليه السلام، وذلك من خلال الآيات التالية: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ [القصص: 08]، ﴿وَقَالَتْ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ﴾ [القصص: 09]، ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾ [القصص: 10]، ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى. . .﴾ [القصص: 12]، فهذه الأحداث سردت بعد واقعة القذف بالوليد في اليم، وقد سلسلها السرد في آيات متعاقبة، وفي سياقات سردية وحوارية، وإنه ليمكن افتراض شبكة علاقات تزامنية أو تتابعية بين وقائع هذه السياقات التي يساهم السرد وبشكل كبير في التحليل النفساني للمشاعر، فمثلا في آية ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾، فالسرد القرآني صوّر الحال القائم بما فيه من مظاهر الحنين والخوف الذي أطبق على أم موسى، منذ لحظة قذفها بالوليد في اليم، ويستمر معها بموازاة كل الوقائع التي تعقب فعل القذف وهي الالتقاط والتحسس عن مآله، والاستبشار به[1].

وعلى المستوى الوظيفي كان لبعض الاستشرافات دور تمهيدي لأحداث لاحقة يجري الإعداد لسردها، وتكون غايتها هي حمل القارئ على توقع حادث ما، أو التكهن بمستقبل إحدى الشخصيات كما أنها تأتي على شكل إعلان عما ستؤول إليه مصائر الشخصيات مثل الإشارة إلى احتمال موت أو مرض أو زواج بعض الشخوص من ذلك مثلا ما نجده من أمر زواج موسى بإحدى ابنتي شعيب، وهذا بعد عملية الاستئجار التي ارتبطت فيما بعد بعملية الزواج، يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ. وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ. فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ. فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ

[1]-الخطاب القرآني: مقاربة توصيفية جمالية السرد الإعجازي، سليمان عشراتي، ص109.

الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: 22-26]، وقوله: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص: 27].

فالحوار الذي دار بين الفتاة وموسى، والفتاة وأبيها رسم مشهدا استشرافيا، وتضمن لحظة المستقبل بالتهيئة لأكبر حدثين لهما خطورتهما في حياة الاستقرار والتوازن: الزواج والعمل[1].

أما المتتالية المتضمنة لقصة موسى مع فرعون، والتي تأتي بمهمة تبليغ الرسالة، فأول سرد استشرافي فيها يتمثل في الوعد الذي تلقاه من ربه، والذي مفاده أنه من سيكلف بالمهمة التي من أجلها وقاه ورعاه، وعلمه ورباه، مهمة الرسالة إلى فرعون وملئه، ليطلق له بني إسرائيل يعبدون ربهم لا يشركون به أحدا ويرثون الأرض التي وعدهم ليمكن لهم فيها ثم ليكون لفرعون وهامان وجنودهما عدوا وحزنا، ولتكون نهايتهم مستقبلا على يديه كما وعد الله حقا[2]. وهذا في قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ. فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ. اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ. وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ. قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا

---

[1]-دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ص465.

[2]-في ظلال القرآن، سيد قطب، مج5، ج20، ص2689.

بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ [القصص: 29-35].

وقبل عرض موسى معجزاته على فرعون جاء السرد الاستشرافي في العديد من المواضع ليهيء موسى نفسيا لأنه في حالة ارتباك، ومع تهيئة الجو العام بالذهاب إلى فرعون يذكّر السرد القرآني نبيه بالمساعدة والمؤازرة تقوية له، وقد ذكر هذا في قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى. اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي. وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي. وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي. كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا. وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا. إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا. قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوسَى﴾ [طه: 23-36]

وقوله أيضا: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِي. وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ. وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِي. قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ. فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ. قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء: 10-18].

وقوله في سورة النمل: ﴿. . .فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ. فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ. وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: 12-14].

فهذه الآيات اتضح السرد الاستشرافي فيها من خلال التمهيد للأحداث التي ينتظر وقوعها، لذا جاء السرد الرباني ممهدا ومهيئا لنبيه قبل اضطلاعه بمهمة الرسالة.

وتواصل القصة في عرضها للأحداث ليطل السرد الاستشرافي انطلاقا من التعقيب القائل عن فرعون: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾ [طه: 56]؛ الموقف الذي استدعى تحدي فرعون لموسى: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَامُوسَى. فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ

مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ [طه: 57-58]، ومع هذا التحدي تنبؤنا السابقة الآتية والمتضمنة للسرد الاستشرافي عن البيئة التي ستشهدها حادثة المواجهة بين فرعون والسحرة، والملاحظ هو حالة الاضطراب التي ارتسمت على فرعون أو ما يمكن التعبير عنه بالسابقة المكررة، المتعلقة بالتحليل النفساني لمشاعر الشخصيات، التي تظهر على شكل انفعالات واضطرابات لا يفهم مصدرها إلا بالعودة إلى مسبباتها، وهذا ما كان من أمر فرعون، فكشف السرد عن قلقه، ونفسيته المتخوفة من فشل جماعته، ويحدث اللقاء، ويصدق النبأ الاستشرافي الذي وعد موسى بالمساعدة والمؤازرة، لنجد الأحداث لا زالت تسير على نفس النهج الذي اختطته لنفسها، لأن الموقف يتضمن المضي قدما إلى الأمام لمواجهة هذا الطاغية الجبار، لنشهد موقفا آخر جسّده فرعون في غضبه على السحرة بعد إيمانهم بموسى وبرسالته، وتماديه وقومه في أعمالهم وإصرارهم على كفرهم وإيذائهم لبني إسرائيل، ومحاولات التهديد بالقتل[1].

وبعد أن اقتطعت القصة سلسلة من الزمن متمثلة في ردود الفعل التي تركتها دعوة موسى إلى القوم متمثلة في قولهم: ﴿...اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ...﴾ [غافر: 25]، وجاء التعقيب الرباني على هذا بقوله: ﴿...وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: 25]، بمعنى السرد الاستشرافي سيكشف عن هزيمة فرعون ومن هنا تعود القصة إلى التسلسل الزمني للأحداث من جديد لتواصل ردود الفعل التي تركتها الدعوة وفقا لتسلسل الأحداث، وهذا في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: 26]، كذلك بروز الشخصية الجديدة على مسرح الأحداث ساهم في تفعيل الأحداث، وباستشراف الزمن، حيث بدأ من حيث بدأ فرعون أثناء تفكيره بقتل موسى الذي قال قبل أن يختفي من مسرح الأحداث: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر: 27]، لينطلق موسى بقومه إلى البحر وهلاك فرعون، وهذا ما أخبرت به الآية في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى

[1]-الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، محمد محمود حجازي، ص365.

أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ. قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ. وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ. فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: 88-92].

لقد أسفرت هذه المرحلة من القصة بتفوق موسى على فرعون بناء على الوعد الرباني له، ليأخذ موسى قومه ويرحلوا عن مصر، بعد هلاك فرعون، ليستقروا في شبه جزيرة سيناء، وهذه بداية لسرد أول حادثة بعد حادثة إغراق فرعون، حيث بدأ حنينهم إلى عبادة العجل، وهم يعبرون البحر[1].

يقول تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَامُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ. إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 138-140]، ويذكر السرد القرآني بسوء عاقبة ما يفعلون، بمدة زمنية عبرت عن مستقبل قادم، إلا أن النص القرآني لم يحدد الوقت وإنما رسم المصير الأسود الذي يتوافق والعناد الذي جوبهت به نعم الله على الإسرائيليين.

إن ما تخلص إليه الدراسة بعد رصد المفارقات الزمنية من لواحق وسوابق في قصة موسى، وانطلاقا من المتتاليات الحدثية وتتبعا لسيرها بحسب ترتيب النزول، هو أنها قصة فنية بكامل المعايير والمقاييس، فضلا عن كونها تربوية وهو الغرض العام للقصص القرآني، كما تسجل الدراسة هذه المفارقات بناء على الهدف الذي سيقت من أجله القصة في السورة القرآنية.

ثانيا–الإيقاع الزمني (الديمومة):

تعتبر الأشكال الأساسية للحركة السردية أحد أهم مقومات تحليل النصوص القصصية،

ودراستها بدقة من الصعوبة بمكان لأنها تتعلق بتحديد الزمن بكامل مؤشراته متمثلا في المدة (الديمومة)، وهي ذلك «التفاوت النسبي... بين زمن القصة وزمن السرد...»[1].

ويمكن التعبير عنها –الديمومة– بسرعة السرد أو بطئه، ولكونها صعبة القياس، فقد اقترح جيرار جنيت دراسة الإيقاع الزمني من خلال التقنيات الحكائية التالية: الخلاصة، الوقفة، الحذف والمشهد[2].

وهذا ما يسعى إليه البحث من خلال تطبيق أشكال الحركة السردية على القصة القرآنية وللوقوف على مدى فاعليتها في بناء سير أحداثها وهل إذا خلا عنصر منها تفقد شيئا من فنيتها؟ وبالتالي ستكون الدراسة على شكلين الأول تسريع السرد ووتيرة الزمن متمثلا في الحذف والخلاصة، أما الآخر فتبطئ السرد ووتيرة الزمن متمثلا في الوقفة والمشهد.

1–تسريع السرد ووتيرة الزمن (الحذف والخلاصة):

وترتبط هذه الحركة بسرعة سير الحدث في القصة، وتشتمل على اختزال زمنها وتقلصه إلى الحد الأدنى ونموذجه هو السرد التلخيصي والحذف، وتستعملان قصد طي مراحل زمنية تخص بعض الشخصيات، بحيث لا تؤثران في البناء العام للقصة.

وعليه، فتعريف الخلاصة أو السرد التلخيصي عند حسن بحراوي فيكون على الشكل الآتي هو: «استعراض سريع لأحداث من المفروض أنها استغرقت مدة طويلة»[3].

فهذا التعريف على صحته ينبغي التعامل معه بتحفظ، فإن قلنا الأحداث التي استغرقت في الرواية الأدبية مدة طويلة ينبغي اختزالها، لأنها لا تؤدي الغرض أو تخلّ بفنية الرواية، فهذا يمكن، أما أن نطلقه على عمومه على القصة القرآنية، فمن غير المعقول، لأن –النص القرآني– أحداث قصصه تخدم الغرض الفني ناهيك عن التربوي، حتى وإن اختزلت بعض الأحداث فإنما يكون ذلك لغاية أرادها السارد لا تخلو من تحقيق المتعة الفنية، والغاية التربوية، وكذلك وصف القفز على بعض الفترات الزمنية بأنها ميتة من زمن القصة، فأيضا هذا الرأي لا يمكن أخذه على إطلاقه أثناء التعامل

---

[1]–بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني، ص75–76.

[2]–المرجع نفسه، ص76.

[3]–بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، ص120.

مع النص القرآني المقدس، إذ من غير الممكن أن نصف القفز على فترات زمنية معينة بأنها ميتة، ولابد كذلك من تثمين أخير لوظيفتها، اللاحمة التي تختص بربط أجزاء المتن الحكائي بعضها ببعض، وتعمل على تحصين الأعمال السردية، من التفكك والانقطاع.

ووظائف الخلاصة التي تؤديها للسرد بحسب سيزا قاسم هي:

1-المرور السريع على فترات زمنية طويلة.

2-تقديم عام للمشاهد والربط بينها.

3-تقديم عام لشخصية جديدة.

4-عرض الشخصيات الثانوية التي لا يتسع النص لمعالجتها معالجة تفصيلية.

5-الإشارة السريعة إلى الثغرات الزمنية وما وقع فيها من أحداث.

6-تقديم الاسترجاع أو الارتداد[1].

أما ثاني التقنيات التي تختص بسرعة سير الحدث، وتلعب دورا حاسما في اقتصاد السرد وتسريع وتيرته، فهي الحذف... ويكون زمن السرد فيها منعدما أو أصغر بما لا يقاس في زمن القصة[2].

وهذا طبعا ما يوجد في قصة موسى، فأثناء سرد الأحداث قد يتوقف السارد عند نقطة زمنية ما لعظة أو لتذكير بالنعم، فهنا يكون زمن السرد قد توقف.

والحذف عند حسن بحراوي «يؤثر على الثغرات الواقعة في التسلسل الزمني، ويتميز بإسقاط مرحلة بكاملها من زمن القصة، ولذلك فهو يعتبر مجرد تسريع للسرد»[3].

ويمكن أن يُطلق على الحذف السرد الإضماري، كما هو الشأن في السرد التلخيصي، لأن الإضمارية تغييب لأجزاء معينة في فنية سردية عالية، وقد يتجه السرد القرآني أحيانا إلى حذف جزء معين من النص لينصب الإهتمام بالشيء المذكور، حيث يكون «ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الفائدة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا ما لم تنطق وأتم ما تكون بيانا إذا لم

---

[1]-بناء الرواية، سيزا أحمد قاسم، ص56.

[2]-بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، ص144.

[3]-المرجع نفسه، ص120.

تبن»[1].

ومن خلال المفاهيم العامة التي تقدمت حول كل من الخلاصة والحذف، فإنه يمكن تحديد الفرق بينهما، فالأولى تعتمد على تلخيص المهمة بإعطاء نتيجتها، والتركيز على مضمونها من دون تفصيل في جوانبها، مما يجعل بعض الأحداث تختفي دون الأخرى، أما الحذف فهو عدم ذكر مرحلة زمنية كاملة من دون الإشارة ولو إلى جزئية منها «ويفترض نظريا لحدوث هذه التقنية داخل الخطاب الروائي امتداد الحدث الروائي على فترة طويلة لا يستطيع السارد أن يلم بها جميعا، فيلجأ إلى استعمال هذه التقنية بتجاوز فترة زمنية من زمن الحكي للأحداث، دون الإشارة الصريحة إلى الوقائع التي جرت خلال هذه الفترة الميسورة في الخط الزمني»[2].

وتبقى هذه الأقوال من حيث التطبيق الكلي على النص القرآني نسبية نوعا ما، لتفرده بأسلوبه الخاص في عرض مادته القصصية، فضلا عن كونه نص مقدس، وسيحاول البحث التطرق إلى استخدام هذه التقنيات في تطبيقاتها على أحداث قصة سيدنا موسى عليه السلام.

-نماذج تطبيقية:

إن سورة القصص من السور التي تظهر فيها تقنية الحذف والخلاصة، كونها تعرضت بالتفصيل لقصة حياة موسى من الميلاد إلى ما بعد البعثة، وقد بسط الله في هذه السورة ما أوجز في السورتين قبلها من قصص موسى عليه السلام، وفصل ما أجمله هناك، فشرح تربية فرعون لموسى وذبح أبناء بني إسرائيل الذي أوجب إلقاء موسى حين ولادته في اليم خوفا عليه من الذبح، ثم ذكر قتله

---

[1]-دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، تعليق أبو فهر محمود محمد شاكر، ط 2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1410هـ-1989م، ص146.

وعبد القاهر الجرجاني (...471هـ=...1078م) هو عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني أبو بكر، واضع أصول البلاغة، كما أن أئمة اللغة من أهل جرجان (بين طبرستان وخراسان) له شعر رقيق من كتبه (أسرار البلاغة) و(دلائل الإعجاز)، و(الجمل) في النحو، والمغني في شرح الإيضاح، ثلاثون جزءا اختصره في شرح آخر سماه (المقتصد) في الظاهرية، و(إعجاز القرآن) و(العمدة) في تصريف الأفعال و(العوامل المئة).

لنظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، مج4، ص48-49.

[2]-تيمة الجنس في خطاب الروائي واسيني الأعرج بين الوعي القائم والممكن والزائف، دراسة سوسيوبنائية، نور الدين سيليني، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2001-2002، نوقشت يوم 08 أفريل 2002م الموافق لـ25 محرم 1423هـ، ص213.

للقبطي، ثم فراره إلى مدين، وما وقع له مع شعيب من زواجه ببنته، ثم مناجاته لربه[1].

وقصته قبل المولد أضمرها السرد القصصي، و لم يولها اهتماما لأنها لا تخدم الغرض الرئيسي للقصة «وهي طريقة القرآن في عرض قصصه، بحيث يجعل بينها فجوات فنية، يملؤها الخيال، فلا يفوت القارئ شيء من الأحداث والمناظر المتروكة بين المشهد والمشهد مع الاستمتاع الفني بحركة الخيال الحية»[2] الأمر الذي يؤدي حتما مع حذف هذه الأحداث إلى تسريع للسرد ولوتيرة الزمن، وإيراد الأحداث المتعلقة بولادة موسى والظروف المحيطة بذلك في هذا التمهيد، المتعلق بفرعون وهامان وفسادهما في الأرض في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ. وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: 4-6].

ففي هذا التمهيد مرور سريع على فترات زمنية طويلة، فمثلا ما ورد في نهاية الافتتاحية الارتدادية من التلخيص الارتدادي، الذي يمر فيه السارد هنا مرورا سريعا على الأحداث المتعلقة بقصة الفاعل قبل المولد، وهذا يهدف إلى إعداد القارئ لما سيجيء فيما بعد من الأحداث والشخصيات المتعلقة بسرد أحداث القصة، والمرتبطة بذلك الماضي البعيد، وبهدف تسريع حركة السرد أيضا.

كما أرّخ هذا التمهيد لقصة موسى، و لم يذكر بهذه الصورة إلا في سورة القصص، على أنه بدء لتاريخ موسى وقصته من قبل الولادة، فكانت العبارة أشبه بمقدمة القصة التي تسلكها من البدء

---

[1]-تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1373هـ-1953 م، المراغي (...1371هـ-...1952م)، أحمد بن مصطفى المراغي، مفسر مصري، من العلماء، تخرج بدار العلوم الإسلامية بكلية غوردون، بالخرطوم، وتوفي بالقاهرة، له كتب منها (الحسبة في الإسلام)، و(الوجيز في أصول الفقه) مجلدان، (تفسير المراغي) ثماني مجلدات، (علوم البلاغة).

انظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، مج1، ص258.

[2]-في ظلال القرآن، سيد قطب، مج5، ج20، ص2677.

إلى النهاية، بأخصر عبارة وأوجزها[1].

لقد كان من وظائف الخلاصة في تسريعها للسرد ولوتيرة الزمن، هذا التقديم العام للمشاهد المتعلقة بالظروف المحيطة بالميلاد، وكيف ربط السرد القرآني بينها، ليبدأ الفصل الأول من قصة ميلاد الفاعل، حيث اقترنت ولادته مع قرار فرعون بقتل الأطفال، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: 07].

ومما يلاحظ على هذه الآية إضمارها لقرار فرعون بالقتل، كما أضمرت ولادة موسى، وصلتها بذلك القرار، وفي هذا تسريعا للسرد ولوتيرة الزمن، واتجهت مباشرة إلى قضية الرضاعة، وإلقائه في اليم حالة الخوف من القتل، وما يلاحظ أيضا هو أن سورة القصص تطوي مدة زمنية غير محددة؛ ذلك أن تذبيح فرعون لبني إسرائيل دام سنوات لم يشر إليها السرد، وإنما أوردها في صيغة قص موجز معرضا عن ذكر المؤشر الزمني، فجاءت الآيات تنبيها لأي مدع للألوهية يعلو في الأرض.

وما ذكر في سورة القصص ذكر لحياة موسى الأولى والظروف التي أحاطت بهذا الميلاد، وكل هذا في غاية التفصيل، والبيان حتى أن السرد القصصي لأحداثها جاء بتسلسل زمني موضوعي، بدءا بالوحي بالإرضاع، ثم بعد الخوف عليه من بطش فرعون، إلقاؤه في اليم، هذا على العكس تماما مما ورد في سورة طه التي نجد فيها تسريعا للسرد ولوتيرة الزمن، بحذف حادثة الإرضاع على الشكل الآتي: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى. . .أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ . . . فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ . . . فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾ [طه: 38-39].

ففي هذه السورة أوامر بسرعة قذف في التابوت (الذي لم يأت له ذكر في القصص) فتبعه قذف في اليم فيتبعه أمر بإلقاء اليم له بالساحل، فأمر لفرعون يأخذه ليكن عدوا له[2]، كما أضمر السرد القرآني حادثة الالتقاء بالابن موسى، ولا كيف جرت تلك الأحداث وهذا لما كان موسى في بيت فرعون، وموقف امرأته من الوافد الجديد على البيت، وحفظ الله له ورده إلى أمه، بعد أن صور

---

[1]-الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، محمد محمود حجازي، ص330.

[2]-المرجع نفسه، ص333.

السرد القرآني المشهد السابق لحالة الأم الخائفة القلقة، والتي تتلقى الإيحاء المطمئن، المبشر ليترل على القلب الواجف المحرور بردا وسلاما، إلا أن السرد القرآني لم يذكر حادثة الالتقاء بالابن موسى، ولا كيف جرت الأحداث تلك[1]. لينتقل مباشرة إلى سرد حادثة موسى في بيت فرعون، والتقاطه له، يقول تعالى في سورة القصص: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ. وَقَالَتْ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ. فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: 8-13].

لقد ساهمت الإضمارات السابقة في تسريع حركة السرد ووتيرة الزمن؛ من تذبيح الأبناء واستحياء النساء، والإضمار الضمني لحدث الولادة في كل سور القرآن الكريم، المتناولة لقصة موسى عليه السلام ليجد المتلقي نفسه أمام تقديم عام شخصية جديدة، وهي شخصية المولود التي تمتاز برعاية إلهية خاصة، بحيث أبانت القصة عما سيكون من أمر هذا المولود مع عدوه إذ يربى في قصره ويضمر السرد الفترة الزمنية التي قضاها موسى هناك فيطويها بإضمار محدد أفصحت عنه الآية الرابعة عشر ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾، واكتمال الأشد، اكتمال القوى الجسمية، والاستواء اكتمال، النضوج العضوي والعقلي، وهو يكون عادة في سن الثلاثين[2].

لقد اختزلت فنية السرد مراحل زمنية، تستغرق أطوارا من عمر موسى منذ الوضع حتى البعثة، في ثلاث آيات مسجلة بمرورها السريع على فترات زمنية طويلة، وتقديمها العام للشخصية الجديدة، وهذا من خلال الإشارة السردية المتمثلة في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا﴾ [طه: 38]، ﴿فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [طه: 39]، ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي﴾ [طه: 39]، ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ﴾ [طه: 40]،

---

[1]-في ظلال القرآن، سيد قطب، مج5، ج20، ص2679.

[2]-المصدر نفسه، ص2681.

﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ﴾ [طه: 40]، فالسردية هنا إخبارية الإطراد فيها على المستوى الفني جلي، قوامه تلاحق الحدث في صيغة ماضية والزمنية في الآيات ضمنية حركية، تشف عن تعاقب زماني مرحلي، مرتبط بعمر الفاعل موسى، فحدث الإرجاع إلى الأم ذو علة تكفلية، أي من أجل إرضاع الوليد وفي ذلك حصر زماني لم يسفر عنه السياق إلا مجازا[1].

وما يمكن تسجيله على ما سبق أن الخلاصة أحالت على ماضي الشخصية الرئيسية، وفيها تم تحديد التعرف على طفولة الفاعل (موسى)، والظروف المحيطة به، كما يمكن أن تعمل الخلاصة على التعريف بمراحل حياته المختلفة صبيا وشابا وكهلا.

وبعد هذا التقديم العام للمشاهد والربط بينها، يمر السرد على فترات زمنية طويلة تلخص حياة موسى «فيسكت سياق القصة بعد هذا عن السنوات الطوال ما بين مولد موسى عليه السلام والحلقة التالية التي تمثل شبابه واكتماله، فلا نعلم ماذا كان بعد ردّه إلى أمه لترضعه، ولا كيف تربى في قصر فرعون، ولا كيف كانت صلته بأمه بعد فترة الرضاعة، ولا كيف كان مكانه في القصر أو خارجه، بعد أن شب وكبر إلى أن تقع الأحداث التالية في الحلقة الثانية، ولا كيف كانت عقيدته، وهو الذي يصنع على عين الله، ويعد لوظيفته في وسط عباد فرعون وكهنته...» [2].

لقد ساهم المرور على فترات زمنية طويلة، في تسريع السرد ووتيرة الزمن، وهذا ما يمكن الوقوف عنده في حالة تقديم، الاسترجاع، الذي يعد من الوظائف الهامة للسرد التلخيصي، فإذا كان الاسترجاع هو ترك مستوى القص الأول، والعودة بالأحداث الماضية إلى الوراء، فإنه يساعد على ملء الفراغات الزمنية، الأمر الذي يمكن من فهم مسار الأحداث، وهذا يوجد عند شخصية جديدة بغية التعرف على ماضيها وطبيعة علاقاتها بالشخصيات الأخرى، وفي العودة إلى الماضي إعادة بعث للأحداث السابقة لتفسيرها تفسيرا جديدا، في ضوء المواقف المتغيرة أو لإضفاء معنى جديد عليها[3]، وهذا اللون من الوظائف يوجد في العديد من المواقف التي تميز حياة موسى عليه السلام منها الارتداد الزمني بأحداث القصة إلى الوراء، فلما كان البدء على النحو الآتي في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ

---

[1]-الخطاب القرآني: مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، سليمان عشراتي، ص116.

[2]-في ظلال القرآن، سيد قطب، مج5، ج20، ص2681.

[3]-بناء الرواية، سيزا أحمد قاسم، ص40.

مُوسَى. إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [طه: 9-10]، وإلى هنا فإن التسلسل الزمني للأحداث موضوعي، ليشهد النص حذفا لبعضها، ويرتد إلى أحداث ما قبل البحث عن النار بداية من الآية (37) إلى الأحداث الأولى من حياة موسى؛ أحداث إلقائه في التابوت مع إشارة عابرة إلى نجاته من اليم وقتله للنفس، ولبثه في مدين[1] في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى. إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى. أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي. إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ [طه: 37-40].

إن في سبب العودة بالأحداث إلى الوراء وتفسيرها تفسيرا جديدا، وهذا بغية تحديد طبيعة العلاقة بين الشخصية المقابلة شخصية فرعون إو لإضفاء معنى جديد يساعد على تسريع السرد ووتيرة الزمن، أو يضفي معنى جديدا على المسار الحدثي للقصة، وبعد الحذف والتقطيع يعود السرد من جديد للأحداث المتصلة بموسى وعلاقته بفرعون، وهذا الحذف للأحداث لم يغير من سير أحداث القصة شيئا، فمضت في حركتها العادية لحين انتهائها بواقعة البحث عن النار التي وصلها بحادثة تكليم السماء لموسى في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى. إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى. وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى. إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي. إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى. فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [طه: 11-16].

وتفسير هذا الارتداد الزمني لسير أحداث القصة من النهاية إلى المراحل الأولى من حياة موسى، هو ربط للاحق بالسابق، بالعودة من جديد إلى متابعة ما قطعه السرد، كما أن فيه تذكير

---

[1]-دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ص363.

بالعطاءات المتكررة، وهذا في تذكيره بالمراحل الأولى من حياته ليربطها بعد ذلك مباشرة بالنقطة التي حذف سلسلة السرد من خلالها؛ حيث عاد من جديد إلى حادثة التكليم، لتقطع أحداث هذه الأخيرة، ويطالب موسى بالذهاب إلى فرعون، هذه الأحداث التي قطعها السارد، تذكر موسى بنعم السماء عليه، وارتد بذلك إلى مراحل حياته التي انتهت إلى حادثة التكليم، ليعود السرد من جديد إلى النقطة التي توقف عندها، قبل ارتداد الأحداث إلى الوراء، ليعود إلى التسلسل الزمني، وذلك بمطالبة موسى بالذهاب إلى فرعون، حيث نواجه تفصيلات جديدة، في هذا الموقف فبدأت بمواجهة فرعون، إلا أن السارد يحذف بعض الأحداث المتصلة بواقعة الذهاب إلى فرعون، هذا الحذف الذي أدى إلى تسريع السرد ووتيرة الزمن، كما حذف طريقة المواجهة التي بدأها موسى مع فرعون، فأمر موسى باللين في القول والمعاملة، لأن الموقف يتطلب مثل هذا النوع من التصرفات التي تتناسب وتركيبة الشخص.

كما حذف من أحداث القصة أسباب دخول موسى المدينة، وهذا بغية التركيز على الحادثة الرئيسية، حادثة القتل، حيث يقول تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ. قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: 15-16].

فالنص حذف سبب الاقتتال بين الرجلين، وهذا الإضمار عائد إلى نقل المتلقي لعمليات استكشاف جديدة يمارس من خلالها تذوقه الفني للقصة ليتضخم بذلك عنصر الإمتاع الجمالي والفكري لديه[1]، كما أن السردية القرآنية لا تتبع الجزئيات والتفاصيل الثانوية... فكان من خصائص القصة القرآنية عدم التركيز على الأحداث التي لا تقوم بوظيفة ما في السرد، الأمر الذي يقتضي حذفها «وكان في جملة ما استخدمه الخطاب القرآني لتخطي المراحل على مستوى السرد، الأداة اللغوية الظرفية التي هي فاعلية تعبيرية اقتصادية، لها قابلية ضغط الزمن والقفز به من مرحلة إلى مرحلة، أو من موقف إلى آخر وهو ما تضطلع به الأداة (لّما) في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ

[1]-دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ص453.

بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا . . .﴾ [القصص: 19]، ولها القدرة على مفصلة السياق، الوقائع المتقاربة أو المتباعدة، وهذا عندما تحوّلت بالخطاب من الحديث عن مرحلة النشأة إلى الحديث عن مرحلة الاستواء والاكتمال، وكقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ . . .﴾ [القصص: 22]»[1].

وقد يكتفي السرد القرآني في بعض الأحايين بذكر ما له علاقة بغرض العرض وقصده، فيوجز فيما يعرض، ويعدل عن التفصيل بقصد تركيز الذهن على قضية واحدة ودون تشتيته، مثال ذلك ما جاء في حادثة السقي لبنتي شعيب من قبل موسى عليه السلام، إذ قال تعالى ساردا وقائعها: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ. فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: 23-24]، فحذف المفعول من أربعة مواضع، والغاية من ذلك تسريع للسرد لوتيرة الزمن، بالتركيز على الفعل المقصود، والأفعال المحذوفة هي (يسقون، تذودان، نسقي، فسقى)، فحذفت هذه المفاعيل، وكان الأصل أن تأتي العبارة على هذا النحو «وجد عليه أمة من الناس يسقون أغنامهم، أو مواشيهم وامرأتين تذودان غنمهما، وقالتا لا نسقي غنمنا فسقى لهما غنمهما»[2].

وإذا كان في حذف هذه المفاعيل تسريع للسرد ولوتيرة الزمن، فإن الغرض من ذلك هو القيام بأمر الدعوة إلى الله، لهذا أيضا أضمر السرد القرآني مدة عشر سنوات، التي تمثل الأجل المتفق عليه بين موسى والشيخ، فيقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ . . .﴾، فأضمر السرد مدة عشر سنوات عاشها موسى في مدين، ويلي هذا الإضمار المحدد طي الفترة الزمنية التي استغرقها موسى في العودة إلى مصر وكيفية مقابلته لأخيه هارون، وما كان من أمر أخيه عند سماعه بتكليف الله لهما.

إن فنية السرد القصصي اختزلت مراحل زمنية استغرقت أطوارا من عمر موسى، منذ الوضع

---

[1]-الخطاب القرآني: مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، سليمان عشراتي، ص110.

[2]-دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص161.

حتى البعثة، فجاءت هذه الزمنية المختزلة ضمنية حركية تشف عن تعاقب زماني مرحلي، في العديد من الآيات التي جاءت بخطابية مباشرة مثل ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا . . .﴾ [طه: 40]، أو ﴿جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَامُوسَى. . .﴾ [طه: 40]، حيث يوحي فعل القتل بزمن الفتوة، وحدث البعثة يوحي بالتقدم الزمني من حيث النضج والاكتمال[1].

لقد دامت إقامة موسى بمدين عشر سنوات طبق فيها القرآن تقنية التلخيص، وهذا تسريعا للسرد ولوتيرة الزمن، وإن هناك فرقا بين خلاصة تختزل يوما أو جزءا من اليوم، فكلما زاد طول المدة الملخصة، كلما ازدادت سرعة السرد الذي تتم به الخلاصة، وهذا أمر طبيعي في التحليل، لأن تلخيص أحداث عشر سنوات مثلا سيقضي هنا عرض السرد بأسرع مما لو كان علينا تلخيص أحداث يوم فقط، من أحداث أكبر وأهم مما حصل في سنوات عديدة.

وإن السنوات العشر التي أضمرها النص القرآني، وأثناء طريق العودة إلى مصر كلف موسى بالرسالة، فالسنوات المضمرة لم تكن ذات بال واهتمام، بقدر ما كان أمر الرسالة أهم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ. وَقَالَ مُوسَى يَافِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ. وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الأعراف: 103-108]، فبدأت القصة في هذه الآيات من نهاية الحدث (فانظر كيف عاقبة المفسدين)؛ بمعنى أن هناك ارتدادا بالأحداث إلى الوراء، وتقديم الاسترجاع من وظائف الخلاصة في تسريع السرد وتيرة الزمن، ثم تبدأ الأحداث بالارتداد الزمني إلى البداية، مطالبة موسى بالاضطلاع بمهمة الرسالة وتخليص بني إسرائيل من فرعون وطغيانه.

ويوجد مثل هذا الحذف الذي يقوم على الاهتمام بالحدث الرئيسي في حذف كامل التفصيلات المتعلقة بالعصا واليد، إشارة واكتفاء بالحدث العام، دون سواه، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ

---

[1]-الخطاب القرآني: مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، سليمان عشراتي، ص116-117.

جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ. وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الأعراف: 106-108] ليبقى الحدث الهام هو تبليغ الرسالة.

وفي القسم الثالث والمتمثل في حادثة السحرة وموقفها من موسى وفرعون يشتمل هو الآخر على تقنية التلخيص التي تعرض شخصيات السحرة وتعتبرها ثانوية، لأن النص والغرض العام لا يتسعان لمعالجتها معالجة تفصيلية، واكتفى بقوله تعالى: ﴿الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾، تمهيدا أو إرهاصا بما سيلقي النص من أضواء على هؤلاء القوم الذين سوّفوا في إصلاح أنفسهم، وأسرفوا في عنادهم، واستكبارهم بالرغم مما شاهدوه من الآيات[1].

وتستمر تقنية الحذف مصاحبة لقصة موسى، وغرضها من كل ذلك هو الوصول إلى الهدف العام الذي يبتغيه السارد، المتمثل في تبليغ الرسالة، فتحذف الأحداث المتعلقة بواقعة ذهاب موسى إلى فرعون، والأحداث المتعلقة بالمواجهة بين موسى والسحرة، هذه المواجهة التي كان المتلقي ينتظرها، بعد أن شوقه السرد إليها ليكتفي بعرض موقف القوم من الآيات التي جاء بها موسى، في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [القصص: 36].

وسورة غافر التي تقدم للقارئ شخصية جديدة، هذه الشخصية التي تكشف عن أحداث لم تسردها القصة عند حديثها عن مواجهة موسى مع قوم فرعون، في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر: 27]، وإجابة موسى هذه لها من الفاعلية الزمنية على سير سرعة السرد في هذه السورة، وهذا من خلال الوظيفة التي قدمتها الخلاصة والمتمثلة في التقديم العام للشخصية الجديدة.

والنتيجة التي يمكن قولها في هذا الصدد، أن توظيف القصة القرآنية لتقنية السرد التلخيصي بكامل وظائفه من المرور السريع على فترات زمنية طويلة، والتقديم العام للمشاهد، والربط بينها، وكذا التقديم العام للشخصيات الجديدة، والشخصيات الثانوية، وتقديم الاسترجاع، كل هذه

---

[1]-دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ص155.

الوظائف تخدم الغرض العام للقصة القرآنية، وهو القيام بأمر الرسالة والدعوة إلى الله.

2-تبطيء السرد ووتيرة الزمن (الوقفة والمشهد):

وتعتبر هذه التقنية ثاني أشكال الحركة السردية مكونة من الوقفة والمشهد، فيعمل كل منهما على تهدئة حركة السرد وبالتالي التحكم في الإيقاع الزمني لسير أحداث القصة، ويسمى أيضا بمصطلح تعطيل السرد، فكما أن للسرد أحوالا يسرع فيها (الخلاصة والحذف)، فله أيضا أحوال أخرى يبطئ أثناءها أو على الأقل يخفف من سيره مما يسبغ على القصة وتيرة بطيئة[1].

وتعمل هذه التقنية على استخدام صيغتين هما: السرد المشهدي، وتقنية الوصف؛ فالسرد المشهدي يتحكم في سرعة القصة، فضلا عن الحركات السابقة، وهو من أقرب التقنيات السردية تطابقا بين زمني السرد/القصة، إلا أنه ومن الصعب قياس سرعتها، بسبب لحظات الصمت، والتكرار التي تتخلل المشاهد الحوارية، جاعلة من الاحتفاظ بالفرق بين زمني حوار السرد، وحوار القصة قائما على الدوام[2].

وهذا ما يوجد وبشكل كبير في قصة موسى، حيث يشكل الحوار حيزا كبيرا في سير أحداثها، كما يوجد موزعا بين ثنايا مختلف السور التي وردت فيها هذه القصة.

أما وظائفه التي يقدم بها في القصة فعديدة منها أنه يعمل على استهلال أو تذييل النص، مما يسهل على المتلقي فهم التطورات الحاصلة في الأحداث وفي مصائر الشخصيات، كما تكون له قيمة إفتتاحية عندما يشير إلى دخول شخصية إلى وسط أو مكان جديد، ويسجل المشهد غالبا مواقف نهائية للشخصيات، أو إعلانا عن حصول اتفاق أو افتراق ما بين أطراف القصة[3].

وهنا ينبغي الإشارة إلى نقطة هامة مفادها أن تطبيق هذه الوظائف بحذافرها على القصة القرآنية يبقى أمرا نسبيا، وإنما بما يخدمها ويحقق الغرضين الفني والتربوي، لأنه مهما كان الأمر تظل هذه الوظائف اجتهادات بشرية أسقطت على الأعمال الأدبية والروائية، وقد نجد من خلالها ما يخدم فنية القصة القرآنية.

---

(1)-بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، ص165.

(2)-بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني، ص78.

(3)-المرجع نفسه، ص167.

أما ثاني تقنيات أشكال الحركة السردية، والتي تعنى بتبطيء حركة السرد، فهي الوقفة والتي هي عبارة عن محطة تأملية تتخذ بشكل وقفة وصفية، أو تحليل لنفسية الشخصيات، أو استطراد من أي نوع، وتكون الغاية منها تعليق زمن الأحداث في الوقت الذي يواصل فيه الخطاب سيره على هامش القصة[1].

والغرض من هذه التقنية هو تصوير الشخصية من الخارج، أو عرض حالتها النفسية من خلال المناجاة، مما يسهم في تفسير سلوكها ومواقفها المختلفة، وستحاول هذه الدراسة التطرق إلى هذه التقنية وكيفية استخدامها في قصة موسى، مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصية النص القرآني.

-نماذج تطبيقية:

ما يمكن قوله في هذه النماذج هو أن قصة موسى تحوي بين طياتها العديد من المشاهد التي تعمل على تبطيء حركة السرد ووتيرة الزمن، وهذا ما يمكن ملاحظته في بداية سورة القصص، فقبل الحديث عن ميلاد موسى المكلف بأداء الرسالة تعرض السورة الجو العام الذي تدور فيه الأحداث، والظروف التي تجري فيها القصص ويكشف عن الغاية المخبوءة وراء الأحداث، والتي من أجلها يسوق هذا القصص، وهي من طريقة العرض القرآني للقصة تساوق موضوعها وأهدافها[2] في هذا الموضع من القرآن في قوله تعالى: ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ. إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ. وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: 3-6].

فهذا المشهد الطغياني الذي أرخ لقصة موسى لم يذكر بهذه الصورة إلا في سورة القصص، على أنه بدء لتاريخ موسى وقصته قبل الولادة، فكانت العبارة أشبه بمقدمة للقصة التي تسلكها من البدء إلى النهاية بأخصر عبارة وأوجزها[3].

---

[1]-بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني ، ص120.

[2]-في ظلال القرآن، سيد قطب، مج5، ج20، ص2677.

[3]-الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، محمد محمود حجازي، ص330.

لقد عمل المشهد في هذه الافتتاحية على الاستهلال بهذه المقدمة، التي ستسهل على المتلقي فهم التطورات الحاصلة في الأحداث وفي مصائر الشخصيات، ومن أن أمر القيام بالدعوة طريق تكتنفه المصاعب والمشقات، سيكون سببها فرعون وملؤه، لذا مهّد السرد القرآني واستهل أحداث القصة بعرض مشاهد الظروف المحيطة بهذا الداعية إلى الله.

وتبدأ سورة القصص بسير بطيء في عرضها لأحداث القصة، هذا البطئ الذي ينبئ عن صراع حقيقي بين موسى وفرعون، والقائم مداره على الشخصية المركزية في القصة، شخصية موسى المضمرة ولادته لنجد أمه خائفة قلقة، نفسيتها مضطربة «وها هي ذي أمه حائرة به، خائفة عليه تخشى أن يصل نبؤه إلى الجلادين، وترجف أن تتناول عنقه السكين، هاذي بطفلها الصغير عاجزة عن تلقينه حيلة أو وسيلة... ها هي ذي وحدها ضعيفة عاجزة مسكينة»[1]. ليتد خل الحل الإلهي مطمئنا ومهدئا روعها في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: 7].

هذا الاضطراب النفسي صوره القرآن الكريم قبل سورة القصص في سورة طه، إذ يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى. إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى. أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ...﴾ [طه: 37-39].

لقدصور السرد القرآني في هذه الآيات وباستخدامه لتقنية الوقفة الحالة النفسية للأم أثناء خوفها على رضيعها، فحلل نفسية الظالم، الطاغية قبلها، مما كان له من آثار سلبية على شخصية الأم، فكان أن صور السرد الشخصية والحال النفسية التي كانت عليها، فساهم هذا التصوير في تفسير سلوكها ومواقفها المختلفة.

أما المشهد الذي يلي هذه الأحداث، فهو مشهد موسى في بيت فرعون، وموقف امرأته من الوافد الجديد على البيت، وحفظ الله له، ورده إلى أمه، بعد أن صور السرد القرآني حالتها المضطربة، والقلقة والتي تتلقى الإيحاء المطمئن المبشر ليترل على القلب الواجف المحرور بردا وسلاما[2] في سرده

---

[1]-في ظلال القرآن، سيد قطب، مج5، ج20، ص2678.

[2]-المصدر نفسه، مج5، ج20، ص2679.

لحادثة موسى في بيت فرعون والتقاطه له ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ. وَقَالَتْ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ. فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: 8-13].

وقبلها في سورة طه يقول تعالى: ﴿فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي. إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [طه: 39-40].

ولعل سائلا يسأل فيقول: ما الفرق بين المشهدين مع أنهما يسردان قصة موسى في بيت فرعون، والتقاطه له من اليم، وإرجاعه إلى أمه؟

الفرق بينهما هو أن المشهد الأول الوارد في سورة القصص، هذه السورة التي سُردت أحداثها بتسلسل موضوعي، أما الآخر والوارد في سورة طه، فلكون هذه الأخيرة قد سردت أحداثها تبعا للسياق النفسي لذا تضمن هذا المشهد من سورة طه أحد تقنيات تبطيء السرد ووتيرة الزمن، لأن «مطلع هذه السورة يشف عن رحمة الله ورعايته لمن يصطفيهم لحمل رسالته، وتبليغ دعوته، فجاءت القصة مضللة بهذا الظل تبدأ بمشهد المناجاة، وتضمن نماذج من رعاية الله لموسى عليه السلام، وتثبيته وتأييده، وتشير إلى سبق هذه الرعاية للرسالة، فقد كانت ترافقه في طفولته، فتحرسه وتتعهده ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾»[1].

ويتخلل مشهد المناجاة سورة طه، متمثلا في آيات الدعاء، وهذا في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ

[1]-في ظلال القرآن، سيد قطب، مج4، ج16، ص2329.

اشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي. وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي. وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي. كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا. وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا. إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا. قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوسَى﴾ [طه: 25-36].

ومن نماذج الإبطاء التي نجدها في قصة موسى، والتي من شأنها أن تسهم في الكشف عن الأبعاد النفسية والاجتماعية للشخصيات، حيث يقوم القصص القرآني برسم بضع نماذج إنسانية من شأنها أن تتجاوز حدود الشخصية المعنية إلى الشخصية النموذجية، وشخصية موسى تمثل نموذجا للزعيم المندفع العصبي المزاج، ويبدو الانفعال واضحا[1]، في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ...﴾ [القصص: 15].

ويتمثل الإبطاء في هذه الآية، في المسافة التي قطعها موسى عليه السلام، من مصر إلى أن وصل إلى مدين مر عليها السرد مرا خفيفا.

وبعد حادثة القتل هذه التي كشفت عن شخصية موسى العصبية، يظهر بعدها بشخصية أخرى مخالفة للأولى، وهي شخصية إنسان مذنب تائب يرجو رحمة ربه، وغفرانه هذه الشخصية التي تلجأ إلى المناجاة في هذه الآيات: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ. قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: 15-17]، وقوله أيضا: ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: 21-22]، وقوله: ﴿...فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: 24].

ولقد بينت هذه المناجاة النفس التائبة من الذنب، وحددت علاقة موسى بربه، فرسمت معالم

---

[1]-التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص164.

الطريق التي تنتظره في حقل الدعوة إلى الله والوقوف في وجه الظالم المستبد فكانت هذه الحادثة وبمثابة السد القوي والحاجز المنيع الذي من شأنه أن يحافظ على كيان موسى، ويمكن اعتبار هذه الحادثة محطة لتزويد موسى بثقته بربه وبنفسه، وفي هذه المحطة الإيمانية تبطئ لوتيرة السرد والزمن.

أما الصورة الأخرى التي تمثل الوقف وتصوره للشخصية من الخارج أو تعرض حالتها النفسية من خلال المناجاة ما يوجد في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنْ النَّاصِحِينَ. فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ. . .﴾ [القصص: 20-21]، فالسارد هنا بصدد وصف الرجل الذي يجيء إلى موسى من أقصى المدينة يحذره ائتمار الملأ من قوم فرعون به، والوقفة تظهر جلية واضحة، فأثناء سرد النص للحوار الذي كان قائما بين موسى والرجل القبطي في قوله تعالى: ﴿. . . قَالَ يَامُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنْ الْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص: 19]، قلت يتوقف السرد بعد هذا الحوار ليظهر الرجل ناصحا، وواصفا نفسه ﴿إِنِّي لَكَ مِنْ النَّاصِحِينَ﴾، ثم يتواصل السرد من جديد لتظهر وقفة وصفية أخرى، حيث يقول تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: 21]،«فنلمح مرة أخرى السمة الواضحة في الشخصية الانفعالية، التوفز والتلفت ونلمح معها التوجه المباشر بالطلب إلى الله، والتطلع إلى حمايته ورعايته والالتجاء إلى حماه في المخافة»[1].

إن القصة القرآنية لم تلجأ إلى الوصف ليس بغرض الوصف فقط، ولكن لإضافة شيء يكون مفيدا للسرد، فالوصف وسيلة وليس هدفا، أي أنه جزء من الكل، وليس أجزاء مكونة للموضوع وعليه فمهما كانت وظيفة الوقفة الوصفية،فإنها دائما تشكل بظهورها في النص وفي جميع الوجوه والحالات توقفا للسرد أو على الأقل إبطاء لوتيرته.

وقد يسجل المشهد أحيانا –وهذا من وظائفه- مواقف نهائية للشخصيات أو إعلانا عن حصول اتفاق أو افتراق ما بين أطراف القصة، وهذا ما يجسده قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ. وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنْ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ

---

[1]-في ظلال القرآن، سيد قطب. مج5، ج20، ص2685.

مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ. فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ. فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ. قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ. قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: 22-28].

فعملية السقي هذه فصلت المشهد تفصيلا دقيقا، وأراحت موسى عليه السلام من عناء ما لاقاه في سير الأحداث السابقة من فرعون وملئه، وقضية قتله لأحد الأقباط إلى إنقاذه من المتاه وهو يتجه إلى مدين لتأتي هذه المرحلة وتضمن المستقبل لموسى بعد الحوار الذي جرى بينه وبين شعيب في أمر زواجه بإحدى ابنتيه فحصل الاتفاق «وقبل موسى العرض وأمضى العقد في وضوح كذلك ودقة»[1].

فهذه الحادثة تخللتها مشاهد حوارية بين الفتاة وموسى، وبين الفتاة وأبيها، وبين موسى وشعيب، الأمر الذي جعل الفرق واضحا وبينا بين زمن السرد وزمن القصة.

أما القسم الرابع من قصة موسى مع آل فرعون، فيشهد تلك العصبية والنرفزة، فالسنوات العشر التي مرت من حياته لم تجعل منه رجلا هادئ الطبع حليم النفس، فعندما ينادى موسى من جانب الطور الأيمن أن ألق عصاك فإذا هي حية تسعى وما إن يراها يفزع، ويفرّ خائفا، إنه الفتى العصبي نفسه[2].

إن المتأمل في شخصية موسى ومن خلال هذه الوقفة الوصفية يلحظ أنه لا يزال يعاني من الاضطرابات النفسية التي تجعله متخوّفا من المواجهة، إلا أن الوقفات والمشاهد القادمة كفيلة بأن

---

[1]-في ظلال القرآن، سيد قطب، مج5، ج20، ص2688.

[2]-التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص165.

تمدئ من روعه، يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ. فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَامُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَامُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ. اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِي. وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِي. قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ [القصص:29-35]

وتتخلل قصة موسى في هذه المرحلة العديد من المشاهد الحوارية والوقفات الوصفية التي لها فاعليتها في سير أحداث القصة من خلال تبطئ السرد ووتيرة الزمن، فالقرآن أدار الحوار على الخواطر النفسية التي تلمّ بالشخص، ويراد به –الحوار– التثبيت أو شرح مبادئ الدعوة الإسلامية[1].

ومن وظائف الحوار في القصة القرآنية أو الوصف المشهدي الذي يسفر عن بناء فكرة لها لحمة منطقية مؤثرة، من ذلك هذا الموقف الذي تحاور فيه موسى مع فرعون في سورة الشعـــراء ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ. قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ. قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ. قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ. قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: 23-28].

إن في هذا الحوار للعقيدة بمفهومها الصحيح اعتمادا على المنهج المنطقي، وهذا ما نجده في هذه الأسباب من سورة طه، حيث يقول تعالى: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي. اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى. قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى. قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى. فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا

[1]–الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله، ص301.

تُعَذِّبَهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى. إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى. قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى. قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى. قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى. قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى. الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى. كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى. مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى. وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى. قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَامُوسَى. فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى. قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى. فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى. قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى. فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ [طه: 42-62].

فالمشاهد الحوارية إذن تعمل على التخفيف من سرعة السرد، وهذا ما يظهر واضحا في القسم الرابع من قصة موسى، والمتمثل في موسى وآل فرعون، فيظل الصراع قائما بينهما حتى بعد فشل عملية السحر، و لم يتوقفوا ويتوانوا لحظة واحدة ليبدأوا في محاولات جديدة كتحريضهم فرعون بأن موسى يتربص بهم ليقتلهم، ويتخلص منهم، وهذا في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: 127]، وفعلا ينفذ فرعون تهديده في هذا الحوار بين موسى وقومه، في قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ. قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 128-129].

إن المشاهد الحوارية السابقة جاءت في صيغة سردية ممهدة للمراحل القادمة، وبالتالي تسهل على القارئ فهم التطورات الحاصلة في الأحداث وفي مصير الشخصيات، كما أن هذا الحوار كان عبارة عن إشارة فنية، وإنماء عضويا لحدث سوف يتحقق لاحقا عندما يواصل النص القرآني سرده لأحداث القصة في فصولها اللاحقة وهذا الملاحظ فعلا[1].

---

[1]-دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ص159.

أضف إلى ذلك أن المشهد الحواري في القرآن الكريم، يأخذ مستويات وأساليب عديدة تتنوع بتنوع شخصياته وتختلف باختلاف المواقف التي ورد فيها، ومن أساليبه التقرير، التلقين، المحاجة، التذكير بالنعم والتخويف بالعذاب، محاولة لتبرير الازدراء والاستخفاف، الوعد والوعيد[1]. وهذه الأساليب تعبر عن التماسك السردي في القصة؛ ومن جملة ما ذكر يجد القارئ لقصة موسى تمادي فرعون وقومه في أعمالهم وإصرارهم على كفرهم، وإيذائهم لبني إسرائيل وما كان من موسى إزاء ذلك ثم ما هدد به فرعون من قتل موسى، وما كان على موسى بعد عمليات التهديد والوعيد المتكررة إلا الانطلاق ببني إسرائيل وهلاك فرعون، حيث يقول تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ. قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ. وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ. فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: 88-92].

لقد جعلت تقنية المشهد الحواري الوتيرة السردية تتباطأ أحيانا عندما كان الحوار بين موسى وفرعون، فرعون والسحرة، موسى وقومه...

وبعد هلاك فرعون تستمر معنا شخصية موسى العصبي المنفعل وهذا ما تصوره لنا تقنية الوقفة الوصفية، التي تحلل شخصية موسى، ونفسيته المضطربة، فلما انتصر على السحرة وعبر ببني إسرائيل البحر، وذهب إلى ميعاد ربه على الطور، ويطلب رؤيته، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ

[1]-سيكولوجية القصة في القرآن، التهامي نقرة، ص102-103.

الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 143]، فهذا التجلي الرباني يمثل حادثة لا تحتمل أعصاب إنسانية، ومن هنا نشهد عودة موسى إلى عصبيته في سرعة واندفاع[1].

وتبقى ظاهرة الانفعال العصبية ملازمة لشخصية موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: 150].

ولما ذهب موسى لميقات ربه في وادي طوى لتلقي التوراة، فحدث ما حدث أثناء غيابه بعد أربعين ليلة قضاها موسى عليه السلام في جبل الطور، قفل عائدا بألواحه إلى قومه فوجدهم عاكفين على ثور يعبدونه صنعه لهم السامري، ويلتفت إليه موسى بأعصاب متوترة ويسأله مستنكرا حتى إذا علم سرّ العجل وهذا في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا . إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: 97-98].

لقد شهدت أحداث قصة موسى بعض المواقف حصول اتفاق بين شخصيتي موسى وشعيب، وكان هذا من وظائف المشهد السردي، إلا أنه على العكس من ذلك تماما، فقد تسرد علينا سورة الكهف لقاء موسى بالرجل الذي لم يستطع معه صبرا حتى ينبئه بسر ما يصنع مرة ومرة ومرة فافترقا، وهذا بعد أن تخلل هذه الوقفة العديد من المشاهد الحوارية بين موسى والرجل الصالح، قال تعالى: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: 78].

كما يمكن ملاحظة الحوار المشهدي في الحلقة الأخيرة من قصة موسى من خلال الحوار الذي دار بينه وبين قومه، لما أمرهم الله بدخول الأرض المقدسة، فلما عبر موسى ببني إسرائيل البحر، وسار بهم في شبه جزيرة سيناء قاصدا بيت المقدس، فما أن ساروا قليلا، حتى رأوا قوما يعكفون على أصنام

---

[1]-التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص165.

لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، ثم بعدما ساروا على الطريق طلب منهم موسى أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لهم أن يدخلوها، فأبوا وعصوا وقالوا لن ندخلها لأن فيها قوما جبارين، وهذا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ. يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ. قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ. قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ. قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: 20-26].

لقد صوّر لنا هذا المشهد الحواري حالة الجبن التي ألّمت ببني إسرائيل عند رفضهم للأمر الرباني، فجبن بني إسرائيل هذا على ما يبدو فيه توقيف نسبي لحركية السرد لأنهم إن رضخوا للأمر، فربما تتغير مجريات الأحداث، وتستمر القصة في عرض أطوار أحداثها.

ومن خلال ما سبق، يتبين أن قصة موسى في القرآن الكريم تسير أحيانا سيرا متباطئا، في بعض الأخبار وسريعا في بعضها الآخر، فتنتقل بالقارئ من زمن إلى زمن ومشكلة لمفارقات زمنية مناسبة للغرض العام للسورة التي وردت فيها، لذا قامت هذه الدراسة بعرض مواطن عدم الاتفاق بين زمن القصة، وزمن الخطاب، وذلك من خلال استعراض العناصر الأساسية للإيقاع الزمني في هذه القصة.

الخـــاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن الدراسة السردية للقصة القرآنية تسعى لإبراز العناصر الجمالية فيها بالتركيز على توضيح ما انطوت عليه من فنيات سردية عالية، لذا كان من الضروري الالتفات والاهتمام إلى مثل هذا النوع من الدراسات.

ولما ركزت في بحثي هذا على عنصر الزمن ومدى فاعليته في القصة القرآنية اتضح لي الدور الذي تلعبه الرؤى السردية في النصوص القرآنية، ولا مجال للشك من أنه لو تناولت بقية العناصر مجتمعة لكانت الدراسة أشمل وأوفى.

ومن خلال ما تم التطرق إليه في هذا البحث فيمكنني أن أوضح هذه النتائج وأجملها في النقاط الآتية:

- أن العرب كغيرهم من الأمم، عرفوا فن القصة وتناولوها في أحاديثهم، علما أن الأسلوب القرآني نزل وفق سننهم وأساليبهم في التعبير، فكان القصص القرآني الصورة الأولى للقصة العربية.
- أن القصة القرآنية تسعى لتحقيق الغايات التربوية وفق معايير فنية، وهذا على العكس تماما مما نجده في القصص الأدبي، فالجمع بين الغايتين وجه من وجوه التحدي والإعجاز القرآني.
- القصة القرآنية بتناولها للأساليب السردية حققت فنية عالية بلغت درجة الإعجاز وجاءت بخطابية تعلو بالمضمون إلى المستوى الفني الراقي.
- مساهمة الفنيات السردية بتناولها مجتمعة في قصة موسى إلى استخلاص نتيجة هامة مفادها تفرد النص القرآني في عرضه لمادته القصصية، وهذا ما اتضح في قصة موسى عليه السلام.
- لقد حقق ترتيب النزول تسلسلا زمنيا الأمر الذي يعني أن تناول الزمن لأحداث قصة موسى مرتبة وفق نزول سور القرآن الكريم يحقق لنا ظاهرة إعجازية تتمثل في الوصول إلى قصة فنية بكامل المعايير السردية.
- تناول القصة زمنيا وفق ترتيب النزول لا يلغي الخصوصية التي من أجلها نزل القرآن الكريم؛ إذ يتماشى عرض أحداث القصة، وتحقيق الغايات والأغراض التربوية.
- انفراد كل سورة قرآنية بزمنها الخاص بها، وهذا تحقيقا للغرض الذي من أجله سيقت؛ إذ يتفاوت هذا الزمن بين النفسي والموضوعي، كما يتماشى وطبيعة السورة التي ورد فيها.
- لقد حققت الرؤية السردية للبنية الزمنية في قصة موسى، الغرض الفني، كما نهضت بالغايات التي وردت من أجلها القصة، كالتذكير والاعتبار، وتثبيت قلب النبي ﷺ والقيام بأمرة الدعوة، وهذا نفس ما نجده في سير أحداثها لو تناولناها حسب ترتيب المصحف الشريف، وهو وجه من وجوه الإعجاز القرآني.
- الارتدادات الزمنية في قصة موسى عليه السلام أو المفارقات الزمنية المشكلة لارتداد الأحداث إلى الوراء أو الأمام جاءت لتتناسب والغرض العام للسورة التي وردت فيها.

ضبط المصطلحات

المصطلح بالعربية	المصطلح بالفرنسية
الأحداث المسرودة	Diégèse
إضمار	Ellipse
استرجاع	Rétrospection
إشكالية الزمن	Problématique du temps
بنية	Structure
بنية زمنية	Structure temporelle
تواتر	Fréquence
الترتيب الزمني	Ordre temporel
التوقف	Pause
التعاقب الزمني	Diachronie
تنافر	Distorsion
حكاية	Récit
الحاكي	Conteur
الحكاية الشعبية	Conte populaire
الحدث	Action
الحذف	Ellipse
حوار	Dialogue
خطاب	Discours
خبر	Information
الديمومة	Durée
رواية	Roman
زمن السرد	Temps de la narration
زمن الخطاب	Temps de discours

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Temps du conte	زمن القصة
Prolepse	سابقة
Vitesse de narration temporelle	سرعة السرد الزمني
Narrateur	سارد
Narration antérieure	السرد المتقدم
Personnage	الشخصية
Narration de contrariété	علاقة تضاد
Sujet	فاعل
Lecteur	القارئ
Conte	القصة
Scène	مشهد
Sommaire	ملخص
Destinataire récepteur	المتلقي
Adjudant	المساعد
Espace	مكان
Niveaux narratifs	مستويات السرد
Référence temporelle	مرجع زمني
Discours narratif (ou énoncé narratif)	النص أو الخطاب القصصي
Texte	نص
Fonction	وظيفة
Analepsie	اللاحقة
Analepsie répétitive ou rappel	اللاحقة المكررة أو التذكير
Analepsie subjective	لاحقة ذاتية
Analepsie objective	لاحقة موضوعية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-القرآن الكريم برواية حفص.

1. إخوان الصفاء، رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء، دار بيروت، بيروت، 1983م.

2. الأدب الحديث بين عدالة الموضوعية وجناية التطرف، جابر قميحة، ط1، الدار اللبنانية المصرية، 1992م.

3. الأدب القصصي عند العرب: دراسة نقدية للقصص القديم: موسى سليمان، ط5، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، 1983م.

4. الأدب وفنونه: دراسة ونقد، عز الدين إسماعيل، ط8، دار الفكر العربي، القاهرة، 1422هـ-2002م.

5. إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، 1411هـ-1991م.

6. ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد، عبد المالك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، 1993م.

7. الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، عبد الحميد جيدة، ط1، مؤسسة نوفل، بيروت، 1980م.

8. بحوث في الرواية الجديدة، ميشال بوتور، ترجمة فريد أنطونيوس، ط2، منشورات عويدات، بيروت، 1982م.

9. بحوث في قصص القرآن، السيد عبد الحافظ عبد ربه، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م.

10. بناء الرواية، سيزا أحمد قاسم، ط1، دار التنوير، بيروت، 1985م.

11. البنية السردية في القصص القرآني، طول محمد، ديوان المطبوعات

الجامعية، بن عكنون، الجزائر.

12. بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت/المغرب، 1990م.

13. بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني، ط3، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2000م.

14. تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1974م.

15. تاريخ الفلسفة في الإسلام، ده بور، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1981م.

16. تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، سعيد يقطين، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1997م.

17. تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، عبد المالك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1996م.

18. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ط13، دار الشروق، القاهرة، 1993م.

19. التعبير الفني في القرآن، بكري شيخ أمين، ط6، دار العلم للملايين، بيروت، أيّار/مايو، 2001م.

20. التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، ط2، دار عمار، عمان، الأردن، 1422هـ-2002م.

21. تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، ط4، دار المنارة، 1373هـ.

22. تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ط2، مطبعة مصطفى البابي

الحلبي وأولاده، مصر، 1373هـ-1953م.

23. تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، آمنة يوسف، ط1، دار الحوار، سورية، 1997م.

24. الجانب الفني في القصة القرآنية، خالد أحمد أبو جندي، دار الشهاب، باتنة، دت.

25. خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، أنور الجندي، ط2، دار الكتاب اللبناني، 1985م.

26. خطاب الحكاية: بحث في المنهج، جيرار جنيت، ترجمة: محمد معتصم عبد الجليل، عبد الجليل الأزدي، عمر الحلي، ط3، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2003م.

27. الخطاب القرآني: مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، سليمان عشراتي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1986م.

28. دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ط1، دار البلاغة، بيروت، 1409هـ-1989م.

29. دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي؟ محمد العيد آل خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983م.

30. دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، تعليق أبو فهر محمود محمد شاكر، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1410هـ-1979م.

31. ديوان عنترة، شرح يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، 1422هـ-2001م.

32. السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، هيام شعبان، دار الكندي، الأردن، 2004م.

33. السردية العربية، عبد الله إبراهيم، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992م.

34. سيكولوجية القصة في القرآن، التهامي نقرة، الشركة التونسية، 1974م.

35. ضحى الإسلام، أحمد أمين، ط10، دار الكتاب العربي، بيروت، 1933م.

36. الفروق في اللغة، أبو هلال العسكري، تحقيق لجنة التراث العربي، ط7، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1411هـ-1991م.

37. الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله، ط3، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، 1965م.

38. في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، وليد قصاب، ط1، دار القلم، الإمارات العربية المتحدة، 1421هـ-2000م.

39. في الرواية العربية: عصر التجميع، فاروق خورشيد، ط3، دار العودة، بيروت، 1979م.

40. في ظلال القرآن، سيد قطب، ط11، دار الشروق، بيروت، 1405هـ-1985م.

41. القصة في القرآن، محمد قطب، دار قباء، القاهرة، 2000م.

42. قصص الأنبياء، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، ط3، مكتبة دار الثقافة، عمان، الأردن، 1413هـ-1993م.

43. القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دت.

44. القصص القرآني، عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي،

ط1، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، 1419هـ-1998م.

45. الكتاب، سيبويه، أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط1، دار الجيل، 1991م.

46. الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم عمر بن محمود الزمخشري، تصحيح مصطفى حسين أحمد، ط2، دار الفكر، بيروت، 1987م.

47. لحظة الأبدية: دراسة الزمان في أدب القرن العشرين، سمير الحاج شاهين، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980م.

48. مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ط17، دار العلم للملايين، بيروت، 1990م.

49. مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا، سمير المرزوقي، جميل شاكر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م.

50. مستويات السرد الإعجازي في القرآن الكريم، شارف مزاري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001م.

51. مفهوم الزمان في فلسفة أبي الوليد بن رشد، عبد الرزاق قسوم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

52. مفهوم الزمن ودلالته في الرواية العربية المعاصرة، عبد الصمد زايد، الدار العربية للكتاب، تونس، 1988م.

53. من أسرار القرآن، مصطفى محمود، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1983م.

54. النثر الفني في القرن الرابع، زكي مبارك، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دت.

55. النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟، عبد المالك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983م.

56. نظام الخطاب القرآني: تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمان، عبد المالك مرتاض، دار هومة، الجزائر، 2001م.

57. الوحدة الفنية في القصة القرآنية، محمد الدالي، ط1، 1993م.

58. الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، محمد محمود حجازي، مطبعة المربي، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1390هـ-1970م.

قائمة المعاجم والقواميس:

59. الأعلام، خير الدين الزركلي، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، 1986م.

60. تاج العروس من جواهر القاموس، محبّ الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، تحقيق علي شيري، بيروت، دار الفكر، 1414هـ-1994م.

61. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، تشرين الثاني، نوفمبر 1987م.

62. لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، القاهرة، دت.

63. معجم المفسرين، عادل نويهض، ط1، مؤسسة نويهض الثقافية، 1403هـ-1984م.

64. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت.

65. المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، دت.

66. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1402هـ-1981م.

67. موسوعة الفلسفة، عبد الرحمان بدوي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984م.

68. موسوعة المستشرقين، عبد الرحمان بدوي، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، تموز / يوليو، 1993م.

69. وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دت.

قائمة الدوريات:

70. البنية السردية ودلالاتها في القصة القرآنية، قصة موسى أنموذجا، عائشة رماش، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد: 11، 1422هـ-2002م.

71. التحليل السيميائي للسرد (رواية "المعجزة" نموذجا)، محمد ساري، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد: 14، ديسمبر، 1999م.

72. الزمان والمكان من قصة العهد القديم، أحمد عبد اللطيف حماد، مجلة عالم الفكر، مج:16، العدد: 03، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، 1985م.

73. القصة القرآنية مصطلحا، عبد الستار جبر الأسدي، مجلة المشكاة، ثقافية محكمة، تعنى بالأدب الإسلامي، وجدة، المغرب، مج: 8، العدد: 32، 1420هـ-2000م.

74. مدخل إلى عوالم القصة القرآنية، حامد الندوان، مجلة الكلمة، تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، الكويت، العدد:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

13، السنة الثالثة، خريف 1417هـ-1996م.

الرسائل الجامعية:

75. بنية السرد القصصي عند زليخا السعودي، عبد الحميد ختالة، مذكرة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الاخوة منتوري، قسنطينة، 2004م.

76. تيمة الجنس في خطاب الروائي، واسيني الأعرج بين الوعي القائم والممكن والزائف، دراسة سوسيوبنائية، نور الدين سيليني، رسالة ماجستير: قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2001م-2002م، نوقشت يوم 08 أفريل 2002م، الموافق لـ: 25 محرم 1424هـ.

77. الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، باديس فوغالي، رسالة دكتوراه دولة في الأدب العربي القديم، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1424هـ/1425هـ-2003م/2004م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهـــــارس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	رقمها	الصفحة
-سورة البقرة-		
﴿ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِي..﴾.	48-47	125
﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ...﴾.	49	102
﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً...﴾.	54-51	112
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ...﴾.	68-67	73
﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِي...﴾.	122	112
﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ...﴾.	214	83
-سورة آل عمران-		
﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ...﴾.	62	33-19-16-15
-المائدة-		
﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا...﴾.	26-19	157-127-114
-الأعراف-		
﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ...﴾.	7	16
﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا...﴾.	101	18
﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى...﴾.	108-103	145-144-121-86
﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ...﴾.	129-127	154-89-87

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ...﴾.	141-137	-126-111-89-88 133
﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ...﴾.	141	126-102-89
﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً...﴾.	145-142	155-112
﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ...﴾.	148	90
﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ...﴾.	150	156
﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي...﴾.	151	60
-سورة يونس-		
﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ...﴾.	92-88	155-133-111
﴿...حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ...﴾.	90	63
-سورة هود-		
﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى...﴾.	100	33
﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ...﴾.	120	18
-سورة يوسف-		
﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ...﴾.	03	33-19-18-16
﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ...﴾.	5	33
﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ...﴾.	111	19
-سورة النحل-		
﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا...﴾.	89	ب

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-سورة الكهف-		
﴿الْحَمْدُ لله الذي أَنزَلَ...﴾.	01	ب
﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ...﴾.	13	33
﴿...فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾.	64	16
﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ...﴾.	78	156
-سورة طه-		
﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى...﴾.	98-9	-55-54-49-48-47 -65-63-62-61-58 -73-72-71-68-67 -94-93-92-91-90 -108-104-103 -113-110-109 -130-123-122 -138-132-131 -144-141-139 -150-149-148 156-154
-سورة الشعراء-		
﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى...﴾.	18-10	131-108-71
﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا...﴾.	16-15	72
﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا...﴾.	96-16	153-124-110
﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا...﴾.	18	125-59-54

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾	94	125
-سورة النمل-		
﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ...﴾	8	39
﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ...﴾	10-9	62
﴿...فِي تِسْعِ آيَاتٍ...﴾	14-12	131-108
-سورة القصص-		
﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى...﴾	46-3	25-48-51-52-53- 54-57-58-59-62- 65-66-67-72-95- 96-97-101-102- 103-104-106- 108-109-119- 120-128-129- 130-137-138- 139-142-143- 145-147-148- 149-150-151- 152-153
-سورة الروم-		
﴿الم. غُلِبَتْ الرُّومُ...﴾	2-1	21
-سورة سبأ-		

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ...﴾.	11	27-26
-سورة غافر-		
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى...﴾.	28-23	-102-99-98-60 145-132
-سورة فصلت-		
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾.	26	25
-سورة الزخرف-		
﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ...﴾.	52-51	60
-سورة الجاثية-		
﴿وَقَالُوا مَا هِيَ...﴾.	24	77
-سورة محمد-		
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ...﴾.	31	33
-سورة القمر-		
﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾.	45	21
-سورة الإنسان-		
﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ...﴾.	01	77
-سورة العلق-		
﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ...﴾.	01	82

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى...﴾.	08	82
-سورة الزلزلة-		
﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا...﴾.	04	33
-سورة النصر-		
﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ...﴾.	3-1	21-19-18

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: فهرس الأبيات الشعرية

البيت الشعري		الوزن	القائل	الصفحة
لما رأيت القوم أقبـــل جمعهـــم	يتذامرون كررت غير مذمم	الكامل	عنترة بن شداد	06
يدعون عنتر والرمـــاح كـــأنها	أشطان بئر في لبـــان الأدهم			
ما زلت أرميهم بثغـــرة نحـــره	ولبـــانه حتى تسربـــل بالدم			
فـــأزور مـــن وقـــع القنا بلبانه	وشكـــا إلي بعـــبرة وتحمحم			
ولقد شفى نفسي وأبرأ أسقمها	قبل الفوارس ويك عنتر أقدم			
ومدجج كره الكمـــاة نزاله	لا ممعن هربـــا ولا مستسلـــم	الكامل	عنترة بن شداد	06
جادت له كفي بعاجل طعنة	بمثقف صـــدق الكعوب مقوم			
فشككت بالرمح الأصم ثيابه	ليس الكريم على القنا بمحـــرّم			
فتـــركته جزر السباع ينشنه	يقضمـــن حسن بنانه والمعصم			
ومشك سابغة هتكت فروجها	بالسيف عن حامي الحقيقة معلم			

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا: فهرس الأشكال

رقم الشكل	عنوان الشكل	الصفحة
01	يوضح علاقة المفردات الدلالية وارتباطها بالخبر	35
02	يوضح سير الأحداث في القصة المغلقة	45
03	يوضح سير الأحداث في القصة المفتوحة	47
04	يوضح التغيرات المكانية في قصة موسى عليه السلام	55
05	يوضح شخصية موسى المحورية	57
06	يوضح دائرية السرد في مرحلة ميلاد موسى عليه السلام	66
07	يوضح التعارض بين زمن القصة وزمن السرد	118

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابعا: فهرس الموضوعات

مقدمة..... أ

المدخل: العرب والقصة

أولا-القصة عند العرب في الجاهلية..... 4
ثانيا-القصة في القرآن..... 14
1-معنى القصة في اللغة..... 15
2-مفهوم القصة في القرآن الكريم..... 17
ثالثا-الفرق بين القصص القرآني والقصص البشري..... 20

الفصل الأول: السرد في القصة القرآنية

أولا-مفهوم السرد..... 26
1-التعريف اللغوي..... 26
2-التعريف الاصطلاحي..... 27
3-القصة-الحكاية والسرد عند النقاد الغربيين..... 29
4-القصة-القصص-السرد..... 32
أ-القصة..... 32
ب-القصص-النبأ..... 33
جـ-القص- السرد..... 35
ثانيا-السرد القصصي القرآني..... 37
1-السرد في القصة القرآنية..... 37
2-من الأساليب السردية في القصص القرآني..... 41
ثالثا-فنيات السرد في القصص القرآني..... 50
1-المكان..... 50
أ-الإسقاط في اليم..... 51
ب-النشأة في بيت فرعون..... 52
جـ-خروج موسى من المدينة..... 52

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

د-الإقامة في أرض مدين..... 53
هـــ-الرحيل عن أرض مدين..... 53
و-دعوة فرعون وقومه..... 54
ز-تعالي فرعون وهلاكه في اليم بالغرق..... 55
2-الشخصية..... 56
أ-البعد الجسدي للشخصية..... 56
-شخصية موسى..... 56
-شخصية فرعون..... 58
-شخصية هارون..... 58
ب-البعد الاجتماعي للشخصية..... 59
-شخصية موسى..... 59
-شخصية فرعون..... 60
جـــ-البعد النفسي للشخصية..... 61
-شخصية موسى..... 61
-شخصية فرعون..... 63
3-الحدث..... 64
أ-مرحلة ما قبل البعثة..... 65
ب-مرحلة أثناء البعثة..... 67
جـــ-مرحلة ما بعد البعثة..... 68
4-الحوار..... 69
أ-حوار بين مخاطِب ومخاطَب..... 71
ب-حوار بن مخاطِب ومخاطَبيْن..... 72
جـــ-حوار بين مخاطِب ومخاطبين..... 72

الفصل الثاني: الزمن في قصة موسى عليه السلام

أولا-المفهوم العام للزمن..... 75
ثانيا-الحلقات الزمنية في قصة موسى..... 84

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-قصة موسى في سورة الأعراف..... 85
2-قصة موسى في سورة طه..... 90
3-قصة موسى في سورة القصص..... 95
4-قصة موسى في سورة غافر..... 98
ثالثا-الترتيب الزمني لأحداث القصة..... 99
1-المتتالية الحدثية الأولى..... 101
2-المتتالية الحدثية الثانية..... 105
3-المتتالية الحدثية الثالثة..... 107
4-المتتالية الحدثية الرابعة..... 111
5-المتتالية الحدثية الخامسة..... 113

الفصل الثالث: التشكيل الزمني في قصة موسى

أولا-الترتيب الزمني..... 116
1-المفارقات الزمنية..... 117
أ-اللواحق..... 118
ب-السوابق..... 127
ثانيا-الإيقاع الزمني (الديمومة)..... 133
1-تسريع السرد ووتيرة الزمن (الحذف والخلاصة)..... 134
2-تبطيء السرد ووتيرة الزمن (الوقفة والمشهد)..... 146
الخاتمة..... 158
ضبط المصطلحات..... 160
قائمة المصادر والمراجع..... 162

الفهـــــارس

-فهرس الآيات القرآنية..... 172
-فهرس الأبيات الشعرية..... 178
-فهرس الأشكال..... 179
-فهرس الموضوعات..... 180

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية